AL- MUJTAMA' A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

(ISSUE No. 1819) 13 - 19 September 2008 (Year 39)

العدد (١٨١٩) ١٣-١٩ رمضان ١٤٢٩هـ / ١٣-١٩ سبتمبر ٢٠٠٨م (السنة ٣٩)

جميع الحقوق محفوظة
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

خبراء نفط كويتيون: مشروع المصفاة الأضخم من نوعه في الشرق الأوسط

إلى متى يظل عباس يلهث وراء سراب السلام؟!

هل تنجح فرنسا في إعادة ولد الشيخ عبد الله إلى سدة الحكم من جديد؟

الخوف من الإسلام» مرض بريطانيا الجديد

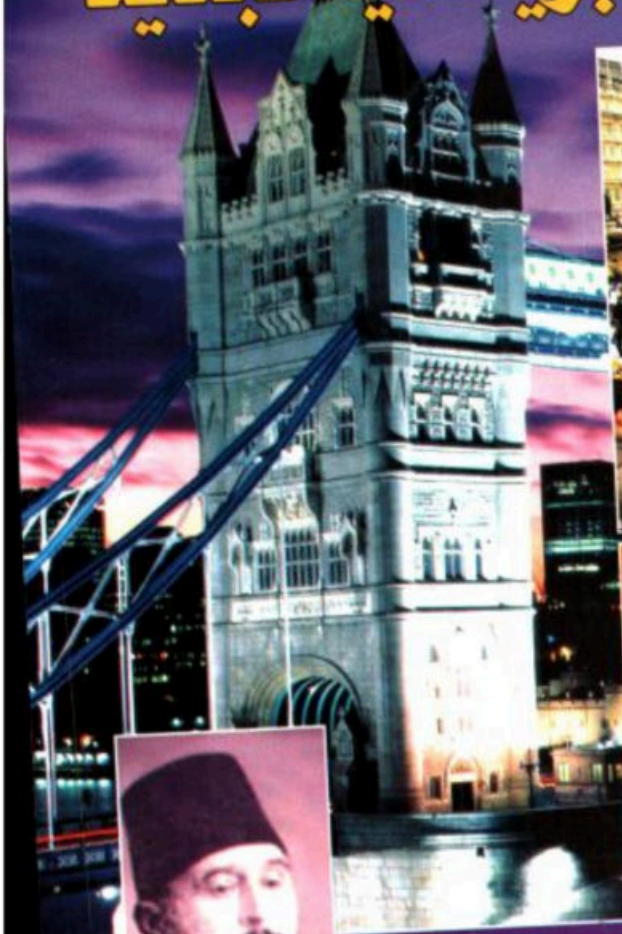

- ٣٦٪ من المسلمين يتعرضون لاعتداءات
- ٧٠٪ من البريطانيين يعترفون بزيادة تعصبهم ضد الإسلام
- ٦٩٪ من مقالات الصحف تعتبر المسلمين مصدر المشكلات و٢٦٪ منها تعتبر الإسلام ديناً رجعياً وخطيراً

عبد العزيز الثعالبي.. رجل الحماسة والهمة

ماء المنسيين:

حفّاظ القرآن.. لؤلؤ نادر في البلقان

على مائدة الصائمين في اليمن والسنغال

رمضان الأندلس..

قصة الانتصار الكبير للجيش الإسلامي على «القوطيين»

ويت ٥٠٠ فلس، السعودية ٥ ريالات، البحرين ٦٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، سلطنة عمان ... Turkey TRY 4.5 - U.k £ 2

ليست مجرد رحلة أخرى اعتيادية...

التخطيط

أننا في مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية نسعى دائماً للتخطيط للمستقبل وإيجاد كافة الحلول للتوقعات المستقبلية ومواكبة كافة التطورات وأحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا الطيران وذلك كله من أجل توفير كل أسباب الراحة لعملائنا الكرام.

إنها حقاً ليست مجرد رحلة أخرى اعتيادية... بل رحلة مدروسة بكل المقاييس.

تقتلم غايتنا

الخطوط الجوية الكويتية
.kuwaitairways.com
منذ عام 1954

رمضان كريم
الحلويات الرمضانية اختصاصنا
د بالكلاج اللبناني المميز
دعوة للاستمتاع
بمائدة إفطار الديك الرومي
أكثر من إثنى عشر صنفا
من المأكولات اللبنانية الشهية
والحلويات الرمضانية
معكم من الفطور حتى السحور
• وجبة افطار شهية
• قاعة فاخرة للعائلات
• عناية خاصة لطلبات
المنازل والديوانيات
مطعم
الديك الرومي
اسم عريق يضمن لك الجودة
للجودة عنوان
حولي - شارع تونس 2654321 - 2654316

بسم الله الرحمن الرحيم

المجتمع

AL-MUJTAMA'A

إسلامية. أسبوعية تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

العدد ١٨١٩ السنة (٣٩)

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م
عبدالله علي المطوع

رئيس مجلس الإدارة
حمود حمد الرومي

رئيس التحرير
د. محمد البصيري

نائب رئيس التحرير
محمد الراشد

مدير التحرير
شعبان عبدالرحمن

المخرج الفني
مجدي شافعي

المراسلات
العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠)
الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)
بريد التحرير الإلكتروني:
mujtamaa@gmail.com
info@almujtamaa.com
موقع المجتمع على الإنترنت:
www.almujtamaa-mag.com
موقع جمعية الإصلاح:
www.eslah.com
هاتف التحرير: ٢٥١٩٥٣٩، ٢٥١٤١٨٠،
٢٥١٣٦١٦، ٢٥٢٨٦٨٤ (داخلي ١٠٥).
فاكس المجلة: ٢٥٦٠٥٢٤، ٢٥٢١٨٢٦
الاشتراكات والتوزيع: ٢٥٦٠٥٢٥، ٢٥٦٠٥٢٦
sales@almujtamaa.com

في هذا العدد:

الجزائر: «زلزال» العنف يضرب «المصالحة» ٢٢
الكويت: مشروع المصفاة الأضخم من نوعه في الشرق الأوسط ٦

ماليزيا: الحكومة تتوعد بمنع أنور إبراهيم من الوصول للسلطة ١٢
لبنان: عاصمة الشتات الفلسطيني على حافة الانفجار ١٨
موريتانيا: هل تنجح فرنسا في إعادة ولد الشيخ عبدالله؟ ٢٠
القوقاز: مظاهر دينية.. ودعوات طائفية ٢٥
عظماء منسيون: عبدالعزيز الثعالبي.. رجل الحماسة والهمة ٣٠

الاشتراكات:
الكويت ودول الخليج:
٢٠ ديناراً كويتياً أو ما يعادلها..
باقي أنحاء العالم:
١٠٠ دولار أمريكي.
للمؤسسات والشركات:
٤٥ ديناراً كويتياً..
باقي دول العالم:
١٥٠ دولاراً أمريكياً.

الإعلانات:
امتياز الإعلان: دار الوطن.
ت: ٤٨٤٠٤٥١/٢/٣ ف: ٤٨٤٠٦٣١ الكويت.

وكلاء التوزيع:
الكويت: شركة الخليج:
ت: ٤٨٤١٠٦٧ - ٤٨٤١٠٤٥
ف: ٤٨٤١٠٢٦ - ٤٨٣٦٦٨٠
السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع:
ت: ٤٤١٨٩٧٢ / ف: ٢١٢١٧٦٦ جدة..
الموقع على الإنترنت: www.saudi-distribution.com
البريد الإلكتروني: info@saudi-distribution.com
البريد الإلكتروني المخصص للاشتراكات والمبيعات:
orders@saudi-distribution.com
الهاتف المجاني: (٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦).

﴿ ولا تحسبنّ الله
غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّرهم
ليوم تشخص فيه الأبصارُ (٤٢) مهطعين مُقنعي
رُءوسهم لا يرتدّ إليهم طرْفُهم وأفئدتُهم هواءٌ (٤٣)
وأنذر الناس يوم يأتيهم العذابُ فيقولُ الذين ظلَموا
ربّنا أخّرنا إلى أجلٍ قريب نُجبْ دعْوتَك ونتّبع
الرُّسلَ أوَ لَمْ تكونُوا أقْسَمْتُم مِن قبلُ ما
لكُم مِن زوالٍ (٤٤) ﴾

(سورة إبراهيم)

ملف رمضان:

- حكم استعمال اللاصق المانع للجوع في رمضان ٤٢
- تفاصيل معركة فتح الأندلس في رمضان ٤٤
- البلقان: حفّاظ القرآن لؤلؤ نادر ٤٦
- مفكرة رمضان ٤٩
- موائد رمضان في السنغال واليمن ٥٣
- صحتك في رمضان ٦٠
- استراحة رمضانية ٦٤

قطر:
مكتبة الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع / ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣
المغرب:
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الدار البيضاء. ص.ب ١٣٠٠٨، الدار البيضاء الرئيسة
ت: ٠٠٢١٢٢٢٤٩٢٠٠ فاكس: ٠٠٢١٢٢٢٢٤٩٢١٤

U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883.

رأي المجتمع

إلى متى يظل عباس يلهث وراء سراب السلام؟!

التصريحات التي أدلى بها مؤخراً رئيس السلطة الفلسطينية «محمود عباس» عن عدم إمكانية التوصل إلى اتفاق نهائي مع الكيان الصهيوني في نهاية هذا العام. كما كان مقرراً وفق وعود الرئيس الأمريكي بوش. لها أكثر من دلالة؛ أهمها أنها ليست المرة الأولى التي يفشل فيها حوار لـ عباس، وفريقه التطبيعي المهرول نحو سراب السلام مع الصهاينة. وليست المرة الأولى التي تسفر جولات المباحثات واللقاءات المكثفة مع الصهاينة عن لا شيء سوى الظهور أمام الكاميرات، بالابتسامات والعناق الخادع، ولكن أهل التطبيع والهرولة لا يتعلمون الدرس، ويصرون على مواصلة تمثيلية مفاوضات السلام الهزلية دون خجل من أنفسهم، ومن شعوبهم، وكأن الذهاب لمثل تلك اللقاءات الفاشلة صار مهمة مطلوبة من «عباس» القيام، بها مع أن نتائجها معلومة سلفاً.!!

وإن كان «عباس» يعلن بنفسه فشله في التوصل إلى مجرد بوادر تسوية مع الاحتلال قبل نهاية العام الجاري، واعترافه بإفلاس مشروعه السياسي، فلماذا لا يبحث عن سبيل آخر لاسترداد حقوق شعبه الذي يتحدث ليل نهار نيابة عنه؟

ألم تكن حركة «حماس» محقّة عندما طالبته قبل أيام في بيان رسمي بـ الكف عن المفاوضات العبثية ووقفها بلا عودة، والتوقف عن التنسيق الأمني الذي يقدم خدمات مجانية للعدو الصهيوني، والعمل بإستراتيجية جديدة متمثلة بالعودة إلى حضن الشعب الفلسطيني، وتبني خياراته التي أتت أكلها وخاصة خيار المقاومة، الذي استطاع أن يخرج الاحتلال من قطاع غزة، وأحدث توازناً إستراتيجياً من الرعب، وأصبح العدو الصهيوني يحسب للمقاومة ألف حساب».

وفي الوقت الذي لم يحقق «عباس» قيد أنملة من النجاح خلال مفاوضاته مع الصهاينة، يحقق الرجل نجاحات متتالية في الداخل على صعيد قمع الشعب الفلسطيني، وتعميق جراح الصراع الداخلي، وتضييق الخناق على «غزة»، ومحاولة شل المتبقي من الحياة فيها. وهو ما يقابل بالإشادة من قادة العدو.

فقد أصدرت سلطته الموجودة في «رام الله» أوامرها لأتباعها في «غزة» من المعلمين، والعاملين في مجال الصحة، للقيام بإضرابات شاملة لشل الحياة التعليمية، وإفشال العام الدراسي الجديد، وشل حركة المستشفيات، حتى وإن تعرّض المرضى للموت، وتحريضهم على تنظيم مظاهرات لإحداث قلاقل واضطرابات، وتحويل الحياة هناك إلى فوضى، لكن الإضراب فشل بفضل وطنية أبناء «غزة»، وتكاتفهم، وبقي المعلمون من رجال «فتح» في بيوتهم يتقاضون رواتبهم من «رام الله»، وانطلق العام الدراسي بنجاح.. والسؤال: ما ذنب المرضى وأطفال المدارس حتى يُحاصروا من قبل سلطة «عباس»؟ وما دخلهم في الخلافات السياسية؟!

لكن يبدو أن شل الحياة في «غزة»، وقتل شعبها صار من معالم سياسة «عباس» ومهامه المقدسة!

أما النجاح الأخر الذي تحققه سلطة «عباس» دون منازع، فقد كشفت عنه إشادة المصادر الأمنية الصهيونية على لسان رئيس «الشاباك» «يوفال ديسكن» الذي امتدح خلال جلسة الحكومة الصهيونية الأحد الماضي (٩/٧ الجاري) أداء أجهزة أمن رئيس السلطة بعد تكثيف نشاطها ضد حركة «حماس» بالضفة الغربية وحركة الجهاد الإسلامي، وقال: إنها سجّلت قفزة نوعية في أدائها، حيث استطاعت السيطرة على الجمعيات الخيرية الإسلامية المنتشرة في جميع أرجاء الضفة الغربية المحتلة، وذلك بعد إغلاقها لنحو ٤٥ مؤسسة خيرية تابعة لحركة «حماس»، واعتقال نحو ٢٠٠ ناشط من حركة حماس خلال شهر أغسطس الماضي وحده، وقيامها بالتضييق على الحسابات البنكية التابعة لحركة «حماس»، لمنع وصول الأموال إلى فصائل المقاومة الفلسطينية.

وهكذا.. أصبحت مهمة سلطة «عباس» إيهام الرأي العام العربي والإسلامي بأنها تتفاوض وتتباحث وتبذل الجهود من أجل حقوق الشعب الفلسطيني، والحقيقة أنها تشارك في تمثيلية هزلية ملّها الناس من كثرة تكرارها، وفي نفس الوقت القيام بدور الشرطي والجلاد ضد حركة «حماس» في الضفة، ومواصلة إشعال الفتن داخل قطاع «غزة»، والإصرار على رفض فك الحصار عنه، وذلك كله نيابة عن الصهاينة.. فبئس المهمة تلك، بل وبئس العمل والهدف!■

المجتمع

رغم إحالته إلى «المحاسبة» مازالت حرب البيانات مستمرة..

خبراء نفط: مشروع المصفاة الأضخم من نوعه في الشرق الأوسط بطاقة إنتاجية تفوق ٦٢٥ ألف برميل يوميا

م. محمد العليم

رغم أن مجلس الوزراء أحال مشروع المصفاة الرابعة إلى ديوان المحاسبة بناء على طلب تقدم به وزير النفط والكهرباء والماء م. «محمد العليم» لمراجعة الإجراءات التي اتبعت، إلا أن هجوم نواب «التكتل الشعبي» على المشروع وعلى الوزير العليم مازال مستمراً، بما يوضح أن حملة التكتل ضد الوزير وراءها تصفية حسابات سياسية ومصالح شخصية، فـ«التكتل» يستهدف «العليم» لانتمائه لـ«الحركة الدستورية الإسلامية»، بالإضافة إلى أنه وزير إصلاحي لا سبيل لأصحاب المصالح لديه، وهو مشهود له بالشفافية، ونزاهة اليد، ويقوم بحركة إصلاحية كبيرة بالوزارة، ويطارد الفساد، والمحسوبيات، والتربح غير المشروع.

وبعد أن طالب أعضاء «كتلة العمل الشعبي» باستماتة بإحالة المشروع إلى ديوان المحاسبة، وعندما استجابت الحكومة، عادوا وطالبو بإحالته إلى لجنة المناقصات، أي إعادة المشروع للمربع صفر، مما يسبب تعطيل المشروع الذي يعد من أكبر المشروعات بالشرق الأوسط.

وزير النفط والكهرباء م.«محمد العليم» علّق على تحويل المصفاة إلى ديوان المحاسبة بالقول: إن تحويل إجراءات المصفاة لا يخيفنا، في إشارة منه إلى شفافية الإجراءات التي تم اتباعها، منوهاً إلى أن وزارة النفط لن تألو جهداً في التعاون مع الديوان في إمداده بالمعلومات اللازمة، كما تعاونت من قبل مع لجنة العرائض والشكاوى في مجلس الأمة بالاجتماع مع أعضائها، وشرح اعتماد نظام «الكوست بلس» في ترسية مناقصات المصفاة، والأسباب التي أدت إلى اتباع هذا النظام، مشيراً إلى هذا النظام يعني عقود تعويض التكلفة، وهي التي تسمح لمالك المشروع بتعويض المقاول عن تكاليف تنفيذ المشروع ودفع مبلغ ما كربح له، على أن يقدم المقاول الأسعار التقريبية لتكاليف بنود العقد من ساعات عمل ومواد خام ونقل وشحن وغيره.

وأضاف العليم في حيثيات دفاعه عن العقود، أن هذا النظام بموجبه يقوم مالك المشروع بدفع الأخطار الحقيقية وليس الأخطار المحتملة التي لا تحدث ويضخم تكاليفها المقاولون في العقود الأخرى.

موافقة بالإجماع

ومما يثير الدهشة، أن مجلس الأمة السابق قد وافق بالإجماع على هذا النوع من العقود، بعد أن ارتأى أن مشروع المصفاة لو تم اعتماده بنظام تسليم المفتاح (Lump sum) سوف يزيد التكلفة كثيراً، ويرفع من قيمة العقود بشكل مضاعف عن القيمة المقدرة حالياً للمصفاة، التي تبلغ ٤ مليارات دينار، بينما لو تم اعتماد نظام تسليم المفتاح فسترتفع التكلفة إلى ٥,١ مليار دينار.

الإشكالية الأخرى التي طرحتها لجنة الشكاوى والعرائض، وتبعتها «كتلة العمل الشعبي»، هي اختيار المقاولين والشركات الفائزة في المشروع، حيث رأت مصادر نفطية ذات صلة بالمشروع، أن معايير الاختيار للشركات الفائزة لم تتم على أساس الأرخص سعراً، ولكن وفق معايير فنية وضعت في تقييم كل العروض المقدمة، وكانت الفيصل في اختيار تلك الشركات، حيث إن المناقصة وضعت نسبة ٣٥٪ للمعايير الفنية في تقييم العروض المقدمة، ومن ثم فإن العروض الفنية كانت من بين ٩ معايير على المقاول اجتيازها ليتم اختياره، وتشمل خطة العمل، والتنفيذ، ومستوى العمالة، وخطة استخدام مقاولين من الباطن، وأنظمة تحكم المشروع، وخطة تنفيذ الإنشاءات والبرامج التنفيذية لتنفيذ العمل، وأنظمة الجودة، وتاريخ المقاول في الأمن والسلامة والبيئة.

تجارب سيئة

وبررت المصادر النفطية أن تجارب القطاع النفطي في اختيار أقل الأسعار كانت سيئة للغاية في اعتمادها مبدأ أقل الأسعار، فعادة ما يكون المقاول الذي يقدم أقل الأسعار صاحب خبرات أقل، وليس لديه خطة محكمة للعمل، كما أنه لا يملك أدوات كافية لإنجاز المعايير الفنية التي تم وضعها للمشروع في التوقيت المناسب.

ولم تنته فصول القضية عند هذا الحد، فعلى الرغم من أن لجنة العرائض والشكاوى في مجلس الأمة قد أرسلت كتابين في يوم واحد لوزير النفط تطالبه فيه بالرد على ما ورد في شكوى لأحد المقاولين بوجود شبهات تنفيع في المشروع خلال يومين، أجابت الوزارة لطلبات اللجنة وأوضحت لهم جميع النقاط الملتبسة عليهم، رغم قصر المدة المطلوبة للرد على جميع الأسئلة الموجودة، إلا أن «كتلة العمل الشعبي» أبت أن يمر الموضوع مرور الكرام، واتهمت وزير النفط - في بيان وصف بالاستفزازي - بوجود شبهات في ترسية العقود، واصفة الوزير بأنه «مخادع»، ومتحايل، ومتعهدة بتقديمه إلى مقصلة الاستجواب قريباً.

حرب بيانات

وبدأت حرب البيانات الصحفية بين وزير النفط و«كتلة العمل الشعبي»، واستند رأي الوزير بالقول: إن بيان «التكتل» لم يتضمن أي جديد، فالعقود لم تتحايل على القانون ٦٦ / ١٩٩٨م المنظم لعمل العقود المتعلقة بالقطاع النفطي، ولأن القانون يخاطب المؤسسات والهيئات العامة ولا يخاطب الشركات النفطية التي تتمتع بالشخصية

القانونية المستقلة لقانون الشركات التجارية والقوانين الأخرى التي تحكم إجراءاتها.

وفيما يتعلق بتمرير المشروع على ديوان المحاسبة، أوضح الوزير وبشكل قانوني أن ديوان المحاسبة أصدر كتاباً في ٢٠ أكتوبر ١٩٩٨م، أشار فيه أن الشركات النفطية التابعة لمؤسسة البترول الكويتية لا تخضع للرقابة المسبقة في عملها لديوان المحاسبة.

وحول المشروع ذاته، أجاب «العليم» في رده أن المشروع أحيل للقضاء الكويتي خلال العام الجاري لمدة ٦ أشهر، وخلص القضاء إلى أن جميع إجراءات المشروع جرت وفق إجراءات نزيهة وبرأها القضاء من كل الشبهات، مضيفاً أن المصفاة مرت وفق الخطوات الدستورية المتبعة لها من حيث عرض المشروع على المجلس الأعلى للبترول وصدور قراره بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠٠٥ م بالموافقة على إنشاء المصفاة بعد العرض على مجلس الوزراء، مروراً بكتاب الفتوى والتشريع رقم ٢/٣٥/٢٠٠٨م القاضي بأن العقود التي تبرمها الشركات النفطية ليست عقوداً إدارية، وأن الشركات النفطية شركات خاصة وعقودها تجارية، وأنها لا تخضع إلى لجنة المناقصات المركزية إلا بموجب القرارات الصادرة من المجلس الأعلى للبترول.

سرعة التنفيذ

الخبير النفطي «كامل الحرمي» قال: إن المشروع الذي شهد الكثير من علامات الاستفهام على المستوى الشعبي والتنفيذي بحاجة إلى سرعة التنفيذ، فالمشروع يعد الأضخم من نوعه في الشرق الأوسط بطاقة إنتاجية تفوق ٦٢٥ ألف برميل في اليوم، وهو ما يستحق توضيح الأمور أمام الجمهور من قبل شركة البترول الوطنية ومؤسسة البترول الكويتية.

وأضاف: لا شك أن الكل على حق فيما يتعلق بخلفية مصفاة البترول الرابعة التي بدأت بتكلفة معقولة ومحسوبة ومنافسة ولها مردود اقتصادي وإيجابي، والمردود الأفضل هو توفير عمالة ووظائف كثيرة، بالإضافة إلى بناء وتدريب وتأهيل عمالة في أصعب المجالات والتقنيات والحفاظ على سلامة العاملين.

وقال «الحرمي»: إن كثرة الأسئلة التي يتم ترديدها حول ترسية المناقصات أو اختيار نظام «الكوست بلس» في ترسية العقود هو أمر جيد لحماية الطرفين من رفع التكلفة مستقبلاً في تكاليف المواد الخام، والحديد، والأسمنت، والألمنيوم، والمواد الأولية الأخرى.

موقع المصفاة

رئيس اللجنة الفنية في المجلس البلدي م. «عادل الخرافي» نفى ما تردد عن توجيه أي كتب من قبل الحكومة إلى اللجنة الفنية بالمجلس لإعادة النظر في موقع المصفاة أو خفض المساحة المتعلقة، مشيراً إلى أن المجلس البلدي وافق على تخصيص موقع المصفاة الجديد بمنطقة «الزور» على مساحة ١٦ كيلومتراً، مع تخصيص مسارات وخطوط خدمات بدلاً من الموقع المخصص لها في السابق، مشيراً إلى أن المجلس ليس الجهة المخوّلة بالعمل على تحديد المواقع من تلقاء نفسها، وإنما يقوم بالعمل من خلال طلب حكومي بتخصيص موقع ما لخدمة مشاريع عامة في الدولة.

مصادر «موثوقة» في مؤسسة البترول الكويتية عبّرت عن رأيها بالقول: إن المشروع مثله مثل غيره من المشاريع يقع تحت مقصلة المحسوبيات السياسية التي تعطل عجلة التنمية الاقتصادية.

مهنية وحرفية: وكيل ديوان المحاسبة «عبدالعزيز الرومي» أشار إلى أنه سيتم التعامل مع قضية المصفاة الرابعة بعد إحالتها للديوان وفق الخطوات والقواعد التي ينظمها ويحددها قانون الديوان وبنفس المهنية والحرفية التي تم التعامل بها مع تكليفات سابقة.

وبيّن «الرومي» أن المصفاة الرابعة لا تخضع للرقابة المسبقة للديوان باعتبار أن الشركات النفطية هي شركات ذات شخصية اعتبارية خاصة لا تخضع للرقابة المسبقة، وذلك وفقاً للمادة ١٤ من قانون إنشاء ديوان المحاسبة رقم ٣٠ لسنة ١٩٦٤م، ولكنها تخضع للرقابة اللاحقة فيما بعد.

وأكد أن الديوان سيبذل قصارى جهده لإنجاز التكليف في أقصر فترة ممكنة حال توفر البيانات اللازمة من شركة البترول الوطنية.

جدل مطلوب

ومن جهته، اعتبر تقرير «الشال الاقتصادي» إحالة ملف المصفاة الرابعة نوع من الجدل المطلوب لتبصير الأمة بما يجري في مشروعاتها التنموية التي تعد «مصيرية» بكل ما تحمل الكلمة من معنى، منوهاً إلى أن العمل الاقتصادي دائماً ما يحتاج إلى نوع من التأني في اتخاذ القرار الاقتصادي.■

عبد العزيز الرومي

كامل الحرمي

عادل الخرافي

قيمة العقود تبلغ ٤ مليارات دينار مقابل ٥,١ مليارات دينار في حالة اعتماد نظام تسليم المفتاح

معايير الاختيار للشركات الفائزة لم تتم على أساس الأرخص سعراً ولكن وفق معايير فنية وضعت في تقييم كل العروض المقدمة

رئيس اللجنة الفنية بالمجلس البلدي: لم يصلنا أي خطاب من الحكومة لإعادة النظر في موقع المصفاة

جمعية الإصلاح تقيم حفل استقبال لشهر رمضان

نظّمت جمعية الإصلاح الاجتماعي الإثنين الماضي حفلاً لاستقبال المهنئين بشهر رمضان الفضيل في مقرها الرئيس بالروضة، حضر الحفل مئات من المهنئين في مقدمتهم رئيس مجلس الأمة جاسم الخرافي، وعدد من المسؤولين والوزراء، ونواب المجلس، وأعضاء السلك الدبلوماسي بالكويت.

وقال أمين سر الجمعية د. عبدالله العتيقي: اعتادت جمعية الإصلاح الاجتماعي أن تقيم حفل استقبال للسفراء والوزراء وأعضاء مجلس الأمة والمسؤولين جميعاً والمواطنين وأعضاء الجمعية ومحبيها.

ونحن اليوم في لقاء ودي وأخوي يجمع بين أعضاء الجمعية ومؤيديها ومهنئيها، في تآلف للقلوب، ومحبة في الله، وتذاكر للخير، ونفحات في هذا الشهر الكريم، شهر القرآن العظيم، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتذكير بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والقيام بواجب التزاور والمحبة في الله.

وأضاف د. العتيقي: نحمد الله سبحانه وتعالى أن منّ علينا ببلوغ شهر رمضان المبارك، شهر القرآن، شهر القيام، شهر التهجد لله سبحانه وتعالى، وشهر الزكاة. ونوصي إخواننا في الجمعية، وفي داخل الكويت وخارجها، بالثبات على الحق، واستغلال شهر رمضان المبارك في العبادة والذكر لله سبحانه وتعالى.

وندعو الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يوحد كلمتهم، وينصرهم على عدوهم، ومن يكيد لهم، وأن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

وقال الشيخ إبراهيم الدعيج الصباح: نحن سعداء بمثل هذه الزيارات التي جبل عليها المجتمع الكويتي، وحريصون أن نتواصل إن شاء الله مع إخواننا، وهذه بادرة ليست غريبة على جمعية الإصلاح في استقبال المهنئين، ونتمنى التوفيق للجميع.■

«حدس» تجدد الثقة في «الناشي»

جددت الحركة الدستورية الإسلامية «حدس» الثقة في الدكتور «بدر الناشي»، الأمين العام للحركة لفترة جديدة، جاء ذلك في اجتماع عقدته الحركة مساء الأحد الماضي. وقال د. «بدر الناشي»: هذه ثقة كبيرة من الإخوة في الجمعية العامة للحركة الدستورية الإسلامية، ومسؤولية كبيرة في مرحلة حساسة وحرجة من تاريخ العمل السياسي بالكويت، وتحميلنا هذه الأمانة في هذه المرحلة ستكون محل تقدير وتحمل للمسؤولية.

ونحن بحمد الله في الحركة الدستورية متفائلون أن ننجز العديد من الملفات خلال المرحلة القادمة، ولا شك أن عملنا يحتاج إلى تطوير وإلى مراجعة في بعض جزئياته، وإلى نظرة شمولية لمستقبل العمل السياسي الكويتي خصوصاً في ظل هذا التأزيم والاختناق الذي يعاني منه المجتمع السياسي وخاصة العمل البرلماني في المرحلة الحالية ومن المتوقع أن يستمر في المرحلة القادمة.

ولذلك أكدت الجمعية العمومية في لقائها الأحد الماضي التفافها حول قيادتها وثقتها في منهجها ومبادئها الرئيسة، وعلى ضرورة مراجعة وتقييم بعض السياسات العامة؛ لتتناسب مع معطيات المرحلة الحالية والمتوقعة مستقبلاً.

كذلك أكدت الحركة دعمها المطلق لوزيرها م. محمد العليم، وزير الكهرباء والماء والنفط وهو من الشخصيات القيادية في الحركة سابقاً، ويحظى باحترام وتقدير وثقة عالية من جموع الحركة.■

«الخيرية» و«الشريعة» تحتفلان باستقبال رمضان

أقامت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية حفل إفطارها السنوي يوم الإثنين الماضي ٨ سبتمبر، وذلك على شرف موظفي الهيئة وضيوفها بمقر الهيئة بجنوب السرة.

كما أقامت اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ديوانيتها الرمضانية يوم الإثنين الماضي أيضاً لاستقبال المهنئين بشهر رمضان.. وقال مدير إدارة العلاقات العامة والإعلام د. عصام الفليج: إن اللجنة تهدف من إقامة ديوانيتها الرمضانية إلى إرساء قيمة التواصل الاجتماعي في المجتمع.■

BlueTech
أوتومك
راية الإسلا
مسابقة تاريخية تتطرق الى الحروب والملاحم الاسلامية
في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابة الرسول
اربح
باجي بقيمة 3000 دينار
وهاتف نقال Nokia E71 يوميا
ارسل ر أو R على 90906 لمشتركي زين
zain
www.zain.co

وأينما ذُكِرَ اسم الله في بلد
عددتُ أرجاءَهُ من لُبِّ أوطاني

إحصاء: الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في الولايات المتحدة

أكّد أحدث إحصاء لمركز الأبحاث الاجتماعية في جامعة «جورجيا» الأمريكية، أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في الولايات المتحدة الأمريكية.

وكشف الإحصاء أن عدد المساجد في أمريكا زاد على ١٢٠٩ مساجد، بُني أكثر من نصفها خلال السنوات العشرين الماضية، وأن نسبة الذين تحوّلوا إلى الديانة الإسلامية تتراوح بين ١٧ و٣٠٪، وذلك على الرغم من الحملات الأمريكية الغربية على الإسلام والمسلمين.

وقال د.«عمر الخالدي»، كبير علماء الأبحاث في برنامج «الأغاخان» للهندسة المعمارية الإسلامية في معهد «ماساتشوستس» للتكنولوجيا في «كيمبريج»: «إن هناك أولاً مساجد تجسّد التصميم التقليدي المنقول من بلد إسلامي واحد أو أكثر، وثانياً مساجد تمثّل إعادة تأويل للتقاليد المتوارثة، التي تُدمج أحياناً بعناصر الهندسة المعمارية الموجودة في الولايات المتحدة، وثالثاً تصاميم مبتكرة بالكامل، كتلك التي اعتُمدت في بناء المركز الرئيس لجمعية أمريكا الشمالية الإسلامية في مدينة «بلاينفيلد» بولاية «إنديانا».■

ليتوانيا: الإقبال على أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة المحلية

تشهد المكتبات في «ليتوانيا» هذه الأيام إقبالاً كبيراً من القرّاء على شراء أول ترجمة لمعاني القران الكريم إلى اللغة «الليتوانية»، بعد طرحها في أغسطس الماضي.

وقالت مديرة أحد فروع سلسلة مكتبة «بالتوس لانكوس»، وتُدعى «فيكتوريا توليوشيت»: «إن الترجمة الليتوانية لمعاني القرآن لاقت إقبالاً كبيراً من القراء فور طرحها في المكتبات الشهر الماضي، وهي تحتل المرتبة الثالثة حالياً بين أكثر الكتب شعبية في المكتبات».

ومن جهته، أوضح المترجم «سيجيتاس جيدا» أن الترجمة استغرقت منه سبع سنوات، وأنه كان يهتم بالشعر الإسلامي لفترة طويلة من حياته. وقال: «بينما كنت أقوم بالترجمة، كان الأصل أمامي دائماً، إلى جانب ترجمات لمعاني القرآن إلى الروسية، واللاتفية، والبولندية، والألمانية، والإنجليزية».

جدير بالذكر، أن عدد سكان «ليتوانيا» يصل إلى ٣,٥ ملايين نسمة، ويبلغ عدد المسلمين منهم عشرة آلاف. وقد دخل الإسلام إلى «ليتوانيا» عام ١٣٩٣م، عندما دعا ملكها آنذاك التتار المسلمين في «شبه جزيرة القرم» لمساعدته في قتال الصليبيين الذين جاؤوا لغزو هذه البلاد.■

٢٠ «أوكرانيا» أعلنوا إسلامهم في مطلع رمضان الجاري

أعلن عشرون أوكرانياً ذكوراً وإناثاً إسلامهم في مطلع رمضان الجاري، وهي ظاهرة تحدث دائماً في الشهر الكريم، لكنها المرة الأولى التي يُسْلم فيها هذا العدد من الأوكرانيين دفعة واحدة.

ودعا «عمر كوربيتشين» رئيس قسم التعريف بالإسلام في المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة «كييف»، وبها ٧٠ ألفاً من أبناء الجالية العربية والمسلمة، المراكز الإسلامية إلى التعريف بحقيقة الإسلام، وقال: «إن هذا يسهم في تغيير النظرة السلبية العامة التي فرضها الغرب خلال السنوات الأخيرة حول الإسلام، ويدفع العديد من الأوروبيين إلى اعتناقه».

ويوجد مليونا مسلم في «أوكرانيا»، التي يبلغ تعداد سكانها ٤٦ مليون نسمة، معظمهم من التتار المسلمين، تسكن أغلبيتهم في «شبه جزيرة القرم» في الجنوب، حيث يشكّلون قرابة ١٥٪ من سكانها.■

بلدية تركية تقيم خيمة إفطار في «كوسوفا»

أقامت بلدية قضاء «بايرام باشا» بمدينة «إستانبول» التركية خيمة إفطار ضخمة في عاصمة (كوسوفا) «بريشتينا»، بالتنسيق مع مفتي العاصمة، وهو تقليد رمضاني للبلدية منذ سنوات عدة.

وبدأت البلدية توزيع وجبات إفطار داخل خيمة تستوعب ألف شخص، بمساهمة من دار إفتاء «كوسوفا»، والشرطة التركية الموجودة هناك ضمن القوة الأمنية التابعة للأمم المتحدة.

وقد أُقيمت الخيمة في ساحة «قصر الشباب» بالعاصمة، وتلقى إقبالاً واسعاً ليس من قِبَل سكّان «بريشتينا» فقط، بل من أهالي المناطق والمدن المجاورة للعاصمة.

وبعثت دائرة الشؤون الدينية التركية أربعة من موظّفيها لغرض الوعظ والإرشاد الديني في مختلف أنحاء «كوسوفا».■

السويد: إطلاق أول صندوق استثماري متوافق مع الشريعة

شهدت السويد لأول مرة إطلاق صندوق إسلامي محلي، في خطوة تُعَدُّ قفزة كبيرة للبلاد التي لا تتعدّى نسبة تعداد المسلمين فيها ٥٪.

وأطلقت شركة «مانجمنت سيليكتور» صندوق «القيمة الشرعية العالمية المختارة»، وتستند الشركات المساهمة في الصندوق على «مؤشّر داو جونز الإسلامي»، الذي يتألف من ٢٦٠٠ شركة.

وقد أكّد ممثل الشركة: أن الصندوق الإسلامي هو خيار ضروري للسوق السويدية، وأن شركته تهدف إلى توفير بديل لنحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ ألف مسلم في البلاد، لم يملكوا قبل إطلاق هذا المنتج أي خيارات استثمارية آمنة نسبياً.■

خدمة خاصة من: وكالات - مراسلي المجتمع

BlueTech
A New Era In Communication

خدمة
الهاشم

تلاوات قرآنية
أدعية وأذكار، قصائد وأناشيد

تصلك يومياً على موبايلك
بصوت القارئ/ صلاح الهاشم

للإشتراك أرسل س أو S إلى رقم 90901

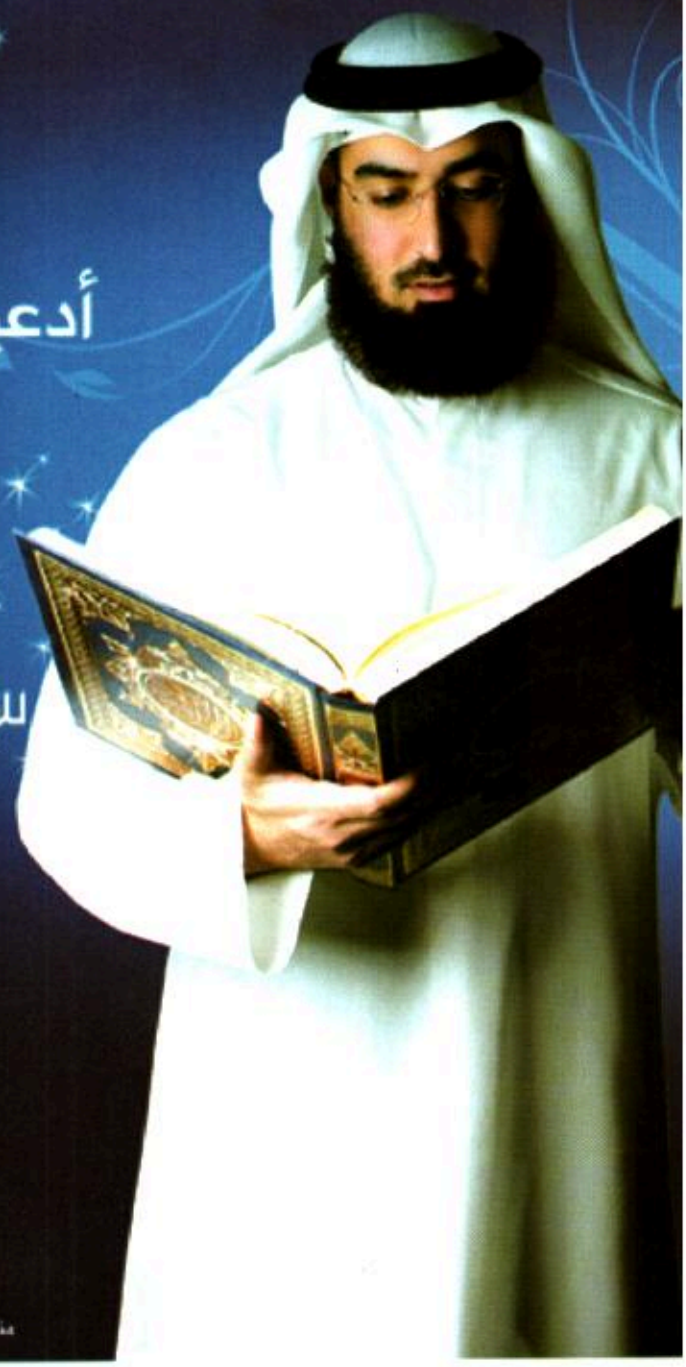

متوفرة لمشتركي MMS 7 رسائل MMS بسعر 750 فلس إسبوعياً حصرياً لمشتركي زين

zain

www.zain.com

المغرب: منع الموظّفات بإدارة السجون من ارتداء الحجاب

تشهد الساحة السياسية والحقوقية في المغرب جدلاً متصاعداً بعد إقدام إدارة السجون المغربية على منع الموظفات من ارتداء الحجاب، وفق مذكرة تنظيمية داخلية حول احترام الزي الرسمي أثناء العمل. وقد انتقد سياسيون وحقوقيون المذكّرة بشدة، وطالبوا الإدارة بالتراجع عنها، كما طالبوا الحكومة بالتدخل.

وكانت المندوبية السامية للسجون قد أصدرت مذكرة في الأسابيع الأخيرة من شهر أغسطس الماضي تحثّ فيها الموظفين والموظّفات على «ارتداء البدلة والامتثال لجميع قواعد النظام العسكري»، غير أن خبر هذه المذكرة لم يخرج للرأي العام إلا في مطلع شهر سبتمبر الجاري، بعد أن وجّهت الإدارة رسائل استفسار للموظفات المحجّبات حول حجابهن.■

..وتجدّد الحملة ضدّ المحجّبات في تونس

أعلنت «لجنة الدفاع عن المحجبات بتونس» أنها تلقّت اتصالاً هاتفيًا من الطالبة «أسماء الكسوري»، أكّدت فيه أن الكاتب العام للمدرسة العليا للتكنولوجيا الإعلامية بمنطقة الشرقية بالعاصمة تونس عمد إلى منع كل الطالبات المحجّبات من دخول الكلية؛ مما اضطر الكثيرات منهن إلى الرجوع لمنازلهن.

وأكدت اللجنة أن الحادثة دليل جديد على تجدّد الحملة وبقوة ضد المحجّبات في تونس، كما جرت العادة مع انطلاق كل سنة دراسية، وكذلك مع بداية كل شهر رمضان. وناشدت كلّ المنظمات والهيئات، والشخصيات الحقوقية والدعاة والعلماء: الوقوف بحزم في وجه إدمان السلطات التونسية استضعاف النساء المحجّبات وترويعهنّ.■

ماليزيا: الحكومة تتوعّد بمنع وصول «أنور إبراهيم» للسلطة!

أنور إبراهيم

عبد الله بدوي

تعهّد رئيس وزراء ماليزيا «عبدالله أحمد بدوي» بإفشال ما وصفه بمخطط زعيم المعارضة «أنور إبراهيم» للاستيلاء على السلطة، وأنكر ما تردّد عن محاولة الحكومة دفع نواب برلمانيين للسفر خارج البلاد لمنعهم من الانضمام لصفوف المعارضة.

وقال بدوي: «إن أنصار ائتلاف الجبهة الوطنية الحاكم لن يتخلوا عن الحزب لمنح المعارضة امتياز تكوين حكومة يوم ١٦ سبتمبر الجاري». وجاء هذا التصريح بعد تهديد أنور إبراهيم باستقطاب عدد من نواب الحزب الحاكم وإحداث تصدّع داخل الجبهة التي تحكم ماليزيا منذ ٥١ عاماً.

وكان «إبراهيم»، الذي أُقيل من منصب نائب رئيس الوزراء عام ١٩٩٨م، قد فاز مؤخراً بانتخابات فرعية بمنطقة «بيرماتانج باوه» الريفية بولاية «بينانج» الشمالية ليعود إلى البرلمان رئيساً لتحالف المعارضة «باكاتان راكيات» الذي يسيطر على ثلث مقاعد مجلس النواب.

ويحتاج إبراهيم إلى إقناع ثلاثين من نوّاب الحكومة في البرلمان بالانضمام إلى تحالفه حتى يتسنّى له تشكيل حكومة، وهو ما يرى محلّلون سياسيون أنه «أمر صعب ولكنه ليس مستحيلاً».■

الصين تمنع صلاة التراويح والأنشطة الإسلامية في إقليم «سينكيانج»!

قامت السلطات الصينية بمنع صلوات الجماعة وتوزيع الأشرطة المسموعة والمرئية الدينية بين أبناء إقليم تركستان الشرقية (سينكيانج) ذي الأغلبية المسلمة؛ ضمن إجراءات أمنية بدأتها في رمضان.

ومنعت حكومة الإقليم موظفيها المسلمين والمعلمين والطلاب من صيام رمضان أو ممارسة أنشطة دينية، وقالت في بيان لها: «إن أي شخص يُعرف أنه يُجبر أشخاصاً آخرين على الصيام سيُواجَه بالعقاب»، في إشارة إلى الوعّاظ الذين يتحدّثون عن وجوب وفضائل فريضة الصوم.

وأصدرت السلطات أوامر إلى المطاعم بأن تفتح أبوابها في نهار رمضان، كما طالبت الرجال الملتحين بأن يحلقوا لحاهم والنساء اللواتي يرتدين الحجاب بنزعه، وإلا فإن الحكومة ستتخذ التدابير لإجبارهم على ذلك، ولم يوضح البيان ماهية هذه التدابير.■

اليابان: اهتمام واسع بالصناعة المالية الإسلامية

أعلنت شركة متخصصة في إدارة الاستثمارات الموافقة للشريعة في اليابان أنها تتطلع لإصدار نحو خمسين أو سبعين صفقة صكوك تبلغ قيمتها ١٠٠ مليون دولار في خلال أقلّ من عامين.

وأكّد رئيس شركة اليابان للتمويل الإسلامي «سيردار ايه باسارا» أن الصفقات تتمحور حول شركات إسلامية في اليابان، وتتعاون مع شركات مرتبطة بالبيئة وتكنولوجيا المعلومات، وسيتم بيع الصكوك لمصلحة مستثمرين مسلمين وغير مسلمين في اليابان.

وقال «باسارا»: «إن هناك طلباً متزايداً للمنتجات الموافقة للشريعة في اليابان، خاصة أن المنتجات التقليدية أصبحت محدودة جدًا؛ فالمنتجات الإسلامية توفّر فرصاً أكثر؛ إذ إنه ليس من السهل جمع أموال في اليابان من خلال المنتجات التقليدية».

وأوضح «باسارا» أن الشركة تعمل الآن على بناء بنية تحتية وإطار عمل قانوني لمساعدة الشركات على إصدار سندات إسلامية وتقليدية.■

قسّ مصري يهدّد بنشر رسوم مسيئة للرسول ﷺ وللقرآن الكريم!

هدّد قسّ مصري بعمل رسوم مسيئة للنبي ﷺ وللسيرة النبوية والقرآن ونشرها، وذلك بدعوى الردّ على تصريحات ومقالات زعم فيها إهانة د. زغلول النجار لـ«الكتاب المقدّس».

د. زغلول النجّار

وقال «الأنبا يوتا»، وهو أحد قساوسة النصارى الأرثوذكس: «رداً على إساءة زغلول النجار للكتاب المقدّس فإننا نستعد لعمل السيرة المحمدية بصورة هزلية وكاريكاتيرية، وبعدها القرآن، حتى يشعر المسلمون بنفس شعور المسيحيين (النصارى) عندما تُهان مقدّساتهم وتُجرح مشاعرهم»، بحسب قوله.

وأضاف: «إذا لم يتوقف فإنه في خلال عدة أشهر سيجد المسلمون أنفسهم في موقف لا يُحسدون عليه، حينما يرون مئات الصور والرسوم الكاريكاتيرية عن نبيّ الإسلام وعن سور القرآن تدخل بيت كل مسلم وتُنشر على الإنترنت، وستُترجَم وتُرسَل للصحف والمجلات العالمية»، زاعماً أن هذا من حقّهم!■

سفينة ثالثة لكسر الحصار تتوجّه إلى غزة أواخر رمضان

أعلنت «الحملة الأوروبية لرفع الحصار عن غزة» عن انطلاق سفينة جديدة في الأسبوع الأخير من شهر رمضان، من جزيرة قبرص نحو قطاع غزة، ضمن الأنشطة المبذولة لكسر الحصار الصهيوني الخانق لأهالي القطاع.

وقال رئيس جمعية «الحقوق للجميع» في سويسرا «أنور الغربي»، وهو عضو مؤسّس في الحملة الأوروبية لرفع الحصار عن غزة (مقرّها بروكسل): «إن القافلة الجديدة ستحمل على متنها ١٥٠ شخصاً من بينهم برلمانيون أوروبيون وشخصيات أممية، إلى جانب عدد من الإعلاميين والصحفيين»، رافضاً الإفصاح عن أسمائهم الآن «لاعتبارات أمنية».

وأشار إلى أن من بين القافلة أطباء متخصصين في أمراض مستعصية ونادرة، وسيبقون في القطاع لإجراء عمليات جراحية للمرضى هناك.

وأكد «الغربي» أن السفينة الجديدة لن تكسر حصار غزة فقط، بل ستكسر قيد تسعة ممن وصفهم بـ«العالقين الجدد»، وهم متضامنون أجانب من أصل أربعة وأربعين من سبع عشرة دولة أجنبية وصلوا قطاع غزة عبر سفينتيْ كسر الحصار قبل ثلاثة أسابيع.■

بنوك إيرانية تغزو العراق لممارسة غسيل الأموال

كشفت تقارير اقتصادية أن ثلاثة بنوك إيرانية، فتحت فروعاً لها في العراق، تمارس أنشطة وصفها مصرفيون وخبراء اقتصاديون بأنها غير قانونية ترمي إلى تبييض وغسيل أموال العراقيين.

وحصلت البنوك الثلاثة على موافقة السلطات العراقية على فتح فروع لها في بغداد والنجف والبصرة، وذلك ضمن مساعي طهران لتعزيز وجودها السياسي بنشاط اقتصادي يتيح لها المرونة في تعاملاتها التجارية بعيداً عن الرقابة الأمريكية. وكانت الولايات المتحدة قد فرضت قيوداً على أنشطة المصارف الإيرانية ذات الصلة بالبرنامج النووي الإيراني.

وقال محللون اقتصاديون: «إن البنوك الإيرانية تمارس أنشطتها المصرفية من دون رقابة حكومية؛ بسبب ضعف أداء وقدرة الجهاز المصرفي العراقي على رصد اتجاهات هذه البنوك التي تحوّلت إلى شركات لتوظيف الأموال بشكل غير مشروع واستثمارها بمشاريع وهمية».

وأضاف المحللون: «إن النشاط الاقتصادي الإيراني يهدف إلى نهب أموال العراقيين في مصارف وهمية ذات أهداف سياسية في محصلتها النهائية، وتكريسها لخدمة المشروع الإيراني في العراق».■

هامش الأخبار

• تُوفي في القاهرة يوم الأحد الماضي الأستاذ «عبدالوارث سعيد»؛ أحد الرعيل الأول للإخوان في مصر، ومن السابقين في خدمة الدعوة، ومؤلف كتاب «قصة حياة الإمام البنّا.. رجل أيقظ أمة». وقد عاصر الإمام الشهيد «حسن البنّا»، وكان رمزاً للأخوّة والإخلاص والجَلَد أثناء فترة اعتقاله في الستينيات، وقد عمل - يرحمه الله - مدرساً للغة العربية للناطقين بالإنجليزية لمدة تزيد على عشرين عاماً بجامعة الكويت ثم غادر الكويت للعمل بالجامعة الإسلامية في الولايات المتحدة.

• تبدأ مدارس حكومية في ألمانيا الاعتماد على أوّل كتاب مدرسي رسمي لتدريس «الدين الإسلامي»، بعد أن كانت بعض الولايات تعتمد على الجهود الذاتية لمعلّمي هذه المادة؛ في تحديد ما يتضمّنه المنهج الخاص بتدريس الإسلام.

• أطلق نشطاء ينتمون للإخوان المسلمين بمصر موسوعة إلكترونية للجماعة، على غرار الموسوعة الحرة للمعرفة «ويكيبديا»، لحصر وجمع وتوثيق أكبر قدر من المعلومات والبيانات والصور الموثقة والمنشورة حول الجماعة، من مصادرها الرسمية وغير الرسمية.

• أكّدت وزارة حقوق الإنسان العراقية وجود ١٤ معتقلاً كبيراً، و٣٥ سجناً مؤقتاً؛ موزّعة في أرجاء البلاد، كما أكّدت لجنة تفتيش السجون والمعتقلات، التابعة للوزارة، وجود ٤٧٤٤٥ معتقلاً فيها؛ بينهم ٢٣٢٢٩ معتقلاً في سجون خاضعة للاحتلال.

• ذكرت صحيفة «معاريف» العبْرية أن الحكومة الصهيونية قرّرت تهجير ٧٢٣٢ يهودياً هندياً إلى الأراضي المحتلة خلال عامين؛ لضمّهم إلى المستوطنات الجديدة التي يتمّ بناؤها في القدس، رغم أنف المجتمع الدولي الذي يطالب بوقف ذلك!!■

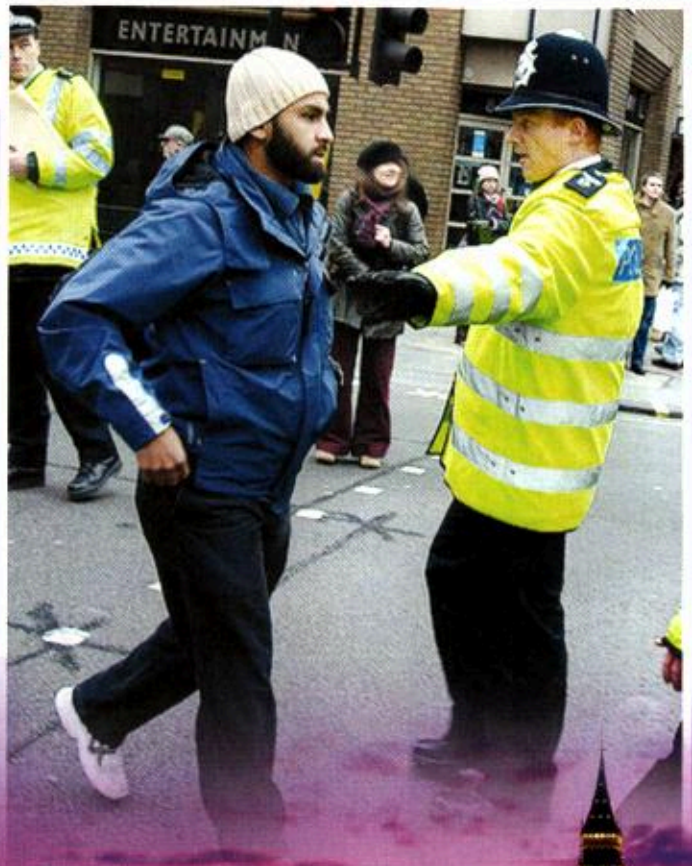

تنشر عدواه في المجتمع كتابات تحريضية مضلِّلة وممارسات عنصرية حاقدة

بعد مرور ثلاث سنوات على تفجيرات «لندن»، مازالت تداعيات الحدث تتضاعف، إذ أدّت إلى بثّ الفتنة، وإلقاء ركام المصاعب الهائلة على أكتاف المسلمين البريطانيين الذين وُلد نصفهم في هذه البلاد، ويوماً بعد يوم يجدون أنفسهم غرباء في ديارهم، مكروهين من أبناء مجتمعهم، الذين استطاع الإعلام البريطاني أن يصيبهم بطاعون حديث يصْعُب الشفاء منه، وتنتقل عدواه الرهيبة من خلال أوراق الصحف، وذبذبات الصوت، وأطياف الشاشات التي تكيد للإسلام كيداً!

«الخوف من الإسلام»... مرض بريطاني

٣٦٪ من المسلمين يتعرّضون للاعتداءات.. و٧٠٪ من البريطانيين يعترفون بزيادة تعصبهم ضد الإسلام منذ حوادث «لندن» عام ٢٠٠٥م

لندن: د.أحمد عيسى

مرض بريطانيا الجديد ولدته طفيليات العنصرية، وفضلات الاستكبار، وبُثور الكراهية.. وتنتشر العدوى وتستشري بتكاثر الميكروب في حِبْر الكُتّاب الحاقدين، ولُعاب الساسة المبغضين، والكهنة الناقمين.. أما المضادّ الحيوي لهذا المرض فلم يُنتَج بعد، والأمل في أبناء المسلمين أن يستخرجوه من معامل العدل والسماحة والصبر والمقاومة.

«الخوف من الإسلام مرض بريطانيا الجديد» هكذا نشرت صحيفة «ذي إندبندنت» اللندنية مقالاً على صفحتين كاملتين في الرابع من يوليو الماضي(١). ويقول كاتب المقال «بيتر أوبورن»: «إن نظرة الشك تجاه المسلمين البريطانيين قد وجدت طريقها إلى المجتمع الواسع ولا يبدو أن أحداً ما يكترث لذلك»، مشيراً إلى أن الفجوة تتسع أكثر فأكثر بين المسلمين وباقي المجتمع في بريطانيا. ويضيف: «في بريطانيا اليوم، ثمة تعميق لعدم الثقة بين التيار الرئيس للمجتمع والمجتمعات الإسلامية الأكثر عزلة من أي وقت مضى، وبدأت ثقافة العنف والاحتقار تظهر في شوارعنا».

وفي سياق المقال يذكر الكاتب حوادث اعتداء يتعرض لها مسلمون، وبخاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، دون أن يتطرق لها الإعلام بشكل كاف. ويقول الوزير المسلم «شهيد مالك»، الذي عينه رئيس الحكومة «جوردون براون» وزيراً للتنمية الدولية في الصيف الماضي: «إنه تعرّض شخصياً لسلسلة من الاعتداءات العنصرية، منها إحراق سيارة عائلته، ومحاولة صدمه بسيارة في إحدى محطات الوقود».

كيلٌ بمكيالَيْن!

في مطلع شهر يوليو الماضي، حُكم بالسجن لمدة ١٦ عاماً على «مارتن جيلارد»، أحد المتعاطفين مع النازية في شرق «يوركشر»، وقد عثرت الشرطة في منزله على أربع قنابل مسامير، ورصاص، وسيوف وفؤوس وسكاكين. وقال «جيلارد»: «إنه كان يستعد لحرب ضد المسلمين».

كما عُثر على مذكرة كتب فيها: «لقد سئمت من الاستماع إلى كلام القوميين عن قتل المسلمين، وتفجير المساجد، ورد العدوان، ولكنني رأيت فشل هذا النوع من المقاومة.. لقد حان الوقت للتوقف عن الكلام والبدء في العمل».

ومضت القضية دون ضجة، ولو كان الذي عُثِر في منزله على بعض هذه الأسلحة، والتخطيط لاعتداءات عنيفة هو أحد المسلمين، لكانت القصة أكبر من ذلك بكثير.

وفي تحقيق للكاتب نفسه «بيتر أوبورن» لبرنامج Dispatches بالقناة الرابعة بالتلفزيون الإنجليزي(٢) بمناسبة مرور ثلاث سنوات على حوادث «لندن»، كشف العديد من حوادث العنف والاعتداءات على المسلمين، مع عدد قليل جداً من المبلّغ عنها؛ تلك التي لا تحصل على أي دعاية تقريباً.

وجاء في البرنامج أن ٦١٪ من المسلمين قالوا: إن التطرف ضدهم زاد بعد حوادث ٧ يوليو ٢٠٠٥م في «لندن»، وأن ٣٦٪ منهم تعرضوا للاعتداءات بشكل أو آخر. ويعترف ٧٠٪ من البريطانيين أنفسهم، طبقاً لاستبيان البرنامج، بزيادة تعصبهم ضد المسلمين منذ حوادث «لندن».

المضاد الحيوي لهذا المرض لم يُنتج بعد.. وعلى الأجيال المسلمة الجديدة أن تستخرجه من معامل العدل والسماحة والصبر والمقاومة

تضليلٌ إعلامي

هناك سبب لهذا العمى في وسائل الإعلام؛ فقد أصبح الاتهام المنهجي للمسلمين جزءاً مهمّاً من اللهجة الأساسية لوسائل الإعلام البريطانية والطبقة السياسية، وصار الأمر راسخاً وجزءاً لا يتجزأ من النقاش الاعتيادي، وتذهب الاحتجاجات أدراج الرياح ودون أن يلاحظها أحد، كما كان من الدراسة التي رعاها عمدة لندن السابق «كين ليفنجستون»، ووجدت أن ٤٪ فقط من المقالات الصحفية فيها جزء إيجابي لصالح المسلمين.

وعرض البرنامج بعض النماذج التي اتضح فيها الغش والتلفيق الصحفي والتضخيم الذي هدفه التخويف من المسلمين، مثل ما ذُكر عن أن الممرضات أُمِرْنَ أن يقلِبْنَ كل أسرَّة المرضى المسلمين وجهة الكعبة! والحقيقة أن أحد المرضى كان على فراش الموت ووُجِّه نحو القبلة ساعة الاحتضار.

ومنها ما ذكرته إحدى الصحف من

أن عصابة من المسلمين دمرت بيتاً أُعدَّ لاستقبال بعض (أبطال) الجيش البريطاني العائدين من «أفغانستان»، والتقى محرر البرنامج مع ضابط المباحث للمنطقة الذي أكد له أنه لا يوجد أي دليل أن الذي خرب البيت هم من المسلمين، وبعد شهور أعلنت الصحيفة ما قاله البوليس، ولكنها لم تعتذر قط للمسلمين عن اتهامها لهم.

وفي صحيفة أخرى كان الموضوع (آلاف من المرضى معرضون للإصابة بميكروب خطير؛ لأن طالبات الطب المسلمات يرفضن تنفيذ الاحتياطات الجديدة، أي رفع أكمامهن لغسل وتطهير اليدين والذراعين).. وذهب المحرر إلى جامعة «ليستر» مصدر القصة المحرفة، وقابل الأساتذة والطلاب ليجد أن المسلمات يتبعن النظام، ورفضت الصحيفة نشر الاعتراض الذي تقدمت به الجامعة للمحرر، فضلاً عما يُكتَب في قضايا الحجاب، والنقاب، والزواج، والمدارس، والشريعة.

تطوّر خطير

وقامت القناة الرابعة بتكليف باحثين في كلية الصحافة والإعلام بجامعة «كاردف» للنظر فيما تبثه وسائل الإعلام عن الإسلام والمسلمين في بريطانيا، ودرسوا عينة من ألف مقال (من جملة ٢٣ ألف مقال) منذ عام ٢٠٠٠م، فوجدوا أن ٦٩٪ من مقالات الصحف تصور المسلمين على أنهم مصدر المشكلات (المشكلات وليس الإرهاب فحسب)، وأن ٢٦٪ من المقالات تصور الإسلام على أنه دين خطير ورجعي وغير منطقي، وأن ٢٪ فقط مما نُشِر يقول: إن المسلمين يؤيدون القيم البريطانية.

كما وُجد أن الصحف تربط بين المسلمين والتهديد بالإرهاب في ٣٤٪ من المقالات، وأن الإسلام يهدد طريقة الحياة البريطانية في ٩٪، واستُخدِم تعبير «صراع الحضارات بين الإسلام والغرب» في ١٤٪ من الكتابات.

وتتكرر الصور في الصحافة البريطانية في وصف المسلمين بالإرهاب والتطرف ومعاداتهم للثقافة البريطانية، وتهدف الصحافة من التكرار إلى غسيل مخ الجمهور وتثبيت العداء للمسلمين كل المسلمين، وللإسلام كل الإسلام، وفي هذا العام زاد معدل الكتابة عن الإسلام والثقافة والحضارة والحياة الاجتماعية أكثر من الحديث عن الإرهاب

دراسة أكاديمية بريطانية أثبتت أن:

- ٦٩٪ من مقالات الصحف تصوّر المسلمين على أنهم مصدر المشكلات
- ٢٦٪ منها تصوّر الإسلام على أنه دين خطير ورجعي وغير منطقي
- ٣٤٪ من المقالات تربط بين المسلمين والتهديد بالإرهاب
- ٩٪ منها تزعم أن الإسلام يهدّد طريقة الحياة البريطانية
- ١٤٪ من الكتابات تستخدم تعبير صراع الحضارات بين الإسلام والغرب
- ٤٪ فقط من المقالات بها جزء إيجابي لصالح المسلمين
- ٢٪ فقط منها تقول: إن المسلمين يؤيّدون القيم البريطانية

«كين ليفنجستون»: الاتهام المنهجي للمسلمين أصبح أمراً راسخاً في الخطابين الإعلامي والسياسي.. وأضحى جزءاً رئيساً في النقاش الاعتيادي

الوزير المسلم «شهيد مالك» تعرّض لاعتداءات عنصرية.. مثل إحراق سيارة عائلته ومحاولة صدمه بسيارة في إحدى محطات الوقود!

(٣٢٪ مقابل ٢٧٪). وهو تطور خطير قال عنه البروفيسور «جوستين لويس» الأستاذ بجامعة «كاردف»: «إنه تحول خطير؛ لأن اتهام كل المسلمين بالإرهاب قد لا يجد آذاناً صاغية، ولكن اتهام المسلمين بكراهية طريقة الحياة الغربية سيجد نسبة كبيرة من المصدقين، وهو يضع جبالاً من الأعباء على أكتاف المسلمين.

وعرض البرنامج بعض الكتابات الحاقدة لـ«باتريك أوفلن» من صحيفة «ذا دايلي إكسبرس»، و«تريفور كافانا» من صحيفة «ذا صن».

كتاباتٌ تحريضية

في عام ١٩٩٧م، عرّف التقرير التاريخي لهيئة «رنيميد» كراهية الإسلام على أنها «نظرة عالمية تنطوي على خوف وكراهية للمسلمين، لا أساس لهما؛ مما يؤدي إلى ممارسات الاستبعاد والتمييز». وتوجد هذه الكراهية في أفضل الأوساط: بين الروائيين الأكثر شهرة، وبين كُتّاب الأعمدة بالصحف، وفي كنيسة إنجلترا.

ممارسو هذه الكراهية يقولون: إن «الإسلام فوبيا» (الخوف النفسي من الإسلام) لا يمكن اعتباره كمعاداة السامية أو اليهود؛ لأن «الإسلام فوبيا» هي كراهية لأيديولوجيا أو دين، وليس للمسلمين أنفسهم، وهذا يعني عدم وجود حماية اجتماعية أو سياسية أو ثقافية للمسلمين. لذا نجد أن الهيئات السياسية والإعلامية والأدبية لا تمارس قواعد اللعبة والمواجهة، من حيادية وشرف ومساواة.

ومن أمثلة ذلك قول المؤلف «مارتن أميس»: «على المجتمع المسلم أن يعاني إلى أن يرتب بيته من الداخل، فلا يُسمَح للمسلمين بالسفر إلى بريطانيا، ويأتي الترحيل بعد ذلك، بالإضافة إلى الحد من الحريات، والتفتيش بطريقة التجريد والتعرية لكل من يُشبه مَن جاء من الشرق الأوسط أو باكستان، وغيرها من أساليب التمييز؛ حتى يتألم المجتمع ككل ويبدأ المسلمون في التعامل بقسوة مع أولادهم».

وهنا يقوم «أميس» بأكثر بكثير من مجرد إهانة المسلمين، إذ يستخدم أحط لغة بربرية للفاشية، ومع ذلك فلا تزال كتبه تُباع، ويُحتفَل به.. وتفوح مثل هذه اللغة من أعمدة «توينبي»، و«ليدل»، وينسخ أعمالهما الحزب القومي البريطاني المتطرف.

تأجيجُ العداء

وعلى مستوى أوروبا، أسقطت الأحزاب اليمينية المتطرفة العداء التقليدي للأقليات من اليهود، والمثليين جنسياً؛ ففي بريطانيا أدرك الحزب القومي البريطاني المتطرف، أن حملات معاداة السامية ومعاداة السُود لن تجدي إذا كان الحزب جاداً في النجاح بالانتخابات. وكي يتم لهم الانتقال إلى احترام الشارع، فهم بحاجة إلى قضية تتيح لهم استغلال مخاوف الناس من المهاجرين والمجتمعات المحلية للأقليات العرقية دون أن يحمل الحزب علامة عنصرية المتطرفين، ووجدوا تلك القضية في الإسلام.

«بيتر أوبورن»: الفجوة تتسع ونظرة الشك تجاه المسلمين وجدت طريقها إلى المجتمع.. ولا يبدو أن أحداً يكترث بذلك

«جوستين لويس»: اتهام المسلمين بكراهية الغرب يجد كثيراً من المصدّقين.. وهو تحوّل خطير يضع جبالاً من الأعباء على أكتافهم

فمنذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وبعدها ٧ يوليو ٢٠٠٥م، بدأ تأجيج المشاعر المعادية للمسلمين. ووصف زعيم الحزب القومي البريطاني «نيك جريفين» الإسلام بأنه «عقيدة شريرة وشرسة»، وحاول أن ينأى بنفسه وحزبه عن معاداة السامية في الماضي، فأوقف أعضاء الحزب مناقشة محرقه اليهود، وأمروا بأن يكون التركيز على الإرهاب، وشرور الإسلام، والقصص المخيفة عن أن بريطانيا ستصبح دولة إسلامية.

ومع ذلك تتعالى الآن بعض الأصوات المُنصفة الخافتة، مثل «بيتر أوبورن»، في وجوب منح المسلمين الحماية نفسها التي تحظى بها كل فئات المجتمع البريطاني. ويقول: «ينبغي لنا جميعاً أن نشعر بالخجل إزاء الطريقة التي نعامل بها المسلمين في وسائل الإعلام، في سياستنا، وفي شوارعنا؛ فنحن لا نعامل المسلمين بالتسامح، والإنصاف، واللياقة التي غالباً ما نفخر بكونها الطريقة البريطانية.. نحن بحاجة ماسّة إلى تغيير الثقافة العامة».

وأقول: نحن . مسلمي بريطانيا . بحاجة ماسّة كذلك إلى تغيير ما بأنفسنا من معصية وضعف وتفرق وغفلة وجهل وانطواء وانعزال وخلط بين الدين والعادات، حتى نساعد المجتمع البريطاني جلّه أو بعضه على أن يُشفَى من مرضه المُهلِك!■

الهوامش

(1)The enemy within? Fear of Islam: Britain's new disease
By Peter Oborne
TheIndependent,Friday, 04 July 2008.
(2)UK Channel 4- Dispatches - It Shouldn't Happen to a Muslim
Monday, 07 July 2008.

مخطط «فتح» لإنهاء الوجود الإسلامي المسلّح في مخيم «عين الحلوة»

عاصمة الشتات الفلسطيني في لبنان.. على حافّة الانفجار

مع تطوّرات الأحداث خلال الأسابيع الأخيرة، اجتمعت عوامل كثيرة كانت كافية لتفجير الوضع في مخيّم «عين الحلوة» عاصمة الشتات الفلسطيني في لبنان، لكن هذه التطورات مرّت بسلام وبأدنى حدٍّ من الخسائر؛ بسبب توازن القوى القائم، وإدراك كل طرف لخطورة المواجهة وتكلفتها.. فالأحداث التي شهدها المخيّم مؤخراً لم تكن سهلة أبداً، ففي ٢١ يونيو الماضي استهدف انفجار قوي القائد العسكري لتنظيم «جند الشام» المنحلّ «عماد ياسين»، والذي نجا منه بأعجوبة، ولكنه صار خارج أي مواجهة عسكرية لاحقة.

بيروت: فادي شامية

أما المتهم من وجهة نظر «الإسلاميين» فقد كان حركة «فتح»، وعلى هذا الأساس جرت مواجهتان محدودتان بين بقايا عناصر «جند الشام»، وحركة «فتح» في الثاني والتاسع عشر من يوليو الماضي، وفي المواجهتيْن بقي تنظيم «عصبة الأنصار» خارج المواجهة، رغم تعاطفه مع عناصر «جند الشام».

ضربة قاسية

وفي ٢٠ يوليو الماضي، تلقّت أوساط القوى الإسلامية المسلّحة في «عين الحلوة» ضربة قاسية باغتيال «شحادة جوهر»، المسؤول البارز في «جند الشام»، وكان يُعرف عنه أنه مقاتل صعب المِراس، لما قام به في ساحات القتال في لبنان والعراق، وقد نجا من العديد من محاولات الاغتيال السابقة، وهو مطلوب للأجهزة الأمنية اللبنانية والدولية.

وقُتِل مع «جوهر» أحد عناصر «عصبة الأنصار» أيضاً، بشكل غير مقصود، الأمر الذي وتّر الوضع بشدة، حيث سَرَتْ شائعات عن احتمال قيام حركة «فتح» بنقل عناصر ومقاتلين من مخيّم «الرشيدية» إلى مخيّم «عين الحلوة»؛ لمواجهة «عصبة الأنصار» في

المخيّم على أعتاب مواجهة قاسية بين «فتح» التي ولّى زمن سيطرتها.. و«عصبة الأنصار» التي تؤكّد أنها ستقاتل حتى الموت

معركة حاسمة.

وعلى إثر تدخّل الوسطاء في المخيّم وخارجه، تحت هاجس الخوف من تحوّل «عين الحلوة» إلى «نهر بارد» آخر، هدأت الأوضاع نسبياً، غير أن الأجواء عادت للتوتّر عندما وقع انفجار في ٢٩ يوليو، استهدف المسؤول العسكري في حركة «فتح»، الملقّب بـ«طلال الأردني»، فأصيب بجروح وفقد إحدى عينيه، وفُهِم أن العملية ردٌّ من «الإسلاميين» على حركة «فتح»، الأمر الذي جعل المخيّم على أعتاب مواجهة قاسية بين طرفيْ المعادلة العسكرية: «فتح» و«عصبة الأنصار».

مواقف متباينة

وبعد الساعات التي تلت محاولة اغتيال المسؤول في حركة «فتح»، كانت بعض «الرؤوس الحامية» في حركة «فتح» تدفع نحو المواجهة، على أساس أن كسر «عصبة الأنصار» وإخراجها من معقلها في حي الطوارئ، سينهي الوجود «الإسلامي» المسلّح من المخيّم، وسيسمح لحركة «فتح» ببسط سيطرتها بالكامل على المخيّم.

وكانت التقديرات أن حجم «العصبة»

العسكري لا يتعدّى مائتيْ مسلّح في أقصى حدٍّ، في حين أن بإمكان «فتح» حشدَ عشرة أضعاف هذا العدد خلال ساعات، ولم يكن هذا ما ترمي إليه حركة «فتح»، لا على المستوى السياسي، ولا حتى العسكري.. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن العميد «منير المقدح»، المشرف العام على مقاتلي «فتح» في لبنان، كان أحد أبرز سعاة التهدئة، كما أن موقف ممثّل منظمة التحرير في لبنان، «عبّاس زكي»، كان حاسماً من أجل تفادي الاقتتال الداخلي مهما كان الثمن.

سلطان أبوالعينين

عباس زكي

منير المقدح

أبوشريف عقل

وعلى النقيض من ذلك يأتي موقف أمين سر حركة «فتح» العميد «سلطان أبوالعينين»، وبعض الضباط المرتبطين به في مخيّم «عين الحلوة». وتقوم نظريته على الآتي: «فلندفع الثمن مرة واحدة، ونسيطر على المخيّم، فيعمّ الهدوء، ونقضيَ على المتطرّفين، وهذا سيجعلنا نسير في الخطّ الذي يشتهيه كلّ الذين يحاربون «القاعدة» وأشباهها في لبنان وخارجه».

رسالة «العصبة»!

وبينما كان التوتّر في المخيّم قد بلغ أقصاه، كان هناك من نقل بعضاً من أجواء النقاش الدائر في أوساط «فتح» حول حسابات المواجهة مع «عصبة الأنصار»، وعلى عجل عقد مسؤولو «عصبة الأنصار» الكبار (أبو شريف، وأبو عبيدة، وأبو طارق) اجتماعاً تقرّر خلاله توجيه رسالة واضحة إلى «الذين يحلمون بالقضاء على عصبة الأنصار»، انطلاقاً من «أن الإسلاميين في المخيّم لم يعودوا حالة محدودة، وأن زمن سيطرة فتح قد ولّى، وأن الآخرين إذا كانوا قد سوّوا أوضاعهم القانونية، فإن شريحة واسعة من المنتمين إلى عصبة الأنصار مطلوبون للدولة اللبنانية، وهم سيقاتلون حتى الموت».

ونتيجة لذلك تقرّر تنفيذ استنفار مسلّح يومَيْ ٣٠ و٣١ يوليو في حي «الطوارئ»، وأحياء أخرى لم تكن محسوبة على «العصبة»، وقد ظهرت فيه أعداد غير

بعض رؤوس حركة «فتح» ترى أن كسر «عصبة الأنصار» وإخراجها من معقلها سينهي الوجود «الإسلامي» المسلح في المخيّم

متوقّعة من المقاتلين الملثّمين والمدجّجين بالسلاح... كان المشهد مرعباً، لكن الرسالة كانت أيضاً قد وصلت!

وفي اليوم التالي، بدأت أوساط «العصبة» تشيع أن بمقدورها «استنفار ألف مقاتل، ممّن يحبّون الموت»، وهو رقم به مبالغة كبيرة، لكن العارفين بأجواء المخيّم يقولون: إن أرقاماً أكبر بكثير مما تظن حركة «فتح» ستكون إلى جانب «عصبة الأنصار» إذا ما اندلعت مواجهة يشعر فيها عموم «الإسلاميين» بالخطر.

بعد الاستنفار المسلح رفعت «عصبة الأنصار» من سقف مطالبها، بالتوازي مع رفضها الاشتراك في الاجتماعات التي تُعقد في العادة للتهدئة، إذ اعتبرت أن اغتيال «شحادة جوهر»، ومن قبله إصابة «عماد ياسين»، تم تنفيذهما بقرار سياسي رفيع المستوى في «فتح» وليس بقرار فردي.. وقالت: «إن المتورّطين بهذه العمليات معروفون، ويجب إحالتهم إلى لجنة تحقيق لمحاسبتهم، وسنثأر منهم إذا لم يُسلَّموا ويُحاكَموا.. فالمعركة لم تعد مع بقايا «جند الشام»، وإنما صارت مع «عصبة الأنصار» مباشرة، وإذا كان البعض يريد مغازلة مخابرات الجيش أو «حزب الله» على حسابنا (على خلفية توتّر العلاقة بين الحزب والعصبة بعد السابع من مايو)، أو التقرّب إلى القوات الدولية والدول التي تنتمي إليها، فإننا نعرف كيف ندافع عن أنفسنا».

توازن الرعب المتبادل

وفي الحقيقة أن توترات شهر يوليو الماضي أعادت إرساء معادلة توازن الرعب المتبادل، إذ يدرك الطرفان: «فتح» ومن ورائها فصائل منظمة التحرير، و«عصبة الأنصار»، ومعها الإسلاميون في المخيّم، أن حسم أحدهما للمعركة شبه مستحيل، في ظل موازين القوى الحالية، فضلاً عن أن أحداً منهما لا يجرؤ على تحمّل كلفة أخذ المخيّم إلى حمام من الدماء، وبالتأكيد فإن لا مصلحة لحركة «فتح» في ذلك وهي «أمّ الصبي» كما يُقال، ولا مصلحة لـ«الإسلاميين» في ذلك لإدراكهم أن المخيّم هو آخر معقل لهم في لبنان، ولا يمكن في حال تغيّر الأوضاع فيه أن يكون لهم ملجأ آخر يتمتعون فيه بحرية حركة مماثلة.

من أجل ذلك، فإن كلاً من الطرفين يسجّل في مرمى الآخر، أو يقلّم من أظافره، من دون أن يتورّط في أتّون المواجهة الشاملة، إلا إذا شعر بأن وجوده مهدَّد، أو إذا كانت عوامل الفتنة أكبر من موجبات التعقّل، إذ من المعروف أن المخيم يضجّ اليوم بعناصر مخابرات متعدّدة تعمل لصالح جهات إقليمية ودولية، ولكلٍّ منها أجندة خاصة، وفق ما يتوافق مع مصالح الجهة التي تعمل لحسابها.

وعلى هذا الأساس، فإن ثمّة توترات تظهر بين الحين والآخر لأسباب ظاهرة ومعروفة، ولكن في إطار أجواء وحسابات لا تخفى على المتابعين؛ إذ تبدو أرض المخيّمات الفلسطينية خصبة جداً لكل أصحاب المشاريع الداخلية والخارجية، من أجل توظيفها في حسابات خارجية، أو لاستمالة الواقع الفلسطيني وسلاحه لصالح هذا الفريق أو ذاك، ولعل حالة التوتير الدائم، وحالات الانفجار الليلية المتنقّلة ليست إلا جزءاً من المحافظة على الأرضية المتوترة بانتظار توجّهات أخرى.■

هل تنجح فرنسا في إعادة «ولد الشيخ عبد الله» إلى سُدة الحكم من جديد؟

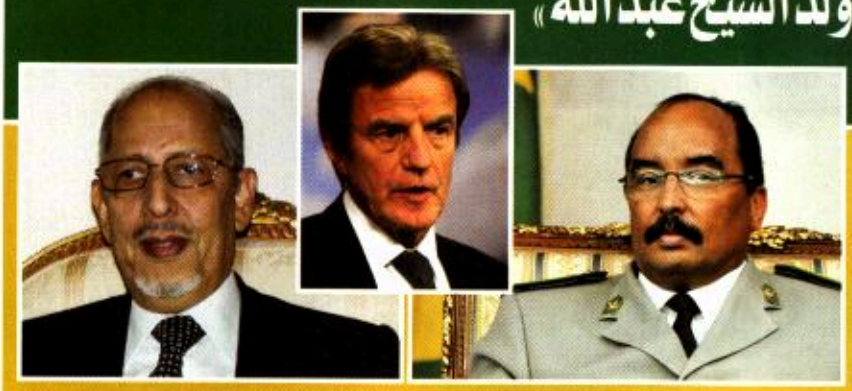

دخلت الأزمة السياسية في موريتانيا شهرها الثاني، وسط مخاوف جدّية من تدهور الأوضاع الأمنية، بعد الأزمة الخانقة التي تعيشها البلاد منذ الإطاحة برئيسها المنتخب «سيدي محمد ولد الشيخ عبدالله» في انقلاب عسكري على يد الجنرالات المقرّبين منه في السادس من أغسطس الماضي.

موريتانيا.. استمرار الأزمة والبحث عن مخرج

نواكشوط: سيد أحمد ولد باب

وقد انقسمت الساحة السياسية في البلاد إلى جبهتين: أولاهما: «الجبهة الوطنية لإعادة الديمقراطية»، التي ترفض الاعتراف بالأمر الواقع، أو التعامل مع المؤسسات التنفيذية، أو الدستورية التي أفرزها انقلاب الجنرال النافذ «محمد ولد عبدالعزيز»، ومن أبرز روّاد هذا الطرح رئيس البرلمان الموريتاني «مسعود ولد بلخير» الذي يقود حزب التحالف الشعبي التقدمي، و«محمد جميل ولد منصور» رئيس حزب التجمع الوطني للإصلاح والتنمية (تواصل)، الذي يمثل الإخوان المسلمين في موريتانيا، وحزب اتحاد قوى التقدم اليساري بزعامة «محمد ولد مولود»، وبعض فلول الحزب الحاكم سابقاً (عادل) الذي انضم أغلب قادته للحركة الانقلابية الجديدة.

• بينما يتزعم الجبهة الأخرى نواب البرلمان الموريتاني المنسحبون من حزب «عادل»، والبالغ عددهم ٦٧ نائبا: بقيادة النائب «يحيى ولد عبدالقهار»، وحزب الاتحاد والتغيير الموريتاني الذي يقوده الضابط السابق «صالح ولد حننا»، وبعض التشكيلات السياسية الصغيرة الأخرى، بعد أن تراجع زعيم المعارضة الموريتانية «أحمد ولد داداه» عن مواقفه السابقة مع رئيس حركة التجديد والقيادي الزنجي «مختار إبراهيما صار»، إثر رفض رئيس المجلس الأعلى للدولة «محمد ولد عبدالعزيز» إعطاء ضمانات سياسية بشأن المرحلة الانتقالية القادمة.

صراع داخلي

الأزمة السياسية في موريتانيا الناجمة عن انقلاب السادس من أغسطس تعمّقت خلال الأسابيع الأخيرة بفعل الصراع المحتدم بين أطراف المشهد السياسي، كما عمّقتها المواقف الخارجية التي مالت في مجملها لصالح المناوئين للانقلاب.

فقد بدأ الجنرال «محمد ولد عبدالعزيز» والفريق الداعم له معركة كسر العظام مع رئيس الجمعية الوطنية (الغرفة الأولى للبرلمان) ورئيس الجبهة «مسعود ولد بلخير» من خلال عقد دورة برلمانية تحت إشراف نائبه «العربي ولد جدين»، وهو قائد أركان سابق للجيش الموريتاني، وأحد الموالين للحركة الانقلابية، في محاولة لسحب البساط من تحت زعيم الأرقاء السابقين «مسعود ولد بلخير»، الذي رفض عقد الدورة البرلمانية مع نواب «الجبهة».

الأزمة تصاعدت بفعل الصراع المحتدم بين أطراف المشهد السياسي وميل المواقف الخارجية لصالح المناوئين للانقلاب

كما قام العسكريون بتوجيه تُهَم بالفساد لرئيس مجلس الشيوخ «با أمبارى»، الذي ينص الدستور على توليه مقاليد السلطة في البلاد بعد عجز الرئيس المنتخب عن تأدية مهامه، في محاولة لإجباره على الاستقالة من رئاسة المجلس، وقاموا كذلك بتنصيب لجنة برلمانية للتحقيق مع عقيلة الرئيس المخلوع «سيدي محمد ولد الشيخ عبدالله» بتهم تتعلق بالفساد، واستغلال النفوذ، ضمت عدداً من نواب المعارضة السابقة، وأبرز المساندين للانقلاب في مجلس الشيوخ.

في المقابل، صعّدت «الجبهة الوطنية لإعادة الديمقراطية للبلاد» من أنشطتها المناوئة لحكم الجيش، وحركت النقابات العمالية، ونزلت إلى الشارع في مسيرات تطالب بالإفراج عن رئيس البلاد المخلوع، وكثفت جهودها السياسية لإقناع القوى الخارجية بالضغط على قادة الإنقلاب، بل ذهب رئيس حزب اتحاد قوى التقدم «محمد ولد مولود»، وهو أحد أبرز منظريها، إلى توجيه دعوة صريحة للغرب بفرض حصار اقتصادي على موريتانيا؛ لإجبار العسكريين على التخلي عن السلطة وفرض المسار الديمقراطي في البلاد، وإن نفت الجبهة بشكل قاطع ما تردد عن دعوة أمريكية للتدخل العسكري في موريتانيا للإطاحة بالجنرال «عزيز».

وقد أقدم الجيش على اعتقال رئيس

الوزراء السابق ووضعه تحت الإقامة الجبرية في مدينة «المجرية» وسط البلاد، بعد رفضه الاعتراف بالوزير الجديد «مولاي ولد محمد لغظف»، وتلويحه بإجراء تعيينات سياسية الهدف منها التشويش على الحكام الجدد.

مواقف خارجية

وقد شكّلت المواقف الخارجية ضربة قوية لحكم الجيش، وخصوصاً بعد الإعلان عن تجميد الأموال التي حصلت عليها موريتانيا ضمن «اجتماع باريس ٢٠٠٧م»، والمقدّرة بمليارَيْ دولار، وانسحاب قطر من مشروع للحديد كانت تنوي إقامته شمال موريتانيا بتكلفة ناهزت ثلاثة مليارات، وإعلان الولايات المتحدة، واليابان، والأمم المتحدة، وفرنسا، تجميد مساعداتها لموريتانيا بعد الانقلاب الجديد، وتجميد البرلمان الأوروبي للأموال الموريتانية المستحقة مقابل الصيد في المياه الإقليمية، غير أن الموقف الفرنسي كان الأكثر إثارة بالنسبة للمتابعين.

ففرنسا التي راهن الانقلابيون على موقفها من الرئيس المخلوع «سيدي محمد ولد الشيخ عبدالله»، بعد الضربات الأمنية التي تلقاها رعايا فرنسيون في موريتانيا، نهاية عام ٢٠٠٧م ومطلع عام ٢٠٠٨م، فاجأت الجميع بمواقفها الصارمة تجاه الحركة الانقلابية، وأعلنت الرئاسة الفرنسية رفضها القاطع للانقلاب، كما رفضت الاعتراف بالنتائج المترتبة عليه، وعلقت تعاونها العسكري مع موريتانيا، وفرضت حظراً للسفر على أعضاء المجلس العسكري (١١ عضواً)، وأعضاء الحكومة الجديدة (٢٢ عضواً)، ولوّحت بعقوبات مالية وسياسية قد تطال بعض الداعمين لحكم الجيش، واستصدرت قراراً من مجلس الأمن يدين الانقلاب ويطالب بالإفراج عن الرئيس المخلوع، بدون أي شروط.

البحث عن حل

جرح الديمقراطية النازف في موريتانيا

جرح الديمقراطية النازف بات مثار قلق عربي ودولي بعد أن استفحلت الأزمة الداخلية وبات الجيش طرفاً فيها

منذ الإطاحة بالرئيس المنتخَب «سيدي محمد ولد الشيخ عبدالله» بات مثار قلق عربي ودولي بعد أن استفحلت الأزمة الداخلية في البلاد، وبات الجيش طرفاً فيها، وهو ما دفع الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي والجامعة العربية إلى التداعي لاجتماع طارئ في العاصمة الإثيوبية «أديس أبابا» لوضع خارطة طريق تمكن من إنهاء الأزمة السياسية، وعودة الشرعية الدستورية للبلاد.

الاجتماع الذي عُقد في الرابع من سبتمبر انتهى إلى توجيه دعوة للعسكريين بالإفراج الفوري عن الرئيس المعتقل، كما كلف المجتمعون رئيس مفوضية الاتحاد الإفريقي بلقاء الرئيس الموريتاني المعتقل والضباط والبحث عن حل للأزمة بالتعاون مع القوى السياسية في البلاد.

ووفق التسريبات المتوافرة حتى الآن، فإن النقاش ينصبّ على خارطة الطريق الفرنسية التي يُقال: إن وزير الخارجية الفرنسي «برنار كوشنير» سيناقشها خلال الأسابيع القادمة مع القوى السياسية في موريتانيا ضمن زيارته المرتقبة إلى «نواكشوط»، ومن أبرز بنودها:

١- الإفراج عن الرئيس الموريتاني «سيدي محمد ولد الشيخ عبدالله»، وإعادته إلى منصبه كرئيس منتخب لموريتانيا، والإعلان عن التراجع عن الحركة التصحيحة التي قادها الجيش.

وزير الخارجية الفرنسي يعتزم زيارة نواكشوط خلال الأسابيع القادمة لمناقشة حل الأزمة مع القوى السياسية الموريتانية

٢- الإبقاء على الضباط في مناصبهم القيادية التي كانوا يحتلونها قبل إقدام الرئيس «سيدي محمد ولد الشيخ عبدالله» على إقالتهم بشكل جماعي يوم السادس من أغسطس، قبل ساعات من الانقلاب الذي قاده قائد الحرس الرئاسي الجنرال «محمد ولد عبدالعزيز».

٣- تعجيل الانتخابات البرلمانية والرئاسية تحت إشراف دولي لاختيار مؤسسات دستورية جديدة، تُنهي حالة الاحتقان السياسي الحالي، وقد لا يكون الرئيس «سيدي محمد ولد الشيخ عبدالله» من بين المشاركين فيها شأنه شأن العسكريين.

٤- إجراء إصلاحات دستورية، تضمن توازن السلطة، ومنح البرلمان والوزير الأول المزيد من الصلاحيات لطمأنة القوى السياسية الأخرى، وتحديد جبهة النواب.

غير أن أبرز العقبات في وجه المبادرة الفرنسية الجديدة هي موقف رئيس المجلس العسكري الحاكم الجنرال «محمد ولد عبدالعزيز»، الذي أعلن صراحة رفضه لأي حل يكون من بين بنوده عودة الرئيس «سيدي محمد ولد الشيخ عبدالله» للسلطة، تاركاً المجال مفتوحاً أمام أي حلول أخرى، أو اقتراحات تتوافق عليها القوى السياسية في البلاد.

ومع ذلك، فقد أوفد الجنرال «عزيز» وزيره المقرّب منه في التشكيلة الوزارية الجديدة «ولد إبراهيم أخليل» إلى فرنسا للقاء المسؤولين والتباحث بشأن الأوضاع المستقبلية والحلول الممكنة، في وقت حدّدت فيه الجبهة الوطنية للدفاع عن الديمقراطية رئيس البرلمان «مسعود ولد بلخير» كمفوّض باسمها في أي اتفاق قد تتوصل إليه الأطراف.■

ما السر الخفي وراء عودة الجرائم الإرهابية في الجزائر بهذه الطريقة المروّعة التي تذكّر بسنوات منتصف التسعينيات؟ ومن يقف وراءها؟ ومن المستفيد منها؟ وهل ذهبت معالجات السلطة أدراج الرياح؟ ولماذا أصبح الإجرام محصوراً في منطقتَيْ «بومرداس» و«تيزي وزو» وفي بعض أحراش الشرق الجزائري؟

ثم كيف يمكن قراءة تصريحات «مدني مزراق» (قائد «الجيش الإسلامي للإنقاذ» سابقاً) في رده على وزير الداخلية «نورالدين يزيد زرهوني» الذي ما زال يمارس بعض الذاتية في التصريح عندما يقول حسب بعض الصحف: إنه لن يرخص بحزب لـ«مزراق» ما دام وزيراً للداخلية؟

التفجيرات الأخيرة.. من المستفيد منها؟ ولماذا الآن؟

زلزال العنف يضرب «مصالحة» الجزائر!

الجزائر: فاروق أبو سراج الذهب

إن حصيلة عدد ضحايا التفجيرات الأخيرة (٩٠ قتيلاً وأكثر من ١٥٠ جريحاً) هي التي تجعلنا نطرح كل هذه الأسئلة المشروعة، وتجعلنا أيضاً نبحث عن الحل ونواحي القصور في المعالجة، فذهاب عقيد ورائد في أسبوع واحد، واستهداف مدرسة الضباط في يوم مسابقة وطنية، يدل على أن هنالك لبساً في الأمر.. فكيف يعرف هذا الإرهابي المغمور في الغار والأحراش بموعد مسابقة من هذا النوع؟ لا بد من تدقيق الصورة كي تستقيم أي معالجة سواء كانت أمنية أو سياسية، وعندما ننظر ملياً فيما يحدث اليوم من رجوع جديد للعنف تحت مسمى بيانات «تنظيم القاعدة»، ونقرأ أيضاً التحليل الرسمي على لسان وزارة الداخلية بأن هؤلاء ينتقمون من العمليات التي نفذها الجيش الشعبي الوطني مؤخراً في «تيزي وزو»، وأن هذه العمليات الإعلامية هي لتعبئة صفوفها الممزقة والمتلاشية، والتي تعيش أيامها الأخيرة!

ومثل هذه التصريحات، حتى وإن كانت صحيحة، تُضعف من قدرة الدولة على مواجهة هذا الفيروس الإرهابي الذي نفذ بين العام الماضي والعام الحالي عمليات نوعية كبيرة، مثل: عمليات القصر الحكومي، والمجلس الدستوري، ومبنى مكاتب الأمم المتحدة، ومقرات الحرس الجمهوري والدرك، وأخيراً كمائن الضباط.

وهو الأمر الذي يتطلب أولاً قراءة صحيحة لما يحدث، ثم تعبئة الشارع الجزائري والأحزاب ومن يُعرفون بالتائبين، وكذا علماء الأمة وأئمتها، للقيام بأدوار التعبئة، وتوجيه الشباب إلى المعاني السامية للإسلام الحنيف.

تفسيرات اقتصادية

والسؤال الجوهري اليوم هو: ماذا نحن فاعلون لمواجهة هذا السرطان الذي أصبح ينتشر ويتوسع بعيداً عن منطق بقايا الإرهاب؟ والجواب يتطلب الإلمام بالموضوع والتجربة السابقة، والمبادرة إلى جمع كل الفاعلين لصياغة وثيقة جديدة لمحاصرة هذا الورم الذي أصاب الأمة، وأصبحت له أبواق هنا وهناك؛ تبرر له أعماله، وتؤصل له بالقواعد الفقهية.

التجربة الجزائرية غنيّة بالدروس التي تصلح لأن تكون أرضية لصياغة برامج عمل لمعالجة ظاهرة الإرهاب

الجميع يعلم اليوم أهمية الحديث عن التنمية، وفرص العمل، والسكن، ومواجهة الممارسات الإدارية السيئة، من رشوة ومحسوبية، فالوثيقة الحل ينبغي أن تتضمن كل ذلك، لأن ظواهر الانتحار والجريمة المنظمة التي تمتلئ بها أروقة المحاكم، تمثل الزاد الأساس لتغذية هذه الأعمال الإرهابية التي يذهب ضحيتها المدنيون والعسكريون لا فرق بين هذا وذاك.

ومن السهولة أن نذهب إلى تحليل الأوضاع من منطلق المواعيد السياسية القادمة التي تمثل الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩م أهم موعد فيها، لكن من الخطأ حصر القراءة في ذلك فقط بحكم أن المشروع الذي يؤمن به من ينفذ هذه العمليات مغاير تماماً لما تذهب إليه بعض القراءات التي تتحدث عن أن هنالك صراعاً داخل سرايا النظام السياسي، ومن مخرجاته الضغط بالأعمال الإرهابية.

وهي قراءة كان يلجأ إليها دائماً في القراءات الشخصية بين بعض الأوساط السياسية، والإعلامية، وحتى الشعبية، لكن هذه القراءة أثبتت التجربة ضحالة منطقها، نظراً لاعتبارات عديدة، أهمها أن

ضربات الإرهابيين هوجاء غبية قد يستفيد منها هذا أو ذاك، أو يوظفها لصالحه، ولكن ليس حتمياً أنه هو من يشرف على تنفيذها.

فالإرهاب يبحث لنفسه عن متنفس إعلامي وشعبي؛ ليقول: أنا هنا، وفي المقابل أيضاً الشعب والشارع الجزائري يقول: لا نريد تحاليل، ولا تفاسير، ولا تنديداً، ولا شجباً، ولا نريد تكرار مشاهد الصور المفجعة.. نريد سلماً ومصالحة، ونريد مبادرات جديدة لإنهاء هذا المسلسل الذي عمَّر في الجزائر طويلاً.

والتجربة الجزائرية غنية بالدروس والملاحظات التي تصلح لأن تكون أرضية لصياغة برامج عمل لمعالجة ظاهرة الإرهاب ولاسيما أن الجزائر جربت كل الحلول ورست تجربتها على مسار المعالجة بدل المواجهة، أو بالمعنى الجزائري «مشروع الكل الأمني لمكافحة الإرهاب».

فالجزائر عندما سارت في حل الأزمة بمنطق المكافحة الأمنية للإرهاب لم تنجح بالمرة، بل زادت النار اشتعالاً، ولكنها لما اهتدت إلى أساليب جديدة في المعالجة، وصلت إلى الاستقرار والسلم والأمن.

الحوار السياسي

في بداية الأمر اتخذت تسمية «الحوار» كوسيلة لحل الأزمة، ودعت السلطة إليه مجموعة من الشخصيات السياسية والحزبية، وتبنى «الحوار» مجموعة من الأحزاب، وعلى رأسها الأحزاب الثلاثة الفائزة في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩١م، وهي جبهة التحرير الوطني، وجبهة القوى الاشتراكية، والجبهة الإسلامية للإنقاذ، وأحزاب أخرى، على رأسها حركة «مجتمع السلم».

وهنا حدث الانقسام السياسي والإعلامي وحتى الشعبي، بين دعاة الحوار، ودعاة خيار المواجهة، المعروف إعلامياً باسم «خيار الاستئصال»، وتغلب التوجه الثاني سياسياً مما أدى إلى استفحال الأزمة الأمنية، ومع مرور الوقت أصبحت المصالحة الوطنية تفرض نفسها بقوة.

وبانسداد قنوات الحوار مع الشركاء السياسيين، وبالموازاة مع استفحال الأزمة الأمنية، استفحلت الأزمة السياسية أيضاً، وكان ذلك تحديداً في عام ١٩٩٥م، عندما عقدت سبعة أحزاب جزائرية اجتماعاً بالعاصمة الإيطالية روما، وتوصلت إلى التوقيع على أرضية سياسية تُعرف إعلامياً وسياسياً بـ«عقد روما للحوار مع السلطة»، لكن الحكومة الجزائرية رفضت تلك الأرضية «جملة وتفصيلاً».

مشروع المصالحة الوطنية يحتاج إلى جرعات أخرى من إطلاق الحريات السياسية وتحديث قطاع العدالة ومحاربة الفساد وفتح وسائل الإعلام للرأي الآخر

ويمكن القول: إن تلك الأرضية تُعد ثالث وثيقة تقترحها المعارضة لحل الأزمة، أي بعد لجنة السلام الوطني التي دعا إليها الشيخ «محفوظ نحناح» (يرحمه الله)، وكذا وثيقة الأحزاب السبعة التي دعت صراحة إلى تكوين حكومة مصالحة وطنية .

وقد ظهر مصطلح «الحوار السياسي» مع السلطة كبديل لكلمة «الحوار»، والحقيقة أن الحوار بين السلطة وبعض الأحزاب لم يتوقف، لكن الأحزاب التي تُعد معنية بالأزمة لم تكن شريكة فيه، إما لأنها لم تُدعَ إليه، أو لأنها قررت مقاطعته، بحجة أنها ترغب في «حوار بدون إقصاء»، وقد عبرت مجموعة «عقد روما» عن موقفها من ذلك الحوار بالعبارة التالية: «لا لحوار البعض مع البعض، ضد البعض، من أجل البعض».

وهكذا يمكن القول: إن «حواراً جاداً» يجمع جميع الشركاء السياسيين لم يحدث، لكن الرغبة في حل الأزمة ظلت قائمة، مما أدى إلى عقد «ندوة الوفاق الوطني» في عام ١٩٩٦م كشكل من أشكال تحقيق المصالحة الوطنية، إلا أن تلك الندوة بدورها لم تجمع حولها جميع الشركاء السياسيين، مما جعل بعض المحللين يصفونها بعبارة «ندوة شبه الوفاق الوطني»، ولم تفلح في وضع حد للتدهور الأمني، وعدم الاستقرار المؤسساتي. ثم حدث نوع آخر من الحوار، بين الحكومة وقادة الجبهة الإسلامية، لكنه لم يصل إلى أي نتيجة.

قوانين المصالحة الوطنية

وقد مرت التجربة بعدة مراحل وجرعات، نذكر منها:

«قانون التوبة والرحمة، ثم الهدنة

فبالموازاة مع الحوار السياسي بين الحكومة وبعض الأحزاب السياسية حدث توجّه نحو تطويق الأزمة الأمنية، كشكل من أشكال التصالح، وتجلّى ذلك في «قانون التوبة» أو «قانون الرحمة» عام ١٩٩٥م، والذي مكّن كثيراً من حملة السلاح من العودة إلى المجتمع.

وهذا القانون كان يرغب في وضع حد للنزيف الدموي، دون إشراك السياسيين الذين يعدون أنفسهم أطرافاً في الأزمة، وبالتالي لم يحقق نتائج كبيرة، واستمرت السلطة في محاولات المعالجة وعقدت جلسات حوار مع الجماعات المسلحة لأول مرة، وتوصلت الجلسات إلى الإعلان عن هدنة من طرف واحد، ولكنها لم تجد الغطاء السياسي الذي يبلورها في مشروع سياسي، وتم بموجب هذا الحوار إطلاق سراح قيادات الجبهة الإسلامية وأعضاء المكتب التنفيذي الوطني.

«الوئام المدني»

باستمرار تدهور الوضع الأمني، وانسداد الحل السياسي، تأزّم الوضع الجزائري أكثر، وازدادت المطالبة الخارجية بإيفاد لجنة تحقيق دولية في المجازر المرتكبة، وأحس الجزائريون بأن خطر التدخل الخارجي أصبح قائماً عندما حلّت بالجزائر بعثة الأمم المتحدة للإعلام والتقصي عام ١٩٩٨م، وهنا أصبح خيار المعالجة بجرعات إضافية يفرض نفسه أكثر من أي وقت مضى، فالإجراءات والآليات السياسية التي تم اتخاذها لم تحل الأزمة، ولم تصل إلى تحقيق الاستقرار.

لذلك أصبحت «المصالحة الوطنية» شعار كل المرشّحين السبعة لانتخابات الرئاسة عام ١٩٩٩م، وكان المرشّح الحر يومذاك السيد «عبدالعزيز بوتفليقة»، قد أعلن أنه «رجل المصالحة الوطنية».

وبعد فوزه، أعطى تسمية جديدة للمصالحة الوطنية، فأصبحت تحمل تسمية «الوئام المدني»، وقد صادق البرلمان الجزائري على قانون الوئام المدني، وزكّاه الشعب في الاستفتاء الشعبي عام ١٩٩٩م، بدون أي معارضة. وهنا أصبح مفهوم «المصالحة الوطنية» قاسماً مشتركاً بين الشعب، والأحزاب، والسلطة، لأول مرة منذ عام ١٩٩٢م.

مدني مزراق

نور الدين زرهوني

لماذا يصرُّ وزير الداخلية على عدم الترخيص بحزب سياسي لـ «مدني مزراق»؟

«الوئام الوطني»

في خضم الوئام المدني، خرج الرئيس «بوتفليقة» بمصطلح جديد، عندما أعلن عن رغبته في «ترقية الوئام المدني» إلى وئام وطني. وبقي مفهوم الوئام الوطني عرضة للتفسير والتأويل من قِبَل الإعلاميين والسياسيين.

وقد فهم بعض المحللين أن الوئام المدني، ليس سوى الشق الأمني للمصالحة الوطنية، ولا بد من استكمالها بالشق السياسي، وكان المراقبون يترقبون العهدة الثانية للرئيس «بوتفليقة» لكي يدخل الوئام الوطني حيز التنفيذ.

«المصالحة الوطنية الشاملة»

بعد فوز «بوتفليقة» بانتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٤م، كانت أهداف المصالحة الوطنية الأولى التي تجسدت في المطالبة بالحوار، قد تحققت في مجملها، وعادت الجزائر بقوة إلى المسار الديمقراطي، وخرج قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ من وراء القضبان، بعد أن استكملوا مدة العقوبة، ولم تصبح عودة الجبهة الإسلامية للإنقاذ للنشاط السياسي مطلباً ملحاً مثلما كان في السنوات الأولى للأزمة، ويمكن القول: إنه تلاشى مع مرور الوقت.

ولاستكمال حل الأزمة ومعالجة توابعها من ملف المفقودين والمفصولين من العمل والمهجّرين إلى الخارج والمحكوم عليهم، تم وضع «ميثاق السلم والمصالحة الوطنية» الذي توّج جرعات المعالجة في كل هذه الحالات واستفتي الشعب عليه وصوت بنعم عام ٢٠٠٥م.

جرعات أخرى

إن النموذج الجزائري يمكن تسميته بـ«مشروع معالجة»، لأنه استخدم كل الأساليب الممكنة وانتهى إلى المصالحة الوطنية، وهو ما يمكن الاستفادة منه على كل الأصعدة.

واليوم يحتاج مشروع المصالحة الوطنية إلى جرعات أخرى تحدثت عنها المادة (٤٧) من ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، كما ينبغي رعاية بعض مفردات الحياة السياسية المستقيمة التي تتيح للجميع التعبير عن الرأي، ومنها:

- إطلاق الحريات السياسية، والالتزام بميثاق الديمقراطية، ومتطلبات الجودة السياسية، وعلى رأسها تنظيم انتخابات تتمتع بشروط النزاهة، والتعددية، والحرية، والانتظام.
- تدقيق مشاريع التنمية ومحاربة الفساد.
- تحديث قطاع العدالة والوصول به إلى الاستقلالية، من خلال الفصل الواضح بين السلطات.
- الحرص على ترقية مفاهيم الحوار والإقناع وعدم الاستفزاز عبر وسائل الإعلام.
- ترقية عمل المسجد وتحديث دوره، وعدم احتكاره من طرف السلطة.
- الحرص على تنمية المرجعيات الدينية وإعطائها فرصة للقيام بأدوارها في أوساط الأمة.
- فتح وسائل الإعلام للرأي والرأي الآخر؛ ليحدث الحوار والتدافع في مساحات متساوية بين المواطنين.■

القوقاز.. بين تراجع روسيا وأطماع أمريكا وأوروبا (٥ من ٥)

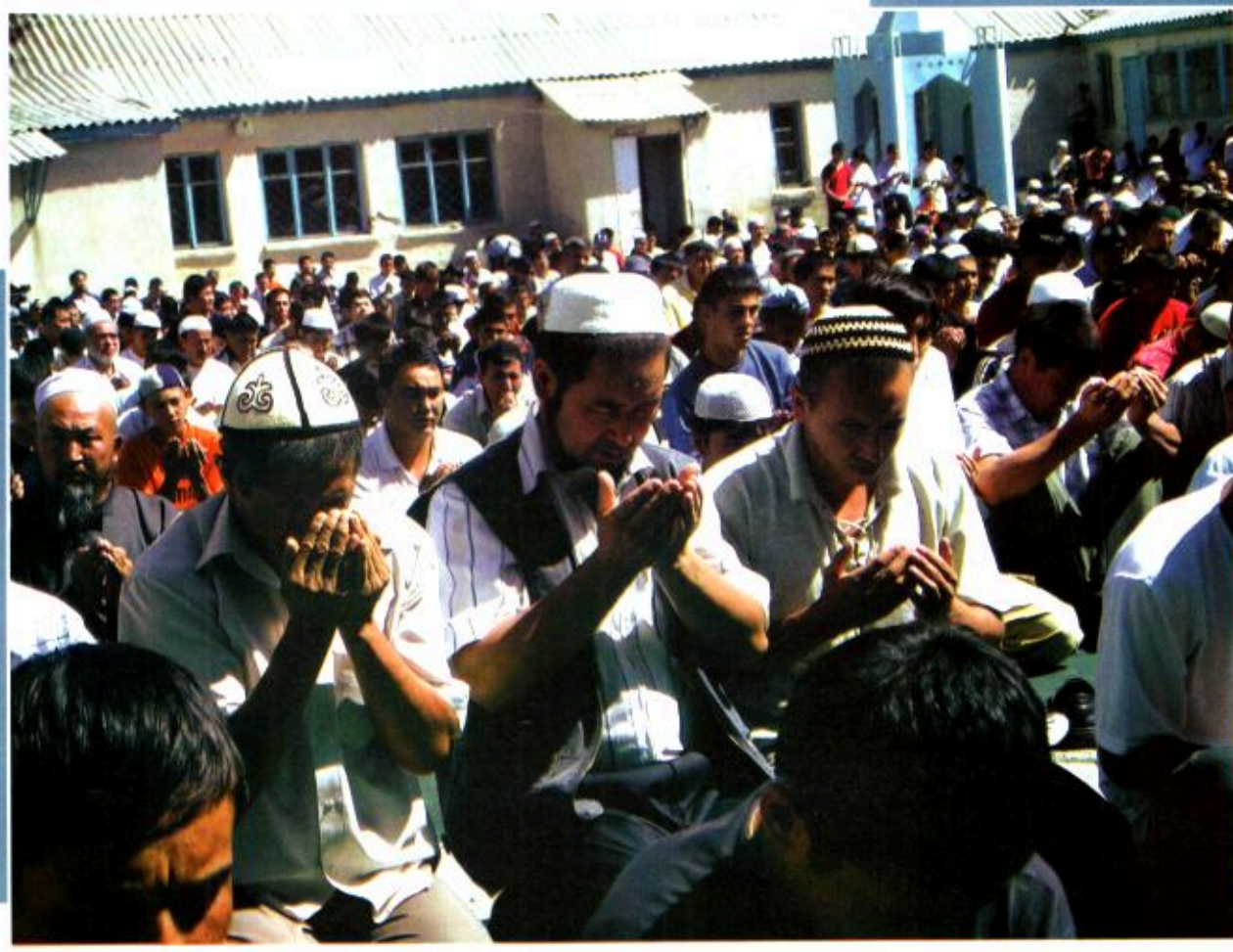

مظاهر دينية.. ودعوات طائفية

منطقة القوقاز هي الحدُّ والفاصلُ الجغرافي بين أوروبا ومنطقتَيْ الشرق الأوسط والأدنى، وهي إحدى أهم المناطق الغنية بمصادر الطاقة الطبيعية (النفط والغاز) في العالم، ما يجعلها هدفاً ومطمعاً لكثير من الدول الكبرى.. وفي هذه الدراسة - التي تنشرها «المجتمع» على حلقات - ما يكفي للدلالة على أهميتها الفائقة.

دراسة أعدّها:
المجلس الإسلامي الروسي
إشراف: د. شاميل سلطانوف

القوقاز منطقة متعددة الديانات والطوائف، حيث ينتشر الإسلام النصرانية واليهودية بين الشعوب والمجموعات الإثنية التي تقطن المنطقة، وهو ما يترك بصماته الواضحة على الوضع السياسي الداخلي في شمال القوقاز.. ويُلاحَظ وجود اشتباك وتداخل كبير وعميق بين العقائد الدينية، حيث يعتنق السكان الروس «القوزاق» المذهب المسيحي (النصراني) الأرثوذكسي، وكذلك حال قسم من «الأوسيتيين القربادين» في منطقة «موزدوك» وعدد قليل من «القاراتشيفيين»..

وهناك مجموعة صغيرة من «القوزاق» تعتنق المسيحية (النصرانية) من المذهب القديم، وعدد قليل من الروس يعتنقون

المذهب البروتستانتي، بالإضافة إلى بعض الإنجيليين.. ويتبع الأرمن في شمال القوقاز . وبشكل تقليدي . كنيستهم الجريجورية.. وهناك العبرانيون، و«التات» الذين يعتنقون الديانة اليهودية، ولكن الأغلبية السائدة في شمال القوقاز هم من المسلمين «السُّنَّة».

عادات سائدة: واللافت أن الكثير من عادات وتقاليد أهل الجبال تتفق تماماً مع الشريعة الإسلامية وتعاليم الدين وتتشابك معها بشكل عضوي، وهو ما كوَّن تصورات إسلامية خاصة في القوقاز، وأشبع هذه العادات بفكر ومحتوىً إسلاميين، ولهذا السبب بالذات أصبح الإسلام أقرب كثيراً إلى قلوب المؤمنين البسطاء ومفهوماً أكثر بالنسبة إليهم.

وهناك الكثير من العادات السائدة التي يعدُّونها إسلامية بحتة، رغم عدم ورود أصل لها في القرآن ولا في السنة النبوية.. على سبيل المثال، تقديس الشيوخ والعلماء وقصد المزارات والتقرب منهم والتوسل بهم، وغير ذلك الكثير، وهذه العادات بالذات تخضع في السنوات الأخيرة لانتقادات حادة من قِبَل الجماعات الأصولية المتشددة.

والأمر المريع أن الخلاف بين التيار الصوفي التقليدي في منطقة القوقاز وأنصار التشدد الإسلامي اتخذ شكل الصراع والمواجهة المسلحة، وذروة هذا العنف وقعت في شهري يوليو وأغسطس من عام ١٩٩٩م، وانتهت بهجوم من جانب المسلحين الشيشان على الأراضي الداغستانية، بهدف فصل جمهورية داغستان عن روسيا الاتحادية.

وشهدت جمهورية «قاراتشاي - تشيركسيا» موجة من محاولات الاغتيال موجهة ضد الشخصيات الرسمية ورجال الدولة، وتم اغتيال نائب رئيس الحكومة هناك والعديد من الوزراء ورؤساء السلطات المحلية.

وتدهورت الأوضاع، واشتدت الاشتباكات والمواجهات بين المتشددين الإسلاميين والهيئات الأمنية، وبسبب ضعف هذه الأخيرة اضطُرت موسكو إلى التدخل بشكل مباشر للسيطرة على الوضع، وذلك عن طريق زيادة تواجد الجيش وقوات الأمن هناك.

ولكن العديد من الباحثين والخبراء السياسيين الروس يشكُّون في الأمر، ويعتقدون أن الكثير من حالات «النشاط الإرهابي» - في مناطق عدة من شمال القوقاز - يقف وراءها مسؤولون محليون، ويستغلونها بعد ذلك لابتزاز موسكو والضغط عليها لخدمة مصالحهم، وهو ما يُسمَّى «الإرهاب الموجَّه».

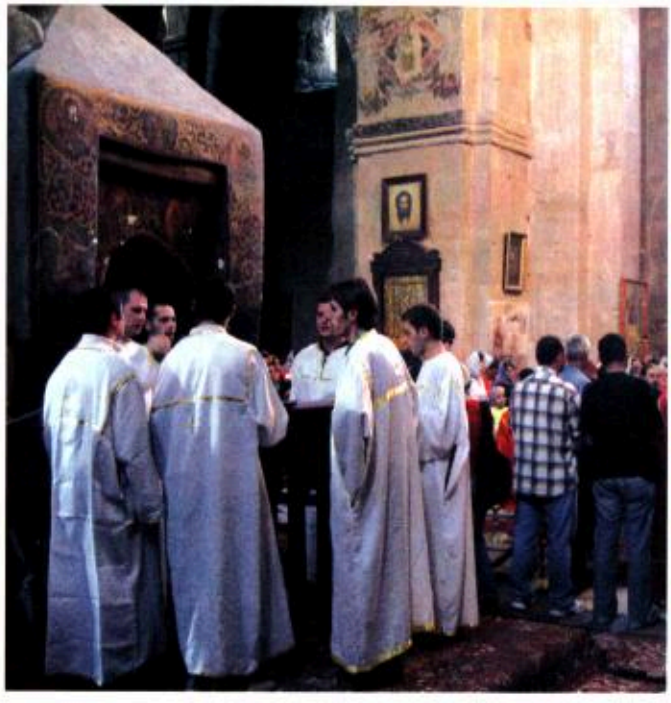

بعض عادات وتقاليد أهل الجبال تتفق تماماً مع الشريعة الإسلامية وتتشابك معها بشكل عضوي

«السلفية» في داغستان

ويظل الوضع الأكثر تعقيداً في جمهورية «داغستان»، حيث يقوم السلام الاجتماعي النسبي والهش على منظومة معقدة ومتشابكة لتوزيع وتقاسم السلطات السياسية والثروات المادية بين المجموعات القومية والإثنية الرئيسة، وهي «الأفارين» و«الدارغيين» و«الكوميكيين» و«اللاكتسيين».

وقد شهدت داغستان في السنوات الأخيرة أكبر سلسلة من الأعمال «الإرهابية»، حيث تم اغتيال أكثر من ٥٠ شخصية سياسية محلية كبيرة بواسطة ما يُسمَّى بـ«الأعمال الإرهابية» الحقيقية منها والمزيفة (الموجَّهة).. وفي داغستان - كما في الجمهوريات الأخرى - يرتبط قادة الأجهزة الأمنية وما يُعرف بمؤسسات القوة بالمجموعات المحلية القومية والإثنية المتنافسة على السلطة، ولذلك تراهم سرعان ما يتهمون «المنظمات الإسلامية المتطرفة» بارتكاب جرائم الاغتيالات السياسية المحلية.

الخلاف بين التيار «الصوفي» التقليدي وأنصار التشدد الإسلامي اتخذ شكل الصراع الحاد والمواجهة المسلحة

وداغستان كانت المنطقة الأولى في «روسيا» التي وصل إليها الإسلام وانتشر فيها ومنها، وفي الوقت الراهن ينبعث الدين الحنيف هناك بوتيرة متسارعة وقفزات كبيرة، وانفتح المجال لأتباع السلفية في القرى الجبلية النائية، وانتشرت هناك السلوكيات والمظاهر المتوافقة مع قواعد الشريعة الإسلامية.

وهناك أعداد كبيرة من السكان تنتقل باستمرار إلى «السلفية» الإسلامية وتصبح من أنصارها، ويستغل الدعاة الأصوليون - وبمهارة فائقة - المزاج الاحتجاجي السائد في المجتمع.. ويتزايد يوماً بعد يوم عدد الشباب في صفوف الجماعات المتشددة، ويدفعهم إلى ذلك الوضع المادي والاجتماعي الصعب والبطالة وتفشي الفساد في كافة أرجاء المجتمع، والفقر المتزايد، وعدم إمكانية مواصلة التعليم.

ورغم ذلك، فإن أغلبية سكان القوقاز لا تفضل الاتجاه السلفي، ولا تؤيد الانفصال عن روسيا، ويحاول رجال الدين التقليديون

(المفتون والمشايخ) . بالتعاون مع السلطات الإقليمية وعن طريق كافة الوسائل والطرق بما في ذلك الوسائل والطرق العَقَدية . يحاولون التصدي والحد من انتشار التأثير السلفي على الناس..

ففي داغستان مثلاً، يتعاون «مجلس المفتين» مع هيئات السلطة، حيث يقوم المجلس بإرسال ممثليه (الشيوخ والملالي) إلى البلدات والقرى الجبلية النائية للدعوة إلى الإسلام التقليدي.. ونفس هذه الطريقة الدعوية موجودة في «قاراتشاي . تشيركسيا» التي يحاول البعض منذ عدة سنوات دفعها نحو طريق الحرب الدينية.

ولكن شيوخ الإسلام التقليديين سرعان ما يتوجهون إلى المدن والقرى على أثر الدعاة السلفيين، ويحاولون شرح وتفسير الدين وقواعده للناس البسطاء. وقلما يوجد بين هؤلاء الدعاة (الشيوخ والملالي) الكبار في السن مَن يعرف الدين وقواعده بشكل صحيح، وهم غالباً ما يكونون على قدر ضئيل من العلم والثقافة الدينية، لدرجة يصعب عليهم معها التصدي لدعاية التيارات الدينية المتشددة.

مراقبة المساجد والمدارس

وليس من الصعب التكهن بأن الإثارة المستمرة على المستوى الإقليمي لموضوع «الخطر الإسلامي»، ووجود «منظمات إسلامية سرية» تعطي السلطات المحلية . وعلى الدوام . إمكانية ابتزاز موسكو والسلطات الاتحادية ومطالبتها بمعونات مادية أكثر فأكثر، وكذلك لوضع العراقيل ومنع السلطات الفيدرالية من التحقيق والتقصي والبحث في وقائع الفساد الضخمة في الأجهزة المحلية والإقليمية.

وأصبحت أحداث مدرسة «بيسلان» المأساوية . في «أوسيتيا الشمالية» عام ٢٠٠٤م . سبباً جديداً لتعقد وتوتر الأوضاع من جديد بين السكان النصارى الأرثوذكس والمسلمين في المنطقة، ورغم ضبط النفس النسبي الذي تميز به موقف الكنيسة الرسمية الأرثوذكسية، فقد أصر بعض القساوسة ورجال الدين على الإشارة إلى الجذور الإسلامية للإرهاب هناك، وطالبوا بإخضاع الخطب في المساجد والدروس في المدارس الدينية الإسلامية لمراقبة خاصة.. وبهذه المزاعم يجري في القوقاز . وبشكل واسع . اللعب بورقة الإسلام كوسيلة لزعزعة الاستقرار في الوضع السياسي الداخلي في روسيا، وتقويض الوفاق والسلام الاجتماعي بين مختلف القوميات داخل البلاد.

كثير من العمليات «الإرهابية» يقف وراءها مسؤولون محليون لابتزاز «موسكو» والضغط عليها!

جماعات متشددة

هناك ثلاث مجموعات من الإسلاميين المتشددين في شمال القوقاز:

. الجماعات المقاتلة: وهي التي تشكّل نواة الجماعات المسلحة غير الشرعية، وتهدف . من خلال مقاومتها وصراعها المسلح مع الأجهزة الأمنية الفيدرالية والمحلية . أن تستعرض أمام الجهات ذات الشأن خارج الحدود طرق تنفيذ وتحقيق البدهيات الأساسية في التشدد الديني، ومنها «الجهاد الكبير ضد الكفار»، و«التكفير» أي معاقبة المرتدين من المسلمين، وبعض الشعارات التي يطلقونها . مثل النضال ضد فساد المسؤولين في أجهزة الدولة . تجد صدىً لها بين السكان..

ويسود جيل الشباب على التركيبة الديموجرافية للجماعات المقاتلة، وأغلبية عناصرها من الذين وُلدوا بعد عام ١٩٨٠م، ولم يجدوا لأنفسهم مكاناً في حياة يسودها الفقر والبطالة، ويسيطر المحتالون والمجرمون ورجال الدولة الفاسدون على أهم المجالات المربحة فيها.

. رجال الدين ذوو المزاج المتشدد: الذين يدّعون إلى الإسلام «النقي الصافي»، ويعتمد هذا المزاج في أساسه الأيديولوجي على البحث العلمي لبعض المسلمين ذوي الثقافة الدينية الذين تلقوا دراساتهم العليا في بعض الدول العربية والإسلامية.. وهؤلاء المثقفون غالباً ما يكونون غير راضين عن سياسة موسكو والسلطات الفيدرالية في شمال القوقاز، وكذلك عن نشاط وعمل هيئات السلطة الإقليمية، ويزيد من سخطهم نظرتُهم وعلاقتُهم الشديدة السلبية نحو رجال الدين التقليديين المسلمين ونشاطهم الديني، وعادة ما يشكل أعضاء هذه المجموعات رافداً لإمداد جماعات المسلحين بأفراد جُدُد.

. الحركات المعارضة في وسط الاتحادات الإسلامية الكبيرة في المنطقة: ويعود سبب ظهور هذه الحركات إلى التنافس بين مجموعات مختلفة من المؤمنين الملتفين حول القادة والزعماء الدينيين الذين يمتلكون موارد مادية وبشرية كبيرة، وذلك في سبيل التأثير على النخبة السياسية في المنطقة..

وهذه الخلافات . التي غالباً ما تحمل طابعاً قومياً وإثنياً . تدفع الزعماء الدينيين إلى الاتصال وإقامة علاقات مع الإسلاميين الأصوليين المعتدلين، ويتسم هذا النوع من الخلاف في داغستان بطابع واضح من الاستمرار.■

حقوق الإنسان في الخطاب السياسي الإسلامي المعاصر

حالة «حزب العدالة والتنمية المغربي» (٢ـ٥)

قراءة في نشأة الحزب.. ومبادئه العامة

تشير السيرة السياسية لحزب «العدالة والتنمية» إلى أن جذوره تضرب في التاريخ الحديث للمغرب منذ فترة الكفاح من أجل الاستقلال في منتصف القرن الماضي، فقد ارتبطت نشأته الأولى بحركة التحرر الوطني في الخمسينيات، وحمل اسم «حزب الحركة الشعبية»، وشارك في تأسيسه المجاهد والسياسي المخضرم الدكتور عبدالكريم الخطيب، مع عدد من رفاق النضال ضد الاستعمار. وكان بذلك رابع حزب سياسي يؤسس في المغرب، بعد حزب الاستقلال ١٩٤٤م، والحزب الديمقراطي للاستقلال ١٩٤٩م، وحزب «الاتحاد الوطني للقوات الشعبية»، وفي سنة ١٩٩٨م أصبح اسمه «العدالة والتنمية».

د. إبراهيم البيومي غانم (*)

وقد جاء هذا التغيير الأخير في إطار ظاهرة «الانصهار الحزبي»؛ وهي إحدى ثلاث ظواهر يشهدها فضاء السياسة المغربية بنسب ومعدلات مختلفة منذ بدايات عهد الاستقلال في ستينيات القرن الماضي. أما الظاهرة الثانية فهي «الانشقاق الحزبي»؛ وهي أسبق من «الانصهار»، وأكثر حدوثاً منها، والظاهرة الثالثة هي «التوافق الحزبي» وهي الأحدث، والأقل حدوثاً من سابقتيها.

ويُصنف حزب العدالة والتنمية ضمن الأحزاب الإسلامية المعتدلة في خريطة الأحزاب المغربية، وضمن الأحزاب السياسية الإسلامية عموماً. والحزب يُعرف نفسه بأنه: «حزب سياسي وطني يسعى انطلاقاً من المرجعية الإسلامية وفي إطار الملكية الدستورية القائمة على إمارة المؤمنين، إلى الإسهام في بناء مغرب حديث وديمقراطي، ومزدهر ومتكافل. مغرب معتز بأصالته التاريخية ومسهم إيجابياً في مسيرة الحضارة الإنسانية. ويعمل على تأطير المواطنين والمشاركة في تدبير الشأن العام وترسيخ قيم الاستقامة والحرية والمسؤولية والعدالة والتكافل؛ وذلك من خلال منهج سياسي مرتكز على الالتزام والشفافية والتدرج، وإشراك المواطنين، والتعاون مع مختلف الفاعلين، ساعياً إلى تمثل ذلك من خلال ممارسته اليومية وبرامجه النضالية، وواضعاً المصالح الوطنية العليا فوق كل اعتبار».

مؤسس الحزب

كان الدكتور عبدالكريم الخطيب، مؤسس الحزب، من أوائل الذين دعوا في سنة ١٩٥٣م إلى المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي والاستعمار الإسباني لبلاده. وقد شكلت مسيرة الكفاح الطويلة التي خاضها الدكتور الخطيب الملامح العامة لتوجهاته السياسية في مرحلة ما بعد الاستقلال. وتكشف مسيرته عن درس بالغ الأهمية في مسار حقوق الإنسان، ليس فقط في المغرب وإنما في عدد من البلدان العربية الأخرى، وهو أن بعض «الحقوق الجماعية»، وعلى رأسها حقوق الوطن في الاستقلال، والحرية، وحقه في تقرير مصيره بنفسه، يجب أن تأتي أولاً وقبل أي شيء آخر.

وقد بدأ الدكتور الخطيب مسيرته بالدعوة إلى المقاومة المسلحة للمحتل الأجنبي، وانفتح باكراً على عدد من قيادات الحركات الإسلامية التي انخرطت في حركات التحرر الوطني، أو ما يمكن أن نسميه أيضاً: النضال من أجل الحقوق الجماعية، حيث تعرَّف على قيادات بارزة من جماعة الإخوان المسلمين مثل د. توفيق الشاوي، ود. محمود أبو السعود، ود. سعيد رمضان ١٩٥٦م، كما ربطته علاقة متينة بالشاعر الإسلامي بهاء الدين الأميري. واستطاع أن يبني علاقات وثيقة مع عدد آخر من أشهر المناضلين من أجل الحرية والاستقلال في البلدان العربية والإسلامية وفي غيرها، منهم: نيلسون مانديلا، وياسر عرفات، وحسن الترابي، وعدد من قيادات التحرر الوطني الجزائري، منهم محمد خيضر، ومحمد بوضياف، ومن قبلهم مصالي الحاج.

بعد أن نال المغرب استقلاله، واصل الخطيب نضاله السياسي، فشارك في تأسيس حزب الحركة الشعبية في سنة ١٩٥٩م، وحدد له توجهات ثلاثة ثوابت هي: الاشتراكية الإسلامية، ووحدة شمال إفريقيا، والملكية الدستورية. وتشير المواقف التي ثابر عليها على مدى أكثر من نصف قرن إلى أن رؤيته السياسية تستند إلى مبادئ الحرية والاستقلال والتضحية والسعي لتحقيقهما للوطن من جهة، والديمقراطية والتعددية السياسية وحقوق الإنسان والمشاركة مع بقية القوى السياسية من أجل تحقيقها للمواطنين من جهة أخرى. ويحتل د. الخطيب اليوم (عمره ٨٧ سنة) منصب الرئيس المؤسس لحزب العدالة والتنمية.

(*) رئيس قسم الرأي العام.
المركز القومي للبحوث الاجتماعية ـ مصر

د. عبدالكريم الخطيب

د. محمد يتيم

د. سعد الدين العثماني

شخصيات وقيادات: إلى جانب القيادة التاريخية التي يمثلها د. الخطيب، والأستاذ بنعبد الله الوكوتي، هناك عدد آخر من الشخصيات القيادية التي تسهم بدور كبير في بلورة رؤى الحزب وفي إنتاج خطابه السياسي، منهم د. محمد يتيم، ود. سعد الدين العثماني. الأمين العام للحزب من أبريل ٢٠٠٤م حتى يوليو ٢٠٠٨م. وغيرهما من أبناء الحركة الإسلامية المغربية الحديثة، الذين أضحوا يشكلون طبقة سياسية جديدة ترتكز على عنصر الشباب من ذوي التعليم العالي في تخصصات علمية وإنسانية متنوعة. فالدكتور سعد الدين العثماني . مثلاً. هو من مواليد إزنكان (جنوب المغرب) سنة ١٩٥٦م، وحصل على عدد من الشهادات العلمية في تخصصات متعددة منها: دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط في نوفمبر ١٩٩٩م، ودبلوم التخصص في الطب النفسي سنة ١٩٩٤م من المركز الجامعي للطب النفسي، بالدار البيضاء، وشهادة الدراسات العليا في الفقه وأصوله سنة ١٩٨٧م من دار الحديث الحسنية بالرباط، ودرجة الدكتوراه في الطب العام في سنة ١٩٨٦م، من كلية الطب والصيدلة بالدار البيضاء، والإجازة في الشريعة الإسلامية سنة ١٩٨٣م من كلية الشريعة بـ«أيت ملول».

وشغل عدة مناصب سياسية ونيابية، منها: نائب رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب (٢٠٠١-٢٠٠٢م)، ونائب برلماني دورة (١٩٩٧ - ٢٠٠٢م)، ثم دورة (٢٠٠٢ - ٢٠٠٧م)، ثم الدورة الحالية (٢٠٠٧ - ٢٠١٢م)، وهو عضو بمجلس الشورى المغربي منذ ٢٠٠٢م. وله عدد من المؤلفات والبحوث التي تتسم بالجدية والتجديد في آن واحد من منظور إسلامي أصيل.

الحزب.. وحقوق الإنسان

من جملة الحقائق التي يوضحها لنا تحليل ظروف النشأة التاريخية لحزب العدالة والتنمية؛ أن هذا الحزب قد نشأ في رحم حركة المطالبة بحقوق الوطن في الاستقلال وتقرير المصير، ومن ثم فإنه

نشأ الحزب في رحم حركة المطالبة بحقوق الوطن في الاستقلال وتقرير المصير.. وارتبط منذ بداياته بقضية حقوق الإنسان على المستوى الجماعي الوطني

ارتبط منذ بداياته بقضية حقوق الإنسان على المستوى الجماعي/الوطني، كما أن التحولات الكثيرة التي مر بها توضح لنا أيضاً أن قضايا حقوق الإنسان على المستويات الجماعية والفردية شكلت مبدأ مرجعياً ضمن المبادئ التي ينطلق منها في رسم رؤيته السياسية، وفي تحديد السياسات العامة التي يتبناها. يؤكد ذلك أن رؤيته الحالية قد تبلورت في سياق انخراطه ضمن عملية التحول الديمقراطي التي يشهدها المغرب منذ التسعينيات من القرن الماضي.

فالحزب يعلن في وثائقه السياسية أنه يؤمن بأن إنجاز مشروع النهضة هو مهمة الأمة، بكل قواها الاجتماعية وتياراتها الفكرية والسياسية، على قاعدة احترام الهوية الثقافية والحضارية، وعبر قراءة جادة للتراث وتوفير القاعدة الاجتماعية والإطار السياسي، ويحرص على إبراز العمق الحضاري للفعل السياسي بالتواصل

يرى الحزب أن الأصالة التي يعنيها هي أن تكون جميع مشاريعه في الإصلاح مستنبطة من المرجعية الإسلامية ومنسجمة مع قيمها الثقافية والحضارية

مع تيارات النهضة والإصلاح في الأمة الإسلامية، وباعتماد الحوار داخل المنظومة الثقافية الوطنية، وبالتفاعل البنّاء مع الحضارات الأخرى.

أصالة وعدالة وتنمية

ويرى الحزب أن الأصالة التي يعنيها هي أن تكون جميع مشاريعه في الإصلاح مستنبطة من المرجعية الإسلامية، ومنسجمة مع قيمها الثقافية والحضارية، «غير متعارضة مع أحكامها ومقاصدها»، مع استيعاب واحترام جميع الخصوصيات الثقافية واللغوية والعرقية، داخل فضاء الأخوة الإسلامية.

أما «العدالة» فيقصد بها العدالة الشاملة بين الأفراد والجماعات والمؤسسات والهيئات والمناطق والجهات؛ بهدف بناء مجتمع تتكافأ فيه الفرص أمام جميع المواطنين في الاستفادة من خيرات البلاد وثرواتها وخدمات الدولة، وتتوزع فيه الثروات توزيعاً عادلاً، وتحفظ فيه حقوق الفرد والمجتمع على حد سواء، وبشكل متوازن.

أما «التنمية»، فتتعدى ـ من منظور الحزب ـ المفهوم المادي التقليدي إلى مفهوم أبعد مدى وأعمق دلالة، ذلك أن الإنسان هو أساس كل إصلاح منشود، ومن ثم وجبت تنميته في كل أبعاده الروحية والفكرية والسلوكية؛ حتى يكون منطلقاً لتحقيق التنمية الشاملة في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وبذلك تكون التنمية ذات محتوى إنساني بالمدلول العملي الواقعي الذي ينصرف إلى الإصلاح الذاتي للإنسان، حتى يصير طاقة خلاقة تبني المجتمع، وتدافع عن مصالحه، وتحرس قيمه، وتذود عن مقوماته، وتعمل من أجل الأمن والاستقرار، وتضمن الرخاء والنماء والازدهار.■

«عبدالعزيز الثعالبي».. رجل الحماسة والهمة

د. محمد بن موسى الشريف (*)

«عبدالعزيز الثعالبي» علم من أعلام تونس الخضراء، وكم في تونس من أعلام، وكم ظهر فيها من رجال عظام منذ أنست بالفتح الإسلامي إلى يومنا هذا، ولئن نكبت في هذا الزمان بـ«بورقيبة» و«ابن علي»، فإن فجرها قادم بإذن الله تعالى، وضياءها منتشر عما قريب، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾(الإسراء: ٥١).

كانت تونس إلى القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي، ولاية تابعة للخلافة العثمانية،

من أصل جزائري ولد بتونس عام ١٨٧٤م ورعاه جده المجاهد «عبدالرحمن الثعالبي» الذي قاوم الفرنسيين في الجزائر

ولما ضعفت الدولة العثمانية في أوائل ذلك القرن بدأت الأخطار تتهدد تونس من جهتي فرنسا وبريطانيا، وابتدأ التدخل الأجنبي يؤثر في تونس منذ الثلث الأول من ذلك القرن، وظهر ذلك فيما يعرف بالامتيازات التي منحت لفرنسا ثم إنجلترا، وفي عدد الأجانب الكبير الذي انتشر في البلد، وصبغ الحياة هناك بالصبغة الغربية، وأحاطت الدسائس بتونس التي كانت قد خطت خطوات إلى الحضارة والعمران على يد الوزير «خيرالدين التونسي»، والشيخ «محمود قابادو» وآخرين..

احتلال فرنسي

لكن ذلك لم يدم، إذ سرعان ما سقطت البلاد في قبضة الفرنسيين سنة ١٨٨١م، إثر مناوشات قبلية حدودية بين تونس والجزائر، اتخذتها فرنسا ذريعة لاحتلال تونس، ومن ثم إعلان الحماية عليها سنة ١٨٨٢م في الثاني عشر من مايو، وعلى إثر ذلك عينت فرنسا فرنسياً مستعرباً يدعى «لويس ماشويل» رئيساً لإدارة المعارف، وأطلقت يده في البلد، فاستولى على كل ما له علاقة بالتعليم والثقافة، واستولى على التعليم في الجامعة الزيتونية، ووضع قوانين تقدم الفرنسية على العربية في مناهج التدريس، وأوقف النهضة العلمية في الزيتونة التي كانت قد جمعت آنذاك بين العلوم الشرعية والعصرية، وقيدت فرنسا حريات التونسيين في التعبير والنشر، وحوّلت الإدارة إلى النظم الفرنسية، وجعلت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في البلد، وأهملت المؤسسات التي خطت خطوات في الطريق إلى الحضارة والعمران، كالزيتونة، ومدرسة «باردو» الحربية التي جمعت بين العلوم العسكرية والهندسية والرياضية، وكان غياب «خيرالدين التونسي» عن تونس مؤثراً في الروح المعنوية لأهلها، فقد استقال من الوزارة قبل الاحتلال الفرنسي لتونس، وصار صدراً أعظم رئيساً للوزراء في الدولة العثمانية، وبقي فيها إلى وفاته سنة ١٨٩٠م.

وظهر على إثر ذلك في تونس رجال يريدون الإصلاح والارتقاء، مستمسكين بحبل الإسلام والعربية، ومقابل هؤلاء ظهرت فئة تريد السير في ركاب فرنسا، وهي فئة مستغربة أنشأت جمعية سمتها «قدماء الصادقية»، وظهرت فئة ثالثة هي فئة المشايخ المعتزلين للفريقين، وهم بين سلفي وصوفي، أما الفئة الأولى التي بنت دعائم إصلاحها على أسس إسلامية وعربية وعلى إرادة الخلاص من فرنسا واحتلالها البغيض فقد برز فيها الشيخ «سالم بوحاجب»، و«البشير بن مصطفى صفر» تلميذ «خيرالدين التونسي»، وقد كان لهم جمعية سموها (الحاضرة)، وأصدروا جريدة أسبوعية لها الاسم نفسه، ومن ثم أسسوا المدرسة «الخلدونية» سنة ١٨٩٦م.

(*) أكاديمي سعودي ـ المشرف على موقع التاريخ www.altareekh.com

نشأته

وفي تلك المدة برز الشيخ «عبدالعزيز الثعالبي» الذي ولد سنة ١٢٩٣هـ /١٨٧٤ م في تونس، وهو من أصول جزائرية، واهتم به جده المجاهد «عبدالرحمن الثعالبي»، الذي قاوم الفرنسيين في الجزائر، وقام على تعليمه، وتحفيظه القرآن، ومبادئ النحو، والعقيدة، ومن المواقف التي أثرت فيه في صغره، أنه لما كان في السابعة من عمره، رأى أمه تبكي فسألها عن السبب فقالت: أما رأيت الفرنجة يمرون من هنا؟ إنهم يحتلون تونس ولن يخرجوا منها إلا بالحرب.

ثم التحق بمدرسة «باب سويقة» الابتدائية بتونس، ثم بجامع الزيتونة، واختلف المؤرخون هل أكمل دراسته أم لا، وكان كثير الانتقاد لطرائق التدريس ومناهجه وكتبه، وهذا أدى إلى تبرم بعض المشايخ منه.

تأسيسه حزب إسلامي

ولما تأسس في تونس «الحزب الوطني» سنة ١٨٩٥م الذي كان أول حزب يطالب بتحرير تونس انضم إليه، ثم أسس الحزب الوطني الإسلامي، وكتب في الصحف داعياً إلى الاستقلال، فعطل الفرنسيون جريدتين: «المنتظر» و«المبشر»، فأسس جريدة «سبيل الرشاد» التي استمرت عاماً ثم عُطلت، ومن بعدها ضيّقت الحكومة على الصحافة، وهنا رأى أن تونس ضاقت عليه؛ فقرر الخروج منها لكن الفرنسيين منعوه، فهرب إلى «طرابلس» التي كانت لا تزال تحت الحكم العثماني، فعمل السفير الفرنسي في «طرابلس» على إخراجه منها، فخرج إلى «إستانبول» عن طريق اليونان وبلغاريا، فوصلها سنة ١٨٩٨م، وتحدث مع رجال الدولة وناقشهم في القضية التونسية، ومن ثم غادرها إلى مصر واجتمع بكثير من كبارها، ثم عاد إلى «إستانبول»، ومنها عاد إلى تونس فوصلها سنة ١٩٠٢م بعد أن بقي أربع سنوات خارجها، ومنذ ذلك الوقت أحاطت به محن وبلاءات أوجزها في الآتي:

١ ـ قُبض عليه سنة ١٩٠٦م ووضع في السجن بتهمة محاربته للأولياء، وأخذ سيراً على الأقدام من السجن إلى المحكمة، وكان هناك عدد كبير من أهل البلاد قد اجتمعوا حوله رافعين علماً أبيض وكتبوا فيه: اقتلوا «الثعالبي» الكافر!! فسجن شهرين ثم

أسس الحزب الوطني الإسلامي وقاد حملة للدعوة إلى استقلال تونس عن فرنسا وقف عقبة كأداء أمام مؤامرة تجنيس فرنسا للتونسيين بعد الحرب العالمية الأولى وظل يكتب في الصحف المصرية وغيرها مفنداً هذا الأمر ومبيناً خطورته

خرج لينادي بالإصلاح الذي لم يرض عنه الفرنسيون ولا بعض المشايخ، ولما احتلت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١م، حاول مساعدة المجاهدين وإرسال المساعدات فنقم عليه الفرنسيون صنيعه.

٢ . سنة ١٩١٢م قبض عليه الفرنسيون وأخرجوه خارج البلاد، فأضربت البلاد ثلاثة أيام، وأصر الشعب على رجوعه فأبى أن يرجع حتى يحقق الفرنسيون الإصلاح المنشود، فقال له الفرنسيون: إن الحرب العالمية على الأبواب فإذا انتهت الحرب ينفذون طلبه، فعاد إلى تونس سنة ١٩١٤م.

٣ ـ ظل عاملاً في مجالات الإصلاح إلى أن أعتقل سنة ١٩٢٠م وسجن في تونس، ثم خرج من البلاد سنة ١٩٢٣م وبقي خارج تونس حتى عام ١٩٣٧م، وكان سبب إخراجه هو مطالبته المستمرة بالحريات وعداؤه مع «الباي» ـ الحاكم ـ الجديد «محمد الحبيب» الذي كان من أصفيائه ثم لما تولى الحكم انقلب عليه وعلى مبادئه التي كان ينادي بها من قبل، فغادر تونس إلى إيطاليا ففرنسا، ثم إلى مصر فالحجاز، ثم استقر به المقام في العراق، حيث درّس في جامعة «آل البيت» ببغداد منذ سنة ١٩٢٥م إلى سنة ١٩٣٠م، ولقد استفاد منه العراق؛ فانتدبه للإشراف على البعثة الطلابية العراقية إلى مصر، ومثّل العراق في مؤتمر الخلافة بمصر سنة ١٩٢٥م الذي دعا إليه شيخ الأزهر عقب إسقاط الخلافة في «إستانبول»، وقد قيل إن ترشيحه ليشرف على الطلاب في مصر هو لإبعاده عن العراق التي كان له فيها مكانه عالية أخافت ذوي الأمر من الإنجليز وأذنابهم.

٤ ـ ثم ترك العراق إلى مصر، ومنها سافر إلى الصين، وسنغافورة، وبورما، والهند، ثم عاد للقاهرة، ومنها إلى تونس، حيث استقبل استقبالاً حافلاً من الشعب، وكاد الشعب يتوّجه حاكماً عليه، لكن قطعت فرنسا عليه الطريق، حيث أعلنت حالة الحصار على البلاد، وأنشأت المحاكم العرفية، وهذا أدى إلى أن ينزوي في بيته ويتفرغ للتأليف والمحاضرات . أحياناً . إلى أن توفي سنة ١٩٤٤ قبل أن يمتع ناظريه برؤية الاستخراب الفرنسي مطروداً من أرضه، لكنه كان بلا منازع من أهم العوامل التي أسست لهذا الاستقلال وعملت له بجد واجتهاد.

أهم أعماله

من أهم أعمال «الثعالبي» يرحمه الله تعالى:

أولاً: فضح مخططات الفرنسيين وادعاءاتهم الباطلة:

محمد الفاضل عاشور

معروف الرصافي

● فقد وقف عقبة كأداء أمام مؤامرة تجنيس فرنسا للتونسيين بعد الحرب العالمية الأولى، وظل يكتب في الصحف المصرية وغيرها مفنداً هذا الأمر ومبيناً خطورته.

● وقد استطاع أن يظهر بوضوح أن تونس قبل الاحتلال الفرنسي كانت تملك مقومات النهضة، وقد قطعت خطوات مهمة في ذلك الطريق، فجاء الفرنسيون ليهدموا كل ذلك، وليس الأمر على العكس الذي يريده الفرنسيون ويذيعونه، وقد نشر في ذلك مقالات جيدة.

● فضح المخططات التنصيرية الفرنسية، وكشف زيف ادعاءاتهم بأن مسلمي شمال إفريقيا كانوا نصارى، ثم دخلوا في الإسلام، وبيّن أن هذا غير صحيح تاريخياً، وبيّن أيضاً أن ادعاء الفرنسيين أن أهل شمال إفريقيا من أصل غربي ادعاء عار عن الصحة.

● بيّن كيف استولى الفرنسيون على خيرات تونس، فذكر أن مساحة تونس تبلغ ٩ ملايين هكتار . والهكتار ألف متر مربع . منها مليون هكتار أراض جبلية، ومليون ونصف المليون غابات وأحراش، ومليون غير صالح للزراعة، وهناك خمسة ملايين ونصف المليون أراض صالحة للزراعة استولى الفرنسيون على أكثرها، واستولوا كذلك على مناجم الفوسفات، والرصاص، والحديد، والفحم الحجري وغير ذلك.

● أراد الفرنسيون كتابة تاريخ تونس باللهجة العامية، واعتمادها لغة رسمية للتعليم والخطابات الرسمية، وكان «الثعالبي» وراء إفشال هذا المشروع ومشروع آخر له صلة به وهو إصدار «معجم اللغة العامية»، وكانت جهوده تلك من خلال كتابته المقالات الكثيرة ضد هذه المشاريع في صحيفة (التونسي).

● كشف غوار سياسة التعليم الفرنسية، وبين أنها ترمي إلى إيجاد أيد عاملة

وليس عقولاً مدبرة، وأوضح أيضاً كيف عملت فرنسا على محاربة اللغة العربية، والدراسات الإسلامية والتاريخية، وهذا الذي أزعج فرنسا فأخرجته من تونس وضيقت عليه خارجها، وقد أوضح كل هذا وغيره في كتابه (تونس الشهيدة) الذي نشره بالفرنسية، ثم عُرّب بعد ذلك، وعدت فرنسا كل من يقرأ الكتاب عدواً لها، وجعلت من قراءته جُنحة يعاقب عليها.

دراساته عن الأقطار الإسلامية
ثانياً: الدراسات التي قام بها عن المسلمين في أقطار كثيرة:

كان «الثعالبي» قد ارتحل طويلاً، وجال في بلاد كثيرة، وهذا ساعده على أن يقف على أحوال المسلمين في بلاد عديدة، وكتب كل ذلك بالتفصيل، وإني لأعجب من مثقفينا وذوي الرأي منا كيف لم يستفيدوا من تلك الكتابات، ومن ثم يبنون عليها ويطورونها، فمن جهوده في بيان أحوال المسلمين وأوضاعهم:

● تحدث عن اليمن وأحوالها الاقتصادية، وبيّن أنها بلاد ذات حضارة ومدنية، ووصف ما رآه فيها وصفاً جيداً.

● وبيّن أحوال المسلمين في الهند، وكيف انتشر الإسلام هناك بدون دعوة مخطط لها أو حركة قوية من المسلمين، وقد قدم تقريراً عن مسألة المنبوذين في الهند إلى رئيس المؤتمر الإسلامي «محمد أمين الحسيني»، وكان تقريراً جليلاً مفصلاً غاية التفصيل، وبيّن فيه رغبة المنبوذين في اعتناق الإسلام، وقد بيّن في تقريره حقيقة تُخفى على أكثر المسلمين إلى يومنا هذا، ألا وهي أن حركة الاستقلال في الهند كانت بيد زعماء المسلمين وهم الذين ابتدؤوها إلى أن خطفها «غاندي» منهم ثم نُسبت إليه!!

● وذكر أحوال المسلمين . على هذا المنوال . في مناطق كثيرة، واقترح اقتراحات عديدة اقتصادية وسياسية وثقافية، لكن أين من يأخذ بكلامه واقتراحاته ؟!

جهوده السياسية
ثالثاً: جهوده السياسية في العالم الإسلامي:

لم يكتف «الثعالبي» بجهوده السياسية في تونس، إنما امتد عطاؤه إلى البلاد العربية والإسلامية، فقد شارك في مؤتمر الخلافة الإسلامية في القاهرة استجابة لدعوة شيخ الأزهر المسلمين؛ للنظر في قضية الخلافة، وقد كان «الثعالبي» في العراق آنذاك مدرساً فاختاره العراق ممثلاً له، وكان ذلك سنة ١٩٢٥م.

وكان عضواً مؤسساً في المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في القدس سنة ١٩٣١م في المسجد الأقصى، وقد اختير مفتي فلسطين «محمد أمين الحسيني» رئيساً لهذا المؤتمر، واختير «الثعالبي» رئيساً للجنة الدعاية، والنشر، وعضواً في المكتب الدائم للمؤتمر.

نشاطه في تونس
رابعاً: جهوده السياسية في تونس:

كان «الثعالبي» قد جمع بين الوعي الديني، والوعي السياسي، مازجاً ذلك بثقافة إسلامية جيدة، فكان لذلك شوكة في حلق الفرنسيين وأتباعهم من التونسيين،

وتجلّت جهوده السياسية في مظاهر عديدة منها:

● شارك «الثعالبي» في حزب (تونس الفتاة) الذي كان ينادي بالارتباط بالخلافة الإسلامية، والسلطان عبدالحميد، وانتقاد نظام الحماية الفرنسي، والدفاع عن الحضارة الإسلامية.

● سافر بعد الحرب العالمية الأولى إلى باريس ليكون فيها أثناء انعقاد مؤتمر الصلح - مؤتمر فرساي - وقد سمع أن الرئيس الأمريكي «ويلسون» سيحضره، وهذا الرئيس كان قد أعلن مبادئه الأربعة عشر لعقد الصلح، ومنها حق الشعوب في تقرير مصيرها، فسافر ليعرض القضية التونسية، وحاول في باريس أن يجمع بين قلوب المسلمين هناك على تعدد أجناسهم، واتصل بزعماء الحركات التحررية في العالم الذين كانوا في باريس أثناء مؤتمر الصلح، وأصدر هناك كتاب (تونس الشهيدة) الذي أشرت إليه آنفاً، وقدّم إلى المقيم العام الفرنسي في تونس الذي كان في باريس آنذاك مذكرة طالب فيها بإلحاح برفع إجراءات الحظر على الصحافة التونسية، فألغت فرنسا على أثرها قرار تعطيل الصحف، واتصل بالرئيس الأمريكي «ويلسون»، وبالحزب الاشتراكي الفرنسي، وعارض في باريس حصول تونس على قرض مالي، وكل ذلك أدى بالفرنسيين إلى سجنه في باريس ومرسيليا، وأعيد إلى تونس ليسجن هناك أيضاً.

● إنشاء «الحزب الدستوري» وتولي رئاسته وذلك سنة ١٩٢٠م، ولما ضيّق عليه في تونس خرج منها سنة ١٩٢٣م، ثم جرت أحداث عديدة انشق «الحزب الدستوري» على إثرها شقين، وأسس «حسن قلاتي» «الحزب الإصلاحي» الذي تقرب إلى فرنسا، وكان المتنازعون قد أرسلوا إليه قرابة ١٥٠ رسالة، فكان على ذكر تام بما جرى هناك، ولما عاد «الثعالبي» إلى تونس حاول استرداد الزعامة في «الحزب الدستوري» وفي الحياة السياسية التونسية لكنه أخفق، ولعل السبب في ذلك طول غيابه عن بلده، على أن الناس قد استقبلوه في بلده إثر عودته استقبالاً جليلاً، وكان هناك ثلاثون ألفاً ينتظرونه في ميناء العاصمة، لكن ذلك لم يكن كافياً

كشف أن حركة الاستقلال في الهند كانت بيد زعماء المسلمين وهم الذين ابتدؤوها إلى أن خطفها غاندي منهم ثم نسبت إليه

لاستعادة زعامة الحياة السياسية، في ظل مؤامرات فرنسية، وارتباطات مشبوهة لأذيال تونسية، وقد تعرض لمحاولتي اغتيال في تونس بعد عودته أثناء طوافه بالبلاد التونسية لجمع الشمل واجتماع الكلمة.

مؤلفاته

للثعالبي كتب قليلة ومقالات كثيرة، وكتابته بليغة مؤثرة كخطابته، وقد ألف بالفرنسية (روح القرآن الحرة)، وألّف (تونس الشهيدة)، وألف بالعربية (معجزة محمد رسول الله ﷺ)، وله مئات المقالات بالعربية، والفرنسية، لا أدري ما حالها اليوم؟ وهل جمعت أم لا؟ وله محاضرات مطبوعة في مجلة جامعة «آل البيت» في بغداد من سنة ١٩٢٦م - ١٩٢٨م.

قالوا عن «الثعالبي»

● **محمود زكي باشا:** (كنت من أشد الناس إعجاباً بذكائه الباهر، وفصاحة لسانه، وسعة اطلاعه، وغزارة علمه، وفرط حميته الإسلامية... وكان لا ينفك عن التكلم باللغة العربية الفصحى).

● **محمد لطفي جمعة:** (هو من أشرف البيوت وأعظمها، وله الكلمة العليا والصوت المسموع والأثر المحمود من أقصى تونس إلى أقصاها، بل شمال أفريقيا كله).

● **الشاعر العراقي معروف الرصافي:** (أعظم خطيب عربي عرفه هذا القرن).

● **محمود أبو الفتح** في جريدة السياسة المصرية ١٩٢٦/٥/١٦م: (إن مكانته في تونس هي مكانة سعد زغلول في مصر، وإنني لا أنسى «الثعالبي» في باريس عام ١٩١٩م في عاصمة فرنسا يثير الأرض والسماء على فرنسا للمطالبة بتحرير تونس، يثير أحرار الفرنسيين على سياسة الاستعباد).

● **وقال الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور:** (عبدالعزيز الثعالبي واحد من ذلك الرعيل من المجاهدين المسلمين في الوطن العربي إبان الحملة الاستعمارية التي اجتاحت المشرق الإسلامي، وقد تميز هذا الرعيل بطابع خاص فهم لم يكونوا زعماء سياسيين، أو مجاهدين وطنيين، أو صحافيين، أو كتّاباً، أو مصلحين اجتماعيين، وكلهم كانوا كل ذلك مجتمعاً في شخصياتهم القوية الصلبة التي واجهت الاحتلال الأجنبي مضحية بكل ما تملك).

● **وقال الأستاذ أبوالقاسم محمد كرّو:** (إني لأزعم بأن أحداً من التونسيين المناضلين حديثاً والجوابين بعلمهم قديماً لا يضاهيه فيما حققه من إشعاع وتركه من صدى في معظم أنحاء آسيا والعالم الإسلامي).

والعجيب أن تونس كرمته سنة ١٩٨٩م أي بعد وفاته بخمس وأربعين سنة، بدعوى أنه جاهد لاستقلال تونس، وحكام تونس اليوم يئدون جهود «الثعالبي» ويذهبون بها أدراج الرياح.

وبعد: فهذا هو «الثعالبي» وتلك حياته موجزة، لكنها معبرة عن تصميم وحماسة وجهد وبذل وتضحية، فما أحرى الشباب أن يقفوا عليها، ويقتدوا بها، ويستفيدوا منها، فرحمه الله رحمة واسعة، ونفعنا بصنيعه وجهاده.■

استطاع أن يظهر بوضوح أن تونس قبل الاحتلال الفرنسي كانت تملك مقومات النهضة وقد قطعت خطوات مهمة في ذلك الطريق فجاء الفرنسيون ليهدموا كل ذلك

محمود زكي باشا: كنت من أشد المعجبين بذكائه الباهر وفصاحة لسانه وسعة اطلاعه وغزارة علمه وفرط حميته الإسلامية

السيرة الذاتية للشيخ أبي الأعلى المودودي وزوجته (٣)

الهجرة إلى باكستان

لم نرَ في حياتنا قطُّ ما يخدش جوَّ الحبِّ والحنان بين والدَيْنا؛ اللهمَّ إلا تلك الحادثة التي اختلفت فيها والدتي وجدتي مع والدي اختلافاً شديداً؛ وكان ذلك في أغسطس عام ١٩٤٧م، حينما بدأت صرخات الفتن تعلو، ورايات الفساد تنتشر.

ولم تكن سمعة والدي ومَنْ كان يرافقه في «دار الإسلام» تسمح لأحد من الهندوس أو السيخ أن تراوده نفسه بالتطاول عليها أو الاقتراب منها، بل كانت أفئدتهم تنهار، وصرخاتهم تصمت كلما سمعوا اسم «دار الإسلام»!

فإنْ تكونوا خرجتمْ من مساكنكُمْ
قسراً، فقد أُخرِجَ الهادي مِن الحَرَمِ

بقلم: حميراء المودودي (*) ترجمة: نور محمد جمعة (**)

ترك المسلمون الذين كانوا يسكنون في القرى المجاورة بيوتهم وكل ما يملكون، ولجأوا مع ذويهم ودوابِّهم إليها، وازداد عدد المسلمين في تلك المنطقة، وكانت الأفواج تصل واحدة تلو الأخرى، لكن لم تصل إلى هناك من حافلات الجيش لنقل المسلمين إلى باكستان إلا ثلاث حافلات، إحداها كانت قد خُصِّصت لأسرة السيد «نياز علي»، فلم تبقَ لأهل «دار الإسلام» والجماهير التي التجأت إلى هناك إلا حافلتان فقط!

قرر والدي مباشرة أن تركب النساء والأولاد وينطلقوا، أما الرجال فسيلحقون بهم تباعاً، وبدأ الجنود الشبان الذين كانوا يرافقون الحافلات يصدرون أوامرهم بالإسراع، وأنه ليس أمامهم إلا عشر دقائق، وأن وقتهم ضيق جداً. لكن والدتي وجدتي في هذه الظروف العصيبة رفضتا الأمر رفضاً باتاً، وقالتا: «كيف نخرج من غير رجال، والهندوس يحملون خناجرهم ويقفون على الطرقات؟».

وكانت هذه الصرخة الرافضة عالية في كل البيوت، وبما أن بيتنا كان قدوة للآخرين فكانت العيون عليه. لكن والدي أصر على قراره قائلاً: «كيف أهرب بأهلي وأسرتي، وأَدَعُ هؤلاء المسلمين الذين لجأوا إليَّ من القرى المجاورة فريسة لرحمة الهندوس وكرمهم؟! كلا.. لن يكون ذلك».

ثم خاطب النساء بقوله: «إذا بقيت النساء والأولاد بيننا فستهار عزائم الشجعان منا، وسيفكر كل بنجاة نفسه، وإذا ذهبت النساء والأولاد فسوف نطمئن على أعراضنا، أما أنفسنا فهي بيد الله يفعل بها ما يشاء، فلا تفكرن فينا، وتوكلن على الله».

في «البيت الفصيح»

كان الوقت يمر بسرعة في هذه المناقشات، وكان الجنود يصفرون، فرفع والدي صوته وقال لأمي مصمماً: «لن أتحرك من هنا ما بقي مسلم واحد لم ينتقل إلى باكستان!».. حرّكت هذه الصرخة الأخيرة جدتي؛ فقامت وعلقت مصحفها في رقبتها، وأخذت إبريق وضوئها في يدها، وأمسكت مع والدتي بأيدي الأولاد، وتحركتا صوب الحافلة والحزن والأسى يصرخان في وجهيهما، وشفاههما الجافة ترتجف بؤساً، وعيونهما تفيض دمعاً.

ولما ركبتا الحافلة أسرعت سائر النساء والأولاد وركبوا الحافلات. وبعد ما تحركت الحافلات بدأ الناس يبكون، والبعض لم يتمالك نفسه من شدة الحزن فكانوا يهربون يميناً أو شمالاً. التفتنا إلى الوراء ننظر من نافذة الحافلة فرأينا والدنا وهو صامد كالجبل الراسخ ينظر إلينا في صمت رهيب.

أمر والدي الشيخ عبد الجبار غازي(١) بأن يرافق القوافل من «دار الإسلام»، وأوصاه بأن يأخذ الحافلات إلى بيت يملكه «نصر الله خان عزيز»(٢) بمنطقة «جوال مندي» في «لاهور»، ثم يأخذنا نحن على العربات إلى «الحديقة الإسلامية» عند «بيت الفصيح» للشيخ ظفر إقبال(٣)، وكذلك أمره بأن يوصل جميع النساء إلى بيوت ذويهم.

قضينا أياماً في «البيت الفصيح» لا ندري عن الوالد شيئاً؛ أين هو؟ أو كيف حاله؟ وما أخباره؟ كانت الأيام تمر على والدتي وجدتي كالقرون، والليالي أشد من ذلك!! وقد بالغ الشيخ ظفر إقبال وأسرته في ضيافتنا وعلاجنا ومواساتنا إلى درجة أحيت في ذاكرتنا تلك الصورة الجميلة من التفاني والإيثار التي رسمها الأنصار في المدينة لإخوانهم الذين هاجروا من مكة.

قيام باكستان

وصلنا إلى لاهور من «دار الإسلام» في «تبان كوت» شرق «بنجاب» في أغسطس عام ١٩٤٧م بعد انفصال باكستان عن الهند، وعوضاً عما تركناه في «دار الإسلام» سُلِّمت لنا وللجماعة الإسلامية البنايات التابعة لمدرسة «سوهن لال» الثانوية الواقعة على مقربة من منطقة «جوبرجي».

(*) كبرى بنات المودودي، وُلدت في ٢٢يوليو١٩٤٥م بالهند، وتعيش الآن بمدينة «لاهور» في باكستان.

(**) أستاذ بكلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية بـ«الجامعة الإسلامية العالمية» في العاصمة الباكستانية «إسلام آباد».

كان بيتنا مكتب الجماعة الإسلامية في «دار الإسلام»، وهنا أعطِي لنا بيت رئيس المدرسة. وقضينا ما يقرب من شهرين في هذا البيت، وقد زارنا في هذه الفترة الشيخ العلامة «محمد أسد» ترافقه زوجته وابنه. ومن الطابق الثالث للبيت استمعنا إلى الخطاب الذي ألقاه القائد محمد علي جناح(٤) في ساحة جامعة البنجاب في ٣٠ أكتوبر ١٩٤٧م بعد قيام دولة باكستان.

في تلك الأيام كان والدي قد التقى «شودري محمد علي»، الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء باكستان (تُوفِّي في ١ ديسمبر١٩٨٠م)، وقال له: «بدأ بعض قادة حزب (الرابطة الإسلامية)(٥) يهمسون لإقامة دولة علمانية في باكستان، ومثل هذه الهمسات ليست إلا مِلْحاً على جروح المظلومين وخيانة لدماء الشهداء.. قبل عدة أيام فقط وصل قطار العمال من «شملة» إلى لاهور وقد قُضي على جميع مَنْ فيه، فلم يبق فيه إنسان ينبض بالحياة، وكانت عجلاته قد صبغت بالدماء، ولم تزل الفتيات المسلمات في براثن الهندوس، ولم تُدفَن بعد جثث الشهداء، وها نحن نسمع من يهتف بعلمنة باكستان، هذه الجماهير لم تخرج وراءكم، ولم تهتف لكم إلا بعد ما رفعتم شعار: (الغاية من بناء باكستان.. لا إله إلا الله)..

وكان جواب «شودري محمد علي»: «سأبلغ رسالتك هذه إلى رئيس الوزراء لياقت علي خان»(٦).

ثم انصرف والدي إلى دفن جثث الشهداء التي مازالت ملقاة على أطراف محطة القطار في «لاهور» وكانت الحيوانات تعبث بها؛ لأن المسؤولين الذين كان من واجبهم القيام بهذا الأمر قد انشغلوا بسرقة بيوت الهندوس الذين هربوا من «لاهور»، ونهب أموالهم!

المودودي: الإيمان حالة قلبية وليس شيئاً مادياً.. فلا يستطيع أحد تحديد سعره وانما يقرر صاحب الإيمان نفسه قيمة ما يحمله في صدره

مخيّم «الحديقة الإسلامية»

لم يمر شهران إلا وقد أرسلت الحكومة الباكستانية من يطردنا من البيت الذي سكنّا فيها، ولم يُظهِر والدي أي اعتراض أو شكوى، وأمرنا بأن نستعد للخروج من البناية التي أصبحت الآن مدرسة للبنات في شارع «ليك جوبرجي».. وقبل المغرب أحضر عربتين وقال لوالدتي وجدتي: «لا تحملوا معكم إلا ما أحضرتموه من «دار الإسلام»، واركبوا في العربات فوراً».

خرجنا وركبنا العربات، وكان والدي وأصحابه قد سبقونا إلى عرباتهم، ووصلت القافلة إلى الحديقة الإسلامية (المكان الذي أصبح الآن بيتاً للدكتور رياض قدير)، وكان أعضاء الجماعة الإسلامية قد سبقونا إلى المكان ورتبوا هناك مخيّماً. وفي اليوم التالي سلّم والدي مفاتيح البنايات إلى موظفي الحكومة، وقضينا نحو شهرين ونصف الشهر في ذلك المخيّم.

قيمة الإيمان

إن ما قام به والدي من إخلاء السكنات دون أي اعتراض ولا مشاجرة يُعَدُّ قمة الاستغناء والصبر والاحتساب الذي لا يستطيعه إلا أمثاله من الرجال البواسل. وقد كتب في إحدى كتبه يقول: «بما أن الإيمان حالة قلبية وليس شيئاً مادياً يُلمَس فلا يستطيع أي زبون أن يحدد سعره، وإنما يقرر صاحب الإيمان نفسه سعر ما يحمله في صدره، فعند البعض ليس إلا شيئاً حقيراً يبيعه بقطعة خبز ولا يبالي، وعند الآخر شيء غالٍ لا يُقدَّر بثمن فلا يتاجر فيه إلا مع رب السموات والأرضين.. فهذه هي القوة التي تدفع المسلم إلى إقامة دين الله في الأرض، وبناء معالم الثقافة والأخلاق الإسلامية، وتجعله يتحمل في سبيل ذلك أقصى المشقات وأشد العذاب.. ويوم أن كان إيمان المسلم لا يوازيه مال مهما كان قدره كانت الدنيا تركع أمامه وتطيعه، أما اليوم وقد أصبح إيمانه شيئاً رخيصاً أصبح يخضع للجميع ويخشاهم».

وهنا أيقنا أن خيام العزة والكرامة تفوق قصور الذلة والمهانة، وقد مرت تلك الأيام الصعبة كذلك.

وا معتصماه!

في تلك الأيام شاور والدي أصحابه واتفقوا على دفن جثث الشهداء قبل كل شيء؛ استأجروا عدداً من الشاحنات وقسَّموا أعضاء الجماعة الإسلامية إلى فريقين، فريق يجهز قبوراً جماعية في مكان يسمى الآن «سمن آباد»، والفريق الثاني يجمع الجثث وينقلها بالشاحنات إلى هناك، فيصلون عليها جماعة ثم يدفنونها.

ينصرف الفريق الثاني إلى جمع الجثث في حين يبدأ الفريق الأول بحفر قبور أخرى، وكنا نحن الأطفال نقف ونتفرج عليهم، وفي كل مرة يطردوننا من هناك ويصرخون فينا: «يا أولاد.. لا تشاهدوا الجثث، ستخافون في الليل.. ابتعدوا!»، ولكن الخوف والفزع كان قد ذهب عنا من كثرة ما شاهدناه من الجثث في «دار الإسلام». وهذه كانت جثث رجال غرسوا شجرة باكستان بدمائهم، ويعود الفضل في بناء صرح باكستان إليهم، ولعل سكان «سمن آباد» اليوم لا يعرفون أنهم يركضون ويلعبون على رفات مئات الشهداء ممن حرروا باكستان.

ولما فرغوا من دفن جثث الشهداء بدأ أعضاء الجماعة يضعون برامجَ للقضاء على النهب والسرقات التي كانت تهدد المخيمات بشدة؛ فقد كانت المساعدات الشعبية من الأغطية والفرش والأكل والشرب تتدفق نحو المخيمات إلا أن بعض المتطوعين وبعض موظفي الحكومة بدأوا بنهبها وقطع الطريق

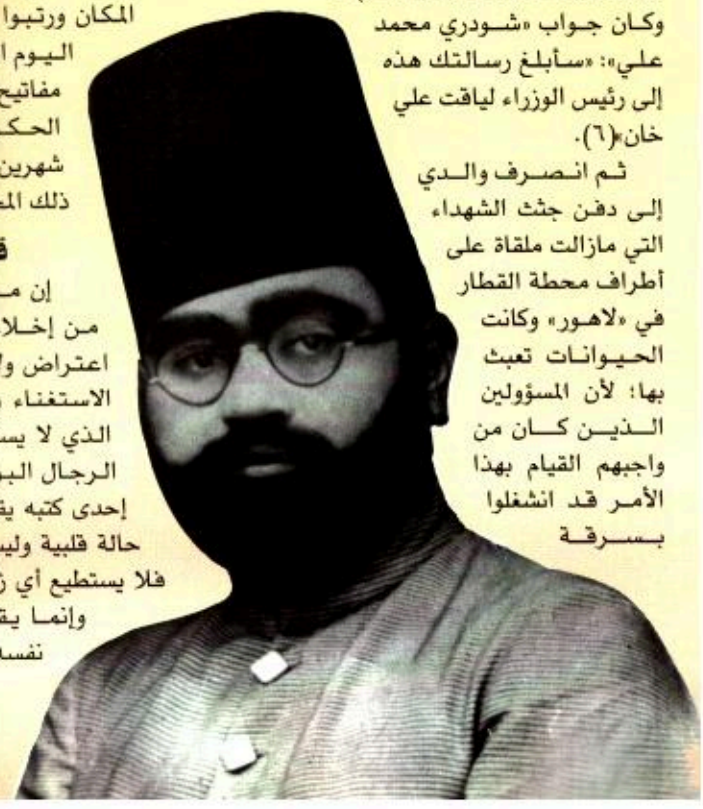

الأشجار الوارفة

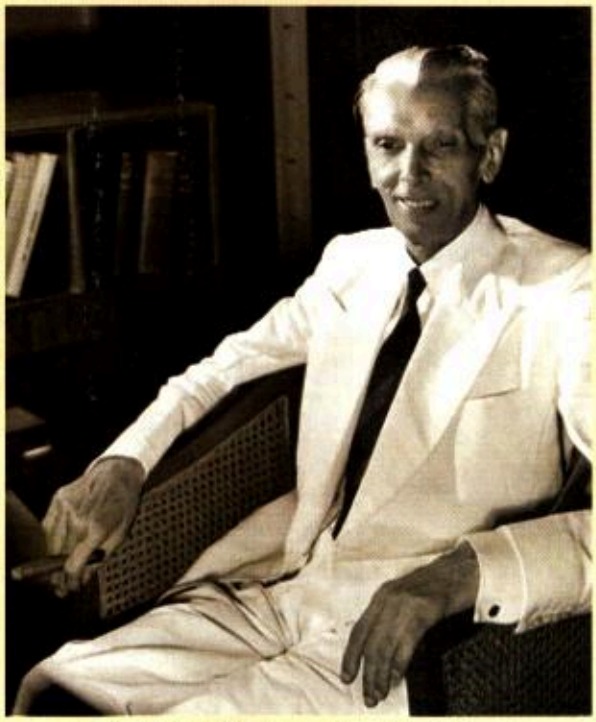

«محمد علي جناح».. مؤسس جمهورية باكستان الإسلامية

عن بيانها أو تصويرها! لكنهن صمدن أمام تلك الوحشية والهمجية بكل بطولة وصبر، عسى عيونهن تقر برؤية باكستان ومستقبله المشرق.

ولقد قيل بأن الرجال يغرسون مآسي الحرب بدمائهم في أيام وتبقى النساء ترويها بدموعهن مدى السنين، لكن دم المرأة هنا كاد ينافس دم الرجل وبطولته. هذه لم تكن إلا جروحاً نراها فتكاد أرواحنا تخرج من هولها وفزعها، وعيوننا تجف من البكاء على أطلالها، وأما آلام أرواحهن وجروح أفئدتهن فقد كانت أشد وأنكى بمئات الأضعاف إلا أنها سُترت بستائر من الغيب والحياء والاحتساب، وأنّى لعيوننا وأحاسيسنا أن تصل إليها!

ثمن الحرية!

غيَّرت هذه الأخبار التي كانت تسكب في آذان والدي مباشرة من مصادرها الحية جوَّ بيتنا، فكنا نشاطرهن الآلام والأحزان، وكانت الدموع تنهمر من عيني والدتي ولا تكاد تجف لحظة، وآثار الحزن كانت تغزو وجه والدي بشدة، فها هو يسمع بالظلم والوحشية، وغيرته تثور في داخله لكن ليس بيده شيء، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً ليقضي على تلك المآسي أو يخففها، فكنا نعيش أجواءً صعبة من الأسى والحزن والألم.

مازالت لي صلة بواحدة من تلك الفتيات، هي الآن أم لأحد كبار الموظفين ولا ينقصها شيء في الحياة، لكن لم تزل تنتابها موجات من الكآبة والحزن حيناً بعد حين ولاسيما في شهر أغسطس!

في ١٤ أغسطس الماضي اتصلت بي وطلبت أن أزورها، وقالت لي: «قضيت معظم أيام حياتي هنا في قصور «المدينة الحديثة» لكن كلما أضع رأسي لأنام تتجدد أمام عيني صور حياتي في «لدهياني».. النيران تلتهم بيتنا.. جثمان أبي ملطخ بالدماء في وسط البيت.. أختي الكبيرة يجرها مجموعة من الهندوس.. هجم عليَّ أحد الهندوس ممن كنا نناديه بالعمِّ، فأغمي عليَّ من شدة الخوف. عرفت فيما بعد أن أختي الكبيرة اغتصبها مجموعة من هؤلاء الأشرار فماتت، وأنا الإنسانة المشؤومة لم أمت يومذاك!».

وتابعت: «ها أنت ترين معي الشباب الذين من واجبهم أن يدافعوا عن وطنهم وأعراض أخواتهم رموا شعورهم على أكتافهم، يحركون أفخاذهم وظهورهم يميناً وشمالاً ويرقصون باسم الحرية، أما ما دفعناه نحن أمامها.

وكانت تصل أفواج من الفتيات اللاتي استطعن بطريقة أو أخرى النجاة بأنفسهن من براثن الهندوس المتغطرسين إلى باكستان وكُنَّ قد فقدن ذويهنَّ، أو استُشهد رجالهن، فإذا بهنَّ يقعن فريسة للقوميين الباكستانيين، وقد امتلأت صفحات الجرائد بالجرائم التي كان يقوم بها هؤلاء الأنذال في حق أولئك الفتيات المسلمات. بعضهن جئن إلى والدي وكن يصرخن وقلوبهن تقطر دماً والدموع قد جفت في عيونهن: «إذا كنا لا نأمن على أعراضنا وأنفسنا، وتُهدَر كرامتنا وشرفنا في باكستان فإلى أين نذهب؟!».

كانت هذه من أشد الصور ضنكاً وألماً في حياة الوالد، كانت تصل بعض الفتيات المسلمات اللاتي خرجن من براثن الهندوس إلى تلك المخيمات وكأنهن ينزعن بقايا الحياة من أفواه جروحهن التي لم تزل تنزف دماً!! ورأيت بأم رأسي واحدة منهن وقد فقع أحد الهندوس إحدى عينيها بخنجره! ومازالت آثار الأسنان التي افترست أجساد بعضهن لم تندمل بعد! ومازالت صورة إحداهن تلوح أمام عيني وقد جرح الهندوس وجهها! فقد كانت تلك الأجسام النحيلة عرضة لمآسٍ وآلام وجروح يعجز القلم

عندما هبّت رياح الاشتراكية صوب باكستان أعلن المودودي: هذا البلد لأمة محمد ﷺ العربي وليس لأتباع «كارل ماركس» ولا لحثالة «ماو تسي تونج»

من تضحيات مقابل هذه الحرية فلا يعرفها غيرنا.. هؤلاء الذين يرقصون ويغنون لن يدركوا ما ذاقته تلك الفتيات اللاتي أهدرت كرامتهن في الاغتصاب الجماعي، هذه صور مأساوية يشهد لها تراب الأرض الجاف ولا يحفظها إلا أثير الهواء البارد! أيقني يا أختي أن الباكستانيين لا يستحقون الحرية. ألا يدرك هؤلاء المغفلون الذين يمدون يد الصداقة والمحبة لهؤلاء الهندوس أننا كنا ننادي جيراننا من الهندوس: بيا أبتِ، ويا أماه، ويا عمي العزيز؟!».

البحث عن الفتيات اللاتي اختُطفن أو فُقدن في تلك الأحداث وإيصالهن إلى ذويهن أو مَنْ يعرفهن كان أمراً في غاية الصعوبة، وتصوَّرْ معي تلك الصورة الشنيعة والمؤسفة التي كثيراً ما كانت تحدث؛ تصل البنت إلى ذويها وتتعرف عليهم؛ فإذا بهم يتجاهلونها ويُعرضون عنها، أي يرفضون أن يأخذوا أختهم أو بنتهم معهم (!) وهنا كنت ترى تلك البنت المسكينة التي لا مأوى لها ولا أمل، تفتح فمها كالثور الهائج تهدر بأشد الأدعية وأغلظ الشتائم على والديها وذويها، وتكاد صرخات الفتيات تدوي في السماء وتقلع القلوب التي في الصدور. فكان والدي وأصحابه هم الذين يرتبون حياة تلك البنات ويزوجونهن.

الحُكْم لله وحده!

كل تلك الأعمال الإغاثية لم تكن تستطيع أن تضع الأغلال على أقدام ذلك الأسد الثائر، فكان زئيره السياسي والعلمي يطيِّر النوم من أعين الأعداء؛ فقد كان يضغط بكل ثقله على الحكومة للاعتراف بـ«قرار الأهداف». طاف بالبلد كله كالعاصفة، وكان يلقي دروساً في الإذاعة، بجانب محاضراته في القانون في كلية القانون في «جامعة البنجاب». ورفع صوته عالياً في وجه الموظفين الذين لم يكونوا يبالون بشيء ولا يشعرون بأدنى مسؤولية تجاه واجباتهم وتجاه ما يحدث من السرقات والنهب والأعمال الشنيعة في المخيمات.

بعد كل هذه المساعي لم تشكر الحكومة والدي فحسب؛ بل اعتبرته وجماعته «عدوها اللدود»، بل أكبر أعدائها. فقد خاف رئيس الوزراء على كرسيه، كما شعر العلمانيون بأن هذه الإصلاحات تطعن في شرعيتهم، فضاقوا بكل ذلك وبدأوا أعمالهم العدوانية وخلافاتهم؛ أكثروا من زرع الطعن على الجهاد في «كشمير»، وأكثروا العراقيل في وجه الجماعة الإسلامية، وبلغ الأمر برئيس الوزراء «نواب زاده لياقت علي خان» أن قال للصحفيين: «يريد المودودي أن ينصِّب نفسه أميراً للمؤمنين في باكستان!».. فكان هذا جزاء من يذكِّر الحكومة بما وعدت به شعبها من الأمن، ويحذِّرها من نهب أموال المواطنين.

شودري محمد علي

في تلك الأيام أعلن الوالد على الملأ: «إذا لم يعلن القادة السياسيون وأصحاب القرار في البرلمان أن الهدف من قيام باكستان كان إقامة شرع الله، ولم يقروا بأن عقيدة الدولة وغاية الملك هو الوصول إلى أنه «لا إله إلا الله» فهذا سيكون أكبر خديعة وأعظم مكر قد دُبِّر بليل بهيم لمسلمي الهند وباكستان».. وللحصول على هذه الأهداف وضع فكرة «الحاكمية والعدالة الاجتماعية» في اقتراح مشروع «قرار الأهداف» الذي جاء فيه أن الحكم لله وحده، وأن الشعب يجب أن ينعم بجميع حقوقه الاجتماعية(٧).

فما قام به والدي تجاه مشروع «قرار الأهداف»، يُعَدُّ من أبرز مساعيه وأكبر أعماله، وقد سانده في ذلك ووقف معه بشكل جيد كثير من أعضاء حزب الرابطة الإسلامية، والشيخ شبير أحمد عثماني(٨) ونائبه الشيخ ظفر أحمد أنصاري(٩).

ولما بدأت رياح الاشتراكية تغزو باكستان، وبدأت بعض راياتها ترفرف في الأجواء أعلن والدي: «هذا البلد لأمة محمد العربي ﷺ وليس لأتباع «كارل ماركس»(١٠) ولا لحثالة «ماو تسي تونج»(١١)، ونحن قوم إذا اضطررنا إلى أن نقاتل في سبيل الدفاع عن دين الله وحفظ حرماته فلن تصمد في وجهنا عشرات الجيوش.. في آن واحد سندك جيوش التطاول والفرعنة كما نقضي على العلمنة والطغيان، ولن يستطيع أحد مهما كان أن يُقيِّم قائمة لدين غير دين الله في هذا البلد ما بقيت الحياة تنبض فينا، وما بقيت رقابنا تحمل رؤوسنا».

يريد المجرمون الدين يفنى
بباكستان في حقدٍ وغلّ.■

وضع فكرة «الحاكمية والعدالة الاجتماعية» في اقتراح مشروع «قرار الأهداف» لضمان حقوق الشعب الاجتماعية.. وجاء فيه أن الحكم لله وحده

الهوامش

(١) تُوفِّي عام ١٩٨١م.
(٢) تُوفِّي في ٢ يونيو١٩٧٦م.
(٣) تُوفِّي في ٥ مايو١٩٨٥م.
(٤) تُوفِّي في ١١ سبتمبر١٩٤٨م.
(٥) أُسِّس «حزب الرابطة الإسلامية» عام ١٩٠٦م؛ بهدف مطالبة الإنجليز ببعض الحقوق، والاستغاثة ضد سيطرة الهندوس، وإعلان الوفاء للتاج البريطاني!
(٦) تُوفِّي في ١٦ أكتوبر١٩٥١م.
(٧) ضغط «المودودي» وجماعته - بتعاون من الشعب - على الحكومة الباكستانية ومجلس سنّ القوانين للموافقة على جعل الشريعة الإسلامية المصدر الأساس للتشريع والسلطة، واضطرت الحكومة إلى الموافقة على «قرار الأهداف» الذي يحدِّد الوجهة الإسلامية الصحيحة لباكستان في ٣ جمادى الأولى١٣٦٨هـ (١٢ مارس١٩٤٩م).
(٨) تُوفِّي في ١٣ ديسمبر١٩٤٩م.
(٩) وُلِد عام ١٩٠٨م بمدينة «إله آباد» في الهند، ولعب دوراً بارزاً في انفصال باكستان عن الهند، وشارك في الدعوة إلى أسلمة القوانين في باكستان.. دخل البرلمان عام ١٩٧٠م، وعُيِّن عضواً في مجلس الشؤون الإسلامية عام ١٩٧٧م، وتوفي في ٢٠ ديسمبر١٩٩١م، ودُفن في «إسلام آباد».
(١٠) هلك في ١٨٨٧م.
(١١) هلك في ١٩٧٦م.

تأثير القرآن الكريم في مجال اللغة والحضارة

(٦ من ١٠)

بقلم: أ.د. حلمي محمد القاعود (*)

يتحدث الرسول ﷺ عن القرآن الكريم، فيقول: «فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل».

هذه خلاصة القرآن الكريم، كما وضحها البشير النذير، صلوات الله عليه وسلامه، وهذه الخلاصة تطرح المنهج الإسلامي كله في إيجاز، لبناء الحاضر، وإبداع المستقبل، تأمل كيف قال: «ما قبلكم... وما بعدكم»(١)، ولم يقل: «من قبلكم.. ومن بعدكم».

نبأ.. وخبر

إنه يقصد ما سبق بعقلائه وغير عقلائه من المخلوقات والكائنات والجمادات، والأمر نفسه بالنسبة لما بعده، وكأنه لا يقصد «الناس وحدهم»، وإنما يقصد الوجود الإنساني كله في إطار الحضارة والبناء والقوة والفكر والثقافة، وفي الوقت ذاته يشير إلى أنه الحكم أو الفيصل الذي يفصل بين الصواب والخطأ، لأنه جدٌّ وليس هزلا، مما يردّ على القائلين من أهل الهوى، بأن القرآن «مُنْتج تاريخي»، أو أنه « كتاب عبادة» وليس كتاب عمل وأسلوب حياة.

ولذا نجد «الرافعي» يشير إلى هذه المسألة إشارة واضحة دقيقة، حين يقول: «... تجد الخطاب الأدبي مطلقاً في القرآن كله، كأنه نظام إنساني عام لا يُراد به إلا حرية المنفعة للنوع كله، ثم الموازنة بين مقدار هذه المنفعة وبين مقدار الحرية التي تُنال بها، وليكون كل شيء في نصابه الاجتماعي، فإن إطلاق الحرية عبث، وإطلاق المنفعة ضرر أو ضرار...»(٢).

وتأكيد «الرافعي» تنظيم القرآن الكريم للمجتمع، يوجب بالتبعية فهم القرآن فهماً دقيقاً صحيحاً، ولا يتأتى ذلك إلا بفهم اللغة العربية واستيعابها، لتخدم العرب، ومن أصبح في حكم العرب، أي المسلمين، ومن عاش بينهم، ففي النبأ الذي يسوقه القرآن عن الأقدمين عظة وعبرة لمن يريد الاتعاظ والاعتبار، والبعد عن المزالق المهلكة والسير في المسالك المنجية، وفي الخبر القرآني عن مصير الأمم التي استقامت أو انحرفت، ما يغني أولي الألباب عن كثير من المتاعب والصعاب.

جيل نموذجي

ويعد الجيل الأول من المسلمين الذي عاش مع الرسول ﷺ وتشبَّع بتعاليم مدرسة النبوة الأولى، دليلاً حيّاً على تأثير القرآن الكريم في العرب ولغتهم معاً، فقد شهد هذا الجيل، بل أحسّ حلاوة القرآن غضّاً طريّاً، بحيث تحوّلت بلاغته إلى فطرة مركوزة في النفوس والأفئدة - كما سبقت الإشارة - فالفطرة الدينية مؤاتية، والنفوس مستجيبة، لدرجة أنه - أي هذا الجيل - خالف عاداته، وناقض طباعه، وخرج مما ألف، وخُلِق على الكِبَر - كما يقول الرافعي - خلقاً جديداً. ومع ذلك فإن الفلسفة كلها، والتجارب جميعها، والعلوم قاطبة، لم تنشئ جيلاً من الناس، ولا جماعة من الجيل، ولا فئة من الجماعة، كالذي أخرجته آداب القرآن وأخلاقه من أصحاب رسول الله ﷺ في علو النفس، وصفاء الطبع، ورقة الجانب، وبسط الجناح، ورجاحة اليقين، وتمكن الإيمان، إلى سلامة القلب، وانفساح الصدر، ونقاء الدخيلة، وانطواء الضمير على أطهر ما عسى أن يكون في الإنسان من طهارة الخلق، ثم العفة في مذاهب الفضيلة؛ من حسن العصمة، وشدة الأمانة، وإقامة العدل، والذلة للحق، وهلمَّ إلى أن تستوفي الباب كله(٣).

هذا الجيل النموذجي صنعه الفهم الصحيح للقرآن، فشدّه إلى بعضه، ووحّده تحت راية واحدة، هي راية القرآن، ولغته، التي عدّها بعضهم في مرتبة القداسة، حرصاً عليها، وضنّاً بها من الابتذال والعجمة.

مقارنة

إنها عقدة لغوية لا تتحلل منها الألسنة المختلفة أبداً، وهذا من أرقى معاني السياسة، فإن الأمم إن لم تكن لها جامعة لسانية، لا يجمعها الدين ولا غير الدين إلا جمع تفريق. وإذا كانت العربية القرآنية جمعت العرب أو الأمة من خلال «جامعة لسانية» فريدة في نوعها وخصائصها، فإن الأمر يختلف بالنسبة للتوراة والأناجيل، حيث لا يقرؤها بلغاتها الأصلية، إلا شرذمة قليلة من اليهود وغير اليهود.

فالذي أمسكه القرآن الكريم من العربية لم يتهيأ في لغة من لغات

(*) أستاذ الأدب والنقد

الأرض، ولن تتلاحق أسبابه في لغة بعد العربية. فالجرمانية مثلاً؛ انشقت منها فروع كثيرة في زمن جاهليتها، واستمرت ذاهبة كل مذهب، وهي تثمر في كل أرض بلون من المنطق، وجنس من الكلام، حتى القرن السادس عشر للميلاد؛ إذ تعلّق الدين والسياسة معاً بفرع واحد من الفروع، هو الذي نقلت إليه التوراة، فاهتزّ، وربا، وأورق من الكتب، وأزهر من العقول، وأثمر من القلوب، وبعد أن صار لغة الدين صار دين التوحيد في تلك اللغات المتشابهة، وبقيت هي معه إلى زيغ، حتى انطوت في ظله، ثم ضحى بنوره؛ فإذا هي في مستقرّها من الماضي، ونسيت نسيان الميت»(٤).

ولاشك أن العربية لم يحدث لها ما حدث للجرمانية، ولن تنسى نسيان الميت بمشيئة الله، فمازال العرب، في ظل هوانهم أو ضعفهم المعاصر، يلتقون - ومعهم المسلمون الذين لا يعرفون العربية - حول القرآن الكريم، وتذوق لغته، وإن لم يفهموها، وهي العنصر الجامع في «نشرة الأخبار»، و«خطب الزعماء»، و«قصائد الشعراء»، و«سرد القصّاص والرواة»، في كل بقعة فيها عربي، أو مكان يستدعي آية من القرآن.

صورة مضيئة

إن هذا القرآن، إنما هو أثر من لغة قوم جاوزوا في الحضارة حدّ أهلها من سائر الأجيال، وبلغوا من أحوال المدنية أرقى هذه الأحوال، وكانوا من العلوم في مقام معلوم، لأن هذا الماء الصافي الذي يترقرق في عبارته، وهذا النظم الجيد الوثيق، وما اشتمل عليه من بدائع الأوصاف، وما فيه من روائع الحكمة، ثم ما احتوى عليه من إشارات السماء إلى الأرض، وضراعة الأرض للسماء، إلى ما حلّه من معضلات الاجتماع، وكشفه من وجوه السياسيين النفسية والقومية، لا يكون البتة في لغة أمة قد أناخت بها أخلاق البداوة في ساقة الأمم حتى عبدت الأصنام، ولم تعرف من الشرائع غير شريعة الإلهام، وما ملكها من ملوك الدهر غير سلطان الأوهام(٥).

والرافعي، يقول لنا بوضوح كاشف، وفي إيجاز دال: «إن القرآن بلغته العربية، لا يكون في قوم يفهمونه، وينحطون إلى التخلف والوثنية. ولكنه ينهض بمن يستوعبونه إلى ذروة الحضارة والتقدم، وهو ما كان مع العرب البدو البسطاء، الذين ارتقوا - وخاصة في صدر الإسلام - إلى صدر العالمين».

ويضرب لنا مثلا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، حتى قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾(الإسراء).

ويعلق على الآيات الكريمة بقوله: «إذاً هو - أي العربي البدوي - قرأ هذه الآيات البينات، ثم تدبّرها، وأحسن حملها، وتأويلها، ولم يكن كدر الحسّ، ولا مريض الذوق؛ فإن أحرفها تسطع له من نور الأخلاق بما يرى فيه أمة تضجّ في الحضارة، وتتخبط، ومدنية تضطرب في أهلها وتختلط، فلو أن أعضاء المجمع العلمي الفرنسي لعهدنا أرادوا مخاطبة أمتهم... لما أصابوا في غرضهم أسدّ ولا أحكم ولا أبلغ من تلك الآيات، يعرضونها على القوم، فيبصّرونهم صورة مجموعهم في مرآتها، ويعرّفونهم مبلغ سيئاتهم من حسناتها، وينفضون إليهم جملة الحال في شبه الإيجاز النظري من كلماتها»(٦). والإيجاز النظري، هو إيجاز الحقائق الحسّية، أي استيعاب العين للحقيقة كلها في لحظة واحدة.

إذاً آيات القرآن الكريم في سورة الإسراء التي استشهد بها الرافعي، تسطع بنور الأخلاق التي تبني المجتمع وتضيئه، وتقيم الحضارة وتعلي من شأنها، وهو ما استوعبه الجيل الأول من الصحابة أو العرب، وبنوا عليه صورة مضيئة، يحتذيها العالم. ولو أن أعضاء المجمع العلمي الفرنسي أرادوا نصيحة أمّتهم، لما قدموا إليها غير هذه الصورة التي تكشف لهم واقعهم بسيئاته وحسناته.

تشريع شامل

إن الحديث عن تأثير القرآن الكريم بلغته العربية وبلاغته المعجزة، على العرب والمسلمين، يطول، ويمتدّ، ولكن الذي يمكن أن نوجزه في كلمات هو: أن العرب وجدوا في القرآن الكريم ولغته وبلاغته، مصدراً لتشريع شامل، يجمعهم في وحدة إنسانية ولسانية وحضارية وهو ما جعلهم في مقدمة العالم قبل قرون ويمكن أن يتكرّر الأمر، لو أرادوا، وعملوا على فقهه، وعرفوا لغته، واقتربوا من بلاغته.■

العرب وجدوا في القرآن الكريم تشريعاً شاملاً يجمعهم في وحدة إنسانية ولسانية وحضارية جعلتهم في المقدمة قبل قرون

الهوامش

(١) هذا جزء من حديث أورده البخاري في فضائل القرآن، والترمذي في كتاب فضائل القرآن، وكذلك أورده أبوداود والنسائي وابن ماجه، وقيل: إن إسناده مجهول، ولكن دلالته واضحة.

(٢) تاريخ آداب العرب ١١٠/٢ وما بعدها.

(٣) السابق، ٩٧/٢.

(٤) نفسه: ٨٧/٢ - ٩٠.

(٥) نفسه، ٧٥/٢ وما بعدها.

(٦) تاريخ آداب العرب: ٧٥/٢ - ٧٧.

سباعية التأثير بالإثارة

د. علي الحمادي (*)
hammadi3@emerates.net.ae

كثير من المشاهير والمؤثرين في العالم استخدموا أسلوب التأثير بالإثارة، واستطاعوا به أن يصلوا إلى الناس، وأن يهندسوا تفكيرهم ونفوسهم وعواطفهم وسلوكهم.

انظر إلى الداعية الإسلامي «عمرو خالد» والإثارات التي يستخدمها في كلامه وحركاته وملامح وجهه، حتى استطاع أن يستحوذ على قلوب الملايين من البشر، وأن يصل إلى مواقع عجز عن الوصول إليها الغالبية العظمى من الدعاة والمصلحين.

وانظر كذلك إلى الدكتور «طارق السويدان» الذي استطاع بأسلوبه المؤثر وعرضه الرائع، بالإضافة إلى استثماره الفذ للكلمات، ونبرات الصوت، ولغة الجسد أن يصل إلى كَمٍ هائل من المثقفين وغير المثقفين، وأن يؤثر فيهم أيما تأثير.

وتأمل في أسلوب «توم بيترز» (Tom Peters)، وهو أحد كبار المدربين الذين يحصلون على المبالغ الطائلة على سويعات قليلة يتكلمون فيها، ولعل أبرز ما يتميز به هذا الرجل هو استخدامه لأسلوب الاستفزاز والإثارة، ولذا عندما يأتي إلى إحدى الدول العربية؛ فإن مئات من المشاركين يحضرون برامجه التدريبية وينفقون مبالغ كبيرة مقابل هذه المشاركة!

وقد استخدم العرب الشعر كأسلوب للتأثير والإثارة في أشعارهم في كثير من المواقف والمواضع، ومن أشهر تلك المواقف موقف الرسول ﷺ من قريش وبني بكر؛ لما خانوا العهد فغدروا ببني خزاعة في ثأر بينهم قديم، وكان بنو بكر حلفاء لقريش، وبنو خزاعة حلفاء للنبي ﷺ، فأرسل بنو خزاعة وفداً منهم إلى رسول الله ﷺ ليخبروه بما حدث وليطلبوا منه النصرة، فسبقهم عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة حتى قدم على رسول الله ﷺ فوقف عليه، وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال:

يا رب إني ناشد محمدا
حلفنا وحلف أبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا
ثمة أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر، هداك الله، نصرا أيدا
وادع عباد الله يأتوا مددا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل، وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: «نُصرت يا عمرو بن سالم»، ثم عرضت له سحابة من السماء فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب». (تهذيب سيرة ابن هشام).

وإليك الآن سبعاً من الطرق والوصايا المتعلقة بفنون الإثارة والتي يمكن بها صناعة التأثير، وهي كما يلي:

١ـ اطرح موضوعات غريبة ومعلومات عجيبة غير معروفة، مثل تلك المتعلقة بالكون الفسيح، والأجرام السماوية وأسرار الذرة والكائنات الدقيقة، أو المخلوقات العجيبة في أعماق البحار والمحيطات، أو آخر ما توصل إليه علماء الاقتصاد والإدارة، أو غيرها.

٢ـ يمكنك استخدام الأسلوب التهكمي المرح، فهو أحد الأساليب الرئيسة للإثارة والاستفزاز، حيث يتم نقد الواقع، وما فيه من ثغرات وأخطاء وسلبيات بأسلوب تهكمي ساخر فيه النكتة والطرفة، ولكن دون إسفاف، أو تزوير، أو ظلم.

٣ـ احرص على الإحصاءات والمعلومات الرقمية، وابحث عنها في مظانها، واحفظ الكثير منها، وأكثر من ترددها على مسامع الآخرين، فإن ذلك مما يثير الآخرين ويجذبهم إليك.

٤ـ تأمل في الواقع، فكّر في المُسلّمات والقيم والعادات، وارفض الخاطئ والمعوق منها وانقدها، وحينها سيُثار الناس وينجذبون إليك ويتأثرون بما تقول شريطة استخدامك للأسلوب المقنع المدلّل بالحجج والتجارب والبراهين.

٥ـ استخدم أسلوب السؤال، لا سيما تلك الأسئلة الغريبة، مثل: هل تريد أن تصبح مليونيراً؟ ماذا تريد من الحياة؟ إلى متى وأنت في سجن وظيفتك؟.. إلخ.

٦ـ ارفع صوتك واخفضه، وتفاعل مع كل كلمة تنطق بها، فإن ذلك أدعى للإثارة وجذب الآخرين والتأثير فيهم، وقد كان الشيخ «عبد الحميد كشك» يرحمه الله بارعاً في الإثارة، وكذلك الحال بالنسبة للشيخ «حسن أيوب» يرحمه الله، والشيخ «حسن طنون» يرحمه الله، والشيخ «أحمد القطان» أطال الله عمره، وغيرهم كثير والحمد لله تعالى.

٧ـ يمكنك القيام ببعض الحركات الغريبة والمثيرة لتلفت انتباه الآخرين إليك أو إلى الموضوع الذي تود تغييره، وما زلتُ أذكر ما قام به الدكتور عبد الله النفيسي في جامعة الكويت، إذ لما وجد ثمة تقصير فيما يخص نظافتها، اتفق مع بعض الطلبة على القيام بدور عمال النظافة، وبالفعل لبسوا ملابس النظافة، وقاموا بتنظيف الحمامات، ودعوا الصحافة، فعرضت صورهم في الصحف، وكانت فعلتهم هذه غاية في الإثارة والتأثير.

وأخيراً نقول: إن الهدف من التأثير بالإثارة هو جذب الناس إلى الخير الذي بيد صانع الحياة وليس الهدف منه إثبات للوجود أو رغبة في الشهرة والظهور، فما عند الله خير وأبقى، وزخارف الدنيا فانية لا خير فيها، والعاقل من أخلص عمله كله لله تعالى، ظاهره وباطنه، جله ودقه، علنه وخفيه.■

(*) المشرف العام على موقع إسلام تايم الإلكتروني

خطورة تسفيه الآراء

تناولنا في المقال السابق أهم الوسائل لتنمية الثقة بالنفس لدى الأطفال، وانتهينا بالوسيلة الخامسة، وفي هذه الحلقة نتناول بقية الوسائل ونبدأها بالوسيلة السادسة..

بقلم: عبد الحميد البلالي (*)
al-belali@ hotmail.com

سادساً: حسن الاستماع:

إن من أهم وسائل تنمية الثقة بالنفس، أن يشعر الطفل أن لكلماته وأفكاره أهمية، وذلك بالاستماع إليه، والتفاعل الإيجابي معه، ومتابعته..

سابعاً: اللعب معهم:

وكذلك من وسائل إشعار الأطفال بأهميتهم اللعب معهم، وملاطفتهم، وهي وسائل غير مباشرة بأننا نقدرهم، ونحبهم، وهكذا كان النبي ﷺ مع أبنائه وأحفاده.

ثامناً: تعويدهم الاعتماد على النفس:

من خلال:

أ. المشاركة في تنظيف أماكنهم.

ب. تعويدهم الاعتماد في الأكل على أنفسهم، وعدم المبالاة لاتساخ ملابسهم، أو البساط.

ج. عدم حل الواجبات المدرسية عنهم.

د. تكليفهم ببعض المهام التي تتناسب معهم.

هـ. دعه يكتسب خبراته:

فمن أكبر الأخطاء التي يقع فيها الكثير من الوالدين وقوفهما في وجه أطفالهما عندما يريدون اكتساب خبرة ما، فيمنعونهما من إمساك الكرة بأيديهم خوفاً من أن يكسروا بها شيئاً من تحف البيت، فبينما يريد الطفل أن يكتسب خبرة المسك والقذف، ورؤية ردة الفعل، والإحساس بالأشكال المستديرة، ويريد أن يكسب خبرة الأكل بالملعقة، ولكنهما يمنعانه من ذلك، خوفاً من اتساخ ملابسه أو فرش المائدة، ويريد أن يتناول الكأس وحده، ليشرب العصير، ولكنهما يمنعانه خوفاً من وقوع الكأس على الأرض.. وهكذا يُمنع الأطفال من محاولات كثيرة لاكتساب الخبرات الحياتية، مما له أكبر الأثر في فقدان الكثير من القدرات العقلية والبدنية.

تاسعاً: تعليمهم سيرة النبي ﷺ:

وسيرة الصحابة الكرام، وقادة الفتوحات والعلماء.

عاشراً: قصص الناجحين:

إخبارهم بقصص الناجحين والمكافحين في هذه الحياة، خاصة من صغار الصحابة الذين قادوا المعارك كأسامة بن زيد، ومعاذ ومعوذ اللذين قتلا أبا جهل، وطفولة عبدالله بن الزبير، وابن عباس، وأنس وغيرهم من أطفال الصحابة والتابعين.

حادي عشر: العدل بينهم:

في كل أمورهم حتى في الملاطفة، حتى لا يشعر أحد منهم بالنقص، فيؤدي ذلك لتضعضع شخصيته.

ثاني عشر: عدم اللجوء إلى الضرب كعقوبة تربوية:

إلا في أضيق الظروف، كحلٍ أخير بعد استنفاد جميع أنواع العقوبات، لما للضرب من أثر خطير في إضعاف شخصية الأطفال، وتأثير ذلك عليهم حتى عند بلوغهم.

ثالث عشر: نسيان الأخطاء:

فلا نذكرهم بأخطائهم الماضية، بل نفتح باب الأمل والرجوع إلى الصواب، والتركيز على الصفات الإيجابية التي تغيرت.

رابع عشر: تجنب إظهار المشكلات:

التي تحدث بين الوالدين أمام الأطفال، فإن في ذلك الأثر السيئ في نفوس الأطفال، بل بالعكس. لا بد من إظهار المحبة والتفاهم، والمزاح أمام الأطفال، للانعكاس الإيجابي الذي يحدثه في نفوسهم.

خامس عشر: توفير الأمن النفسي:

وذلك بعدم تهديدهم بتركهم، أو إنزال العقوبة بهم، أو الانفصال عن أبيهم، أو إظهار العيوب بالزوج أو الزوجة أو إنزالهم من السيارة أو طردهم من البيت.

سادس عشر: الابتعاد عن العبارات المضعفة للثقة:

كأن تقول: «أنت ولد رائع، فلماذا تفعل ما فعل فلان وفلان من أصدقائك؟ أو لماذا أنت متردد هكذا؟ أو لماذا أنت ضعيف الشخصية؟».

سابع عشر: الابتعاد عن المقارنة:

يجب الابتعاد عن المقارنة بينه وبين إخوانه أو أصدقائه كأن يقال: «كن كأختك التي أخذت العلامة الكاملة في الامتحان، أو كن كصديقك فلان الذي يعرف كيف يذاكر». وغيرها من العبارات التي فيها شيئاً من المقارنة.

ثامن عشر: إشراكه في نوادي الشباب:

الذين يماثلونه في العمر، لممارسة الأنشطة الشبابية والرياضية، والثقافية، والدينية، وتشجيعه على الاشتراك في الأنشطة المدرسية.

تاسع عشر: إسناد المهام:

من أهم الوسائل التربوية لغرس الثقة بالطفل نفسه إسناد بعض المهام له والخاصة بالوالدين، وعلى سبيل المثال: لو كان الأب واعظاً يكلفه بإخراج بعض المراجع له في الموضوع الفلاني من الكتب والانترنت، أو يأخذه الأب إلى مكان عمله الخاص، ويسند له بعض مهام البيع للزبائن.

عشرين: إضفاء روح المرح:

فإضفاء روح المرح في البيت، والتنزه والتسوق مع الأطفال له أثر كبير في تعزيز الثقة بالنفس.■

(*) رئيس جمعية بشائر الخير الكويتية

استعمال اللاصق المانع للجوع في رمضان

إعداد: مسعود صبري
sweet_man111@hotmail.com

شرع الله تعالى الصيام واجباً على المسلمين مرة في العام في شهر رمضان، وتحدّث الفقهاء عن مقاصد الصيام، ومنها: الإحساس بالجوع والعطش، ليشعر المسلم بإخوانه الفقراء، فيدفعه ذلك إلى الإحساس بهم، والسعي لعونهم، خاصة في مثل هذا الشهر الفضيل.

د. يوسف القرضاوي

غير أن فتوى صدرت من هيئة الشؤون الدينية التركية أثارت جدلاً على الساحة الفقهية، حيث رأت هيئة الشؤون الدينية التركية جواز استخدام الصائم «لاصقاً طبياً» خلال نهار شهر رمضان، بحيث يفقده الشهية، للتخفيف من شعوره بالجوع والمشقة طوال الشهر الكريم، من باب التيسير والتخفيف على المسلمين الذين ربما يشتكون الضعف أثناء صيامهم، ومساعدة للمسلمين على الالتزام بصيام شهر رمضان الذي أوجبه الله تعالى على المسلمين.

أدلة المجيزين

وبنت الفتوى القول بجواز استعمال هذا اللاصق الطبي فيما بينه أعضاء الهيئة وعلى رأسهم الشيخ «محمد باريس» مفتي إقليم «أدانا» جنوب تركيا، على عدد من الأدلة الشرعية، من أهمها: أن الصيام يساعد على رشاقة الجسم، والحفاظ عليه من الناحية الجسدية، واستعمال اللاصق يؤدي نفس الغرض فيكون مباحاً.

كما وافقهم عدد من فقهاء تركيا، ومنهم الشيخ «كريم فايز» الذي رأى جواز استعمال اللاصق الطبي؛ لأن المفطرات هي التي تدخل الجسم، ولكن هذا اللاصق لا يدخل الجسم، وإنما يفقد الشهية فحسب، فهو أشبه بوضع الإنسان دهناً أو مرهماً على جلده، كما أن هذا اللاصق لا يعد غذاء يتناول من خلال الفم، ومن المعلوم أن الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، وليس اللاصق منها.

الرافضون

هذه الفتوى التركية قابلها رفض من عدد من الفقهاء، ومنهم **الدكتور «عبدالوهاب بن ناصر الطريري» الأستاذ السابق في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض**، وأحد مسؤولي مؤسسة الإسلام اليوم السعودية، وأرجع «الطريري» الحكم إلى أهل الذكر من الأطباء، فإن ثبت أن هذا اللاصق يمد الجسم بالغذاء كان حراماً ومفطراً، غير أن «الطريري» رأى أن استعمال هذا اللاصق ولو كان حلالاً، فإنه يتنافى مع مقاصد الشريعة الإسلامية من الصيام الذي يعلّم الإنسان الصبر، وتحمل المشاق في سبيل الله تعالى، كما يعلّمه الشعور بإخوانه الفقراء ومشاركتهم بعض أحاسيسهم من خلال الصيام، مما يساعده على مد يد العون إليهم.

العلامة «القرضاوي» رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ذهب إلى كراهة استعمال مثل هذا اللاصق، إن أكد الأطباء أنه يفقد الشهية للتقليل من شعوره بالجوع والمشقة نهار رمضان، ولكن استعماله لا يفسد الصيام ولا يبطله. لكنه في ذات الوقت يقلل من الحكم التي أرادها الشارع من الصوم من تحمل المشقة، والشعور بمعاناة الفقراء. وإن كان يُكره استعمال اللاصق،إن ثبتت فائدته، مع كونه لا يفسد الصيام، لكنه يقلل من أجر الصائم، لما ورد أن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي». (أخرجه أحمد في المسند).

مفاجأة علمية

وإن كان من الفقهاء من يرى جواز استعمال هذا اللاصق؛ لأنه ليس غذاء، ومنهم من رأى حرمته إن ثبت أنه يغذي، أو من يرى كراهته إن ثبتت فائدته، فإن كل هذه الأحكام ربما تتلاشى بعدما خرجت بعض الأبحاث العلمية التي تثبت أن نبات «الهوديا» الذي يُصنع منه اللاصق لا علاقة له بإحساس الإنسان بفقد الشهية، ولكنه نوع من الخداع والدجل العلمي الذي يسوق للعقلية المسلمة مثل هذه المنتجات من باب الانتفاع بأموالهم دون أن تكون هناك جدوى حقيقية يثبتها العلم الحديث، فيكون الحديث الفقهي عن استعمال مثل هذا اللاصق لا محل له من الاجتهاد الفقهي أساساً، ولا علاقة له بصحة الصيام أو فساده.■

من أعلام المفتين

مفتي الشام الشيخ «السعسعاني»

هو «خليل بن عبدالرحيم» مفتي الشام الشهير بـ«السعسعاني» لكون والده كان إماماً بـ«سعسع»، أحد المفتين في القرن الحادي عشر. وأصله من بلدة علائية من بلاد «قرمان».. ولد بـ«سعسع»، ونشأ بـ«دمشق»، وقرأ وساد من حين شبيبته، فسافر إلى الروم، ولازم على قاعدتهم ، ولي قضاء «طرابلس» الشام مرتين، وولي قضاء «قيصرية»، ثم بعد ذلك ولي إفتاء الشام وأعطي رتبة قضاء «القدس»، وعُزل عن الإفتاء فاستقل بمنصب «بعلبك» على طريق التأبيد، ولم يزل في عز وجاه إلى أن توفي، وكانت وفاته نهار الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانين وألف، ودفن بمقبرة «باب الصغير» رحمه الله تعالى.

(خلاصة الأثر للمحبي، ج٢ ص١٣٣. بتصرف).■

ألغاز فقهية في رمضان

س: في ليل رمضان يُباح الأكل والشرب والجماع، فما تقول في رجل يمنع من الجماع في ليل رمضان؟

ج: ذلك صائم معتكف فإنه يحرم على المعتكف الجماع لقوله تعالى: ﴿ولا تُباشِرُوهُنَّ وأنتُمْ عاكِفُونَ في المَساجِدِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

أو في مدة صيام الظهار: ﴿فصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ﴾ (المجادلة).

س: ما تقول في رجل صائم في نهار رمضان ركب سيارته بعد الفجر للسفر فهل يجوز له أن يأكل ويشرب فور ركوبه لأنه عقد نيته السفر أم ينتظر حتى يفارق البنيان «بيوت مدينته».

ج: لا يجوز له أن يفطر حتى يفارق بيوت مدينته ويصدق عليه أنه مسافر.

س: ما تقول في رجلين أتيا متأخرين لصلاة العشاء فوجدا الإمام يصلي التراويح فهل يدخلان معه بنية العشاء ويتمان بعد سلامه، أم يصليان جماعة ثم يدخلان معه في التراويح أم ماذا يفعلان؟

ج: الأولى أن يدخلا مع الإمام بنية العشاء، ويتمان بعده لينالا أجر الجماعة، ولا يشوشا على المصلين بصلاتهما وحدهما.

س: ما تقول في رجل رأى أخاه الصائم يأكل ويشرب في نهار رمضان ناسياً، هل يلزمه أن يذكره أم يسكت كي لا يقطع عنه إطعام ربه له «من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه».

ج: يلزمه تذكيره لأن الأكل للصائم محرم منكر ولكن النسيان يرفع عنه الإثم ويجب على من رأى هذا المنكر أن ينكر لقوله: «من رأى منكم منكراً» الحديث.■

(من فتاوى الشيخ: محمد أمين الجندي)

من فتاوى المجامع والمؤسسات
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

● **سئلت اللجنة: هل يجوز للمرأة استعمال دواء لمنع الحيض في رمضان أم لا؟**

فأجابت: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد: يجوز أن تستعمل المرأة أدوية في رمضان لمنع الحيض؛ إذا قرر أهل الخبرة الأمناء من الدكاترة ومن في حكمهم أن ذلك لا يضرها، ولا يؤثر على جهاز حملها، وخير لها أن تكف عن ذلك، وقد جعل الله لها رخصة في الفطر إذا جاء الحيض في رمضان، ورضي لها بذلك ديناً، والله أعلم.

● **وسئلت اللجنة عن: رجل اضطر إلى مراجعة المستشفى في رمضان وهو صائم، ولما حضر إلى المستشفى أُخذ منه دم، فهل يخل بصومه؟**

فأجابت: إذا كان الدم الذي أخذ منه يسيراً عرفاً، فلا يجب عليه قضاء ذلك اليوم، وإن كان ما أخذ كثيراً عرفاً، فإنه يقضي ذلك اليوم خروجاً من الخلاف، وأخذاً بالاحتياط براءة لذمته، والله أعلم.■

من كتب الفقه والفتوى:

تذكرة الصوام بشيء من فضائل الصيام والقيام وما يتعلق بهما من أحكام

هو كتاب لمؤلفه «عبدالله بن صالح القصير». يقع في جزء واحد، (٧٨) صفحة. والكتاب مقسّم إلى فصلين مع مقدمة، فيذكر في المقدمة أن الكتاب تذكرة موجزة عن أحكام الصيام والقيام، جمعها من كتب مشايخه، ومن كتب أهل العلم من السلف.

ويتناول في الفصل الأول أحكام الصيام: فيتحدث عن حقيقته وحكمه وفضائله، وخصائص رمضان، وأحكام المسافر، والمريض، والكبير، والمرأة، ومفسدات الصيام، والأمور التي لا يفطر بها الصائم، ثم فضل قيام الليل، وقيام رمضان، وفضل ليلة القدر، وخصص الفصل الثاني عن أحكام زكاة الفطر، وما يتعلق بها من أمور. والكتاب من طبع: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد . المملكة العربية السعودية.■

الإجابة للدكتور عجيل النشمي

www.dr_nashmi.com

استعمال البخاخ أثناء الصيام

● **ما حكم استعمال البخاخ بالنسبة للمريض الذي لا يستغني عنه، وقد قرأنا فتاوى مختلفة في هذا الموضوع؟ وكذلك حكم الغرغرة، هل تفطر؟**

- صحيح أن الفتاوى في هذا الشأن مختلفة، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي لم يبت فيها، والذي أراه أن هذه القضية طبية من اختصاص الأطباء، وحسب وصف الأطباء يكون الحكم.

وأنا أميل إلى ما قاله الدكتور، محمد علي البار، في بحث له حول المفطرات، قدمه لمجمع الفقه الإسلامي، وهو كلام علمي يسهل ترتيب الحكم الشرعي عليه، فما يدخل الجسم عن طريق الجهاز التنفسي، مثل البخاخ للربو، وما يستنشق من الأدوية، وتدخين السجائر، والشيشة والنشوق (السعوط)... وهذه كلها إنما هي سوائل وفيها مواد عالقة، وتدخل إلى الفم أو الأنف وتستنشق، ومنها إلى البلعوم (الفموي أو الأنفي)، ومن البلعوم إلى المريء، فالمعدة، كما يذهب جزء آخر من البلعوم الفموي إلى البلعوم الحنجري، ومنه إلى الرغامى، فالشعب الهوائية، فالرئتين... وهذه المواد تدخل إلى الجوف الذي حددناه بالجهاز الهضمي... ولا شك أن من تعمد إدخال هذه المواد إلى فمه أو أنفه، ومنها إلى بلعومه ومعدته يكون مفسداً لصومه، متى فعل ذلك في نهار الصيام.

وأما الأوكسجين الذي يُعطى لبعض المرضى فهو هواء، وليس فيه مواد عالقة، لا مغذية ولا غيرها، ويذهب أغلبه إلى الجهاز التنفسي، وتنفس الهواء - كما هو معلوم - ضروري لحياة الإنسان، ولم يقل أحد قط أن استنشاق الهواء مفطر للصيام.

وما يدخل الجسم عبر الفم والحلق، ومن ذلك الغرغرة، وبخاخ تعطير الفم، وهذه تشبه المضمضة، فإن بالغ الشخص أو زاد عن الثلاث (عند الشافعية)، ووصل الماء إلى الجوف (الحلق، والبلعوم، والمريء، والمعدة) فإنها بلا شك تسبب الإفطار.■

د. عبدالرحمن علي الحَجّي (*)

الأندلس.. وأحداثه الرمضانية (٣)

المواجهة بين الجيشين

تجمّع الجيش الإسلامي واقفاً أمام الجيش «القُوطي»، الذي واجهه في سهل متّسع، فيه بحيرات وأنهار، حيث حدّد الجيش «القُوطي» مكان المعركة، ولكن لا بدّ أنّ القيادة الإسلامية العسكرية في الأندلس اختارت المكان المناسب.

كان عدد الجيش الإسلامي كلّه، باتفاق المؤرخين، اثني عشر ألف جندي، جُلّهم من المسلمين البربر وقلّة من المسلمين العرب، حيث إنّ المسلمين البربر . وقد تأخّر إسلامهم . أرادوا خدمة الإسلام والجهاد فيه، ليلحقوا ببعض ما قدّم له إخوانهم المسلمون العرب من قبل.

موازنة ومقارنة

وعدّة الجيش «القُوطي» لا تقلّ عن مائة ألف، بل إنّ بعضهم أوصلها إلى مائتي ألف جندي أو يزيد . ومع ذلك، فاختلاف الروايات في عدد الجيش «القوطي»، لا يشكّل قضية، حيث يمكن تأويله بأنّ الجيش المقاتل مائة ألف، والباقي بين معاون واحتياط ويقوم بالواجبات الأخرى. ولدى الموازنة بين الجيشين لا يمكن أن يتصوّر أحدٌ أنّ النصر سيكون للمسلمين، فضلاً عن أن يكون عظيماً وعجيباً وغالباً، إذ تمّ ذلك في ظل:

- التفاوت الكبير بين الجيش الإسلامي و«القوطي» في العدد: اثنا عشر ألفاً مقابل مئة ألف أو يزيدون.
- والعُدّة كذلك، ومنها: أنّ الجيش «القوطي» كان كلّه تقريباً خَيّالة، بينما الجيش الإسلامي كان كلّه تقريباً رَجّالة.
- ولا بدّ أنّ الأسلحة الأخرى ومواد الإعاشة لدى «القُوط» كانت أفضل وأوفر وأكثر.
- جرى القتال في أرض مألوفة لـ«القوط»، يعرفون مداخلها ومخارجها وطبيعتها.
- زد على ذلك: الروح المعنوية لجند «القوط» كانت عالية، إذ ما كانوا يشكّون بالنصر وأخذ المسلمين، وأنّ الغلبة تكون لهم، إلى درجة أنّهم جلبوا معهم العربات، والدواب تحمل الحبال «لتكتيف» وشدّ وقيد أسرى المسلمين الكثيرين، إذ احتاروا فيما يفعلون بهم! وكانوا متأكّدين من هذه النتيجة!! فهم لم يعرفوا الهزيمة، لأنّ «القُوط» الغربيين خاصة أمّة حربية معروفة، وهو أكبر ما تتميّز به في تاريخها كلّه. وهذا شبيه بالفتوحات الإسلامية الأولى، مع الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، اللتين لم تكونا لتزولا أمام أيّ أحد، ناهيك عن العرب، الذين استُعمروا لهؤلاء وهؤلاء، لولا الإسلام الذي به غدوا . وكلّ من آمن به وحمله . بشراً جديداً أو وليداً آخر.

● وهذا يدلّ على أنّ «القوط» لم يكونوا ضعافاً في المعركة . لا سيما وهي فاصلة . كما يحاول بعض الكتبة ليّ أعناق الأحداث ولفّ حقائقها المنظورة، وطيّ منطقها الواضح، لتسير في دروب مظلمة ملتوية مشبوهة. وهذا يدعو إلى إعادة النظر في أحداث التاريخ الإسلامي والأندلسي على وجه الخصوص، وهذا الفتح العظيم الكاسح المعجز بالذات.

عنصر فريد

● لكن الميزان . في الموازنة الجديدة ـ ضمّ شيئاً جديداً، وعنصراً فريداً، نوعية ما عرفوها ولا ألفوها من قبل، جعل هؤلاء «القوط» . وكلّ أحد غيرهم . ضعافاً أمام المسلمين، هو: الإيمان بالله سبحانه، إذ قد جرّبوهم في المعارك المتعدّدة على الجبل والمواجهات لدى أوّل نزولهم عليه. وكان الجيش «القوطي» بقيادة أكبر قائد عسكري، وهو «تُدْمير» Tudmir الذي سمّيت مقاطعة إسبانية باسمه، وهو حاكمها. وكان يُهزم في كلّ المعارك وكان قد كتب إلى «لُذريق» ليعلمه «بأنّ قوماً لا يُدرى أمِنْ أهل الأرض أم من أهل السماء قد وَطِئوا إلى بلادنا وقد لقيتُهم فلتنهض إليّ بنفسك». وهذا . على ما يبدو . سبب مهمّ في هذا الحشد الضخم

بدأنا في العدد الماضي تناول قصة فتح الأندلس، هذا الفتح العظيم الذي حدث في رمضان، وتباشيره كانت في المعركة الأولى، حول نهر «البَرْباط» Barbate، بقيادة «طارق بن زياد». واليوم نستكمل الحديث حول هذه المعركة الفاصلة.

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي والأندلسي

الذي هيّأه القُوط(١).

● فهذه هي صورة المعسكرين: الإسلامي و«القوطي». وإنّه لمجرّد الفرق في أيّ من هذه الأمور ويَقبل المسلمون المنازلة، يجعلهم أقوياءَ أوفياءَ أمناءَ، نوعية فريدة ليسوا بحاجة إلى حرق السفن، دافعاً للحرب والاستماتة.

● إنّه الإيمان الذي يدفعهم دفعاً، يطيرون إلى الجنّة يرغبون فيها، وبنفس الروح يحافظون على السفن أشدّ المحافظة، لأسباب كثيرة غدت واضحة الآن.

خُطْبةُ طارق الشهيرة

● وعلى نفس هذا الفهم، تغدو الخطبة المروية لـ«طارق» في هذه المعركة، كثير منها هَذَر من القول. ولدى الاطلاع عليها من خلال هذه المعاني والاعتبارات؛ يرفضها الدارس قبل أن يتقدّم الدليل إليه.

● فالخطبة لم تتضمّن آية أو حديثاً، ومليئة بالسجع المُصْطَنع المتكلّف المغلوط، في ثمانية مقاطع، يشير إلى الوضع المتأخّر الجاهل بالأندلس وتاريخه. وترى فيها «طارقاً» يَعدهم بالملذات، والبنات الجميلات! فأيّ جهاد هذا يا تُرى؟ كما أنّ الخُطبة قد تشير إلى أخطاء في الخُطة والهدف.

● بجانب أنّ النصّ المتداول لم يورده مؤرّخ أندلسي، بل رواه مؤرخ مشرقي متأخّر، لعله: ابن خلكان (٦٨١هـ) في كتابه «وفيات الأعيان»(٢)، ونُقلت عنه. وإنّ بعض النصوص الأندلسية. في ذات الشأن. تخالف هذا النصّ.

● كما يورد «المَقّري» في نفح الطيب(٣) أبياتاً خاطب وخطب بها «طارق» في جيشه تحمل معاني إسلامية واضحة.

المواجهة: قتال ونزال

● في مثل هذا الوضع، بدأت المواجهة وكان اللقاء المتفاوت، في سهل فسيح متّسع، لليلتين بقيتا من رمضان (٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ= ٧/١٧/ ٧١١م). واستمرّت المعركة ثمانية أيام، أربعة من القتال الشديد العنيد من قِبل الطرفين: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ (النساء).

● وكان المسلمون أثبت وأصبر، وهم بالنصر أجدر. فيقول «ابن عذاري»: (بعد ٧١٢هـ) في كتابه: «البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمغرب»(٥): «فخرج إليهم طارق بجميع أصحابه رَجّالة، ليس فيهم راكب إلاّ القليل، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى ظنّوا أنّه الفناء». ويقول «ابن الشبّاط» (٦٨١هـ): «فاقتتل المسلمون والمشركون ثمانية أيام قتالاً شديداً وصبر الفريقان جميعاً صبراً عظيماً، ثمّ أنزل الله عزّ وجلّ نصره على المسلمين»(٦).

● وهذا يدلّ ويؤكّد أنّ «القُوط» لم يكونوا ضعافاً، كما يحاول تمريره بعض المؤرخين، لإلغاء قوّة المسلمين الإيمانية، وتميّزهم بهذا الدين ونوعيته وروعة انتصاراته. كما يؤكّد كذلك إنصاف المؤرخين المسلمين في الاعتراف بما عند عدوّهم. وهو بدوره يؤكّد أنّ المسلم أفضل مَنْ يكتب حتى تاريخ الأمم الأخرى، يذكر الحقائق كاملة، ويعطي صورة أفضل وسجلاً أشمل للأحداث، ليقدّم فهماً أجود. وهذا ما نجده متوافراً فيما كتبه المسلمون عن الأمم الأخرى، تاريخاً وبلاداً ومجتمعاً، مما جعل تلك الأمم وأهل تلك البلدان يعتنون، ويعتزّون، ويترجمون ما دَوّنه المسلمون عنهم، والشواهد على ذلك كثيرة طافحة.

معركة «وادي البرباط»... كانت فتح الفتوح للسيطرة على الأندلس ولم تكن سهلة فقد كان تعداد جيش المسلمين ١٢ ألف جندي مقابل أكثر من ١٠٠ ألف من القوط

● واستمرت المعركة العيدَ كُلَّه، حيث انتهت يوم الأحد الخامس من شوال ولمدّة ثمانية أيام. والذي يبدو أنّ التشتّت الذي حلّ بالجيش «القوطي» كان في هذا اليوم الذي فيه قُتل ملكهم «لُذريق» ولم يُعثر له على خبر أو أثر أو دليل. وأنّ تتمّتها كانت في اليوم الذي بعده، حيث أنزل الله تعالى نصره على المؤمنين.

● فكانت هذه المعركة (معركة وادي البَرْباط) فتح الفتوح، بالنسبة لفتح شبّه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس = إسبانيا والبرتغال اليوم). وهو نصر عظيم لم يكن سهلاً ولا هيّناً ولا منتظراً، أبداً بحال. خالف كلّ الحسابات، والقوانين، والأعراف العسكرية، لدخول عامل جديد وفريد ومديد في الأمر، هو الإيمان بالله تعالى ونبيّه الكريم ﷺ، وكتاب الله العظيم، الإيمان الكامل بالإسلام والأخذ بالجهاد. ذروة سنام الإسلام. سبيلاً ودليلاً ومجداً أثيلاً.■

الهوامش

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص ٥٢.
(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان ٥/٢٢٣.
(٣) نفح، ١/٢٦٥.
(٤) نفح، ١/٢٥٩.
(٥) انظر: التاريخ الأندلسي ٥٤.
(٦) انظر: التاريخ الإسلامي ٥٤.

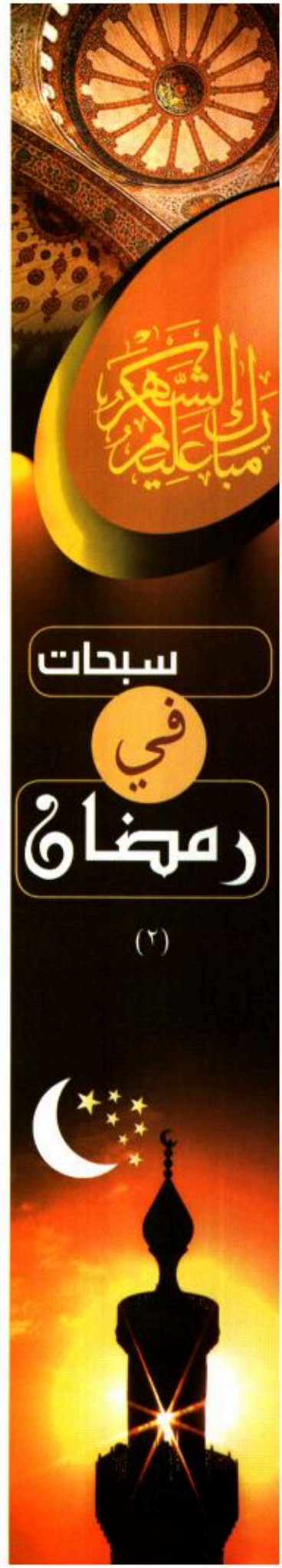

حفّاظ القرآن.. لؤلؤ نادر في البلقان

سراييفو: عبدالباقي خليفة

كثيراً ما يجري الحديث عن حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره، لكن قلّ أن يتحدّث أحد عن محفظي ومعلمي القرآن، وأساتذة علومه، وعلماء لغته وبيانه وإعجازه.. و«المجتمع» تواصل تسليط الضوء على هذه الشريحة المهمّة في «البلقان»، التي تعد القدوة الحسنة، والمثال الجيّد للنشء المسلم، وللمسلمين عموماً داخل المساجد وفي الحياة العامة؛ ولاسيما ونحن في شهر رمضان المبارك «شهر القرآن».

تزخر منطقة البلقان بالعديد من الحفّاظ من مختلف الأعمار، وبأئمّة التعليم القرآني ممّن جمعوا بين الإجادة والإفادة، وفضيلة الحفظ وحسن السلوك التي امتاز بها علماء الإسلام بين سائر رموز الأديان، ومن بين هؤلاء الشيخ «محمد بن إبراهيم تشايلكوفيتش» (٤٤ عاماً).. وكانت بداياته مع القرآن الكريم على يد جدّه، يرحمه الله، الذي كان هو الآخر إماماً وخطيباً ومعلماً للقرآن، وعندما انتقل إلى «سراييفو» كان من أساتذته الحافظ «عصمت سباهيتش»، وهو شيخ الحفّاظ، والحافظ «حمدي بيغيتش»، اللذان قال عنهما: إنه تعلم منهما كثيراً، ودعا الله أن يجزيهما خيراً على ذلك.

لكنه يخص شيخه في الحفظ «إسماعيل فاضليتش»، يرحمه الله، بأفضلية السبق على أساتذته في «معهد الغازي خسرف بك»، فيقول: «عندما كنت أحفظ صفحة من القرآن أتوجّه إلى الحافظ إسماعيل فاضليتش لمراجعة التلاوة ومخارج الحروف والتأكد من سلامة الحفظ».

وطريقة الحفظ في البلقان، كما يؤكد الشيخ «تشايلكوفيتش»، تتمثّل في «حفظ الصفحة الأخيرة من الجزء الأول، ثم الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني، وهكذا حتى الجزء الثلاثين، ثم حفظ الصفحة قبل الأخيرة من كل جزء مع الصفحة الأخيرة، وهكذا حتى إتمام الحفظ».

«عقبات» في طريق الحفظ!

وعن العقبات التي تحول دون تحقيق نتائج أفضل مما هي عليه الآن، وكيفية زيادة عدد الحفّاظ يقول: «نحن البوشناق شعب صغير، فاليوم يوجد مليون ونصف المليون بوشناقي داخل البوسنة، لا يزالون يتذكرون آخر إبادة بحقهم، عشرات الآلاف قُتلوا وعشرات الآلاف هُجِّروا، وعشرات الآلاف طُردوا من أراضيهم وديارهم ونُهبت أموالهم، وعشرات الآلاف لا يزالون خارج البوسنة.

وهناك عقبات تحول دون ظهور حفّاظ بشكل أكبر من الوتيرة الحالية، منها: أن كثيراً من الأسَر نشأت بعيدة عن الإسلام من حيث العلم والالتزام، وبالتالي لم يمثّلوا القدوة الحسنة لأبنائهم. بالإضافة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية التي كانت تُكتَب بها اللغة البوسنية في العهد العثماني؛ وكانت تسهّل على الطلبة عملية القراءة، فضلاً عن الحفظ والتلاوة».

الشيخ محمد تشايلكوفيتش: الأسرة هي المكان الأول الذي يتشرّب فيه الطفل حب القرآن والتطلع لحفظه والرغبة في حمل لوائه

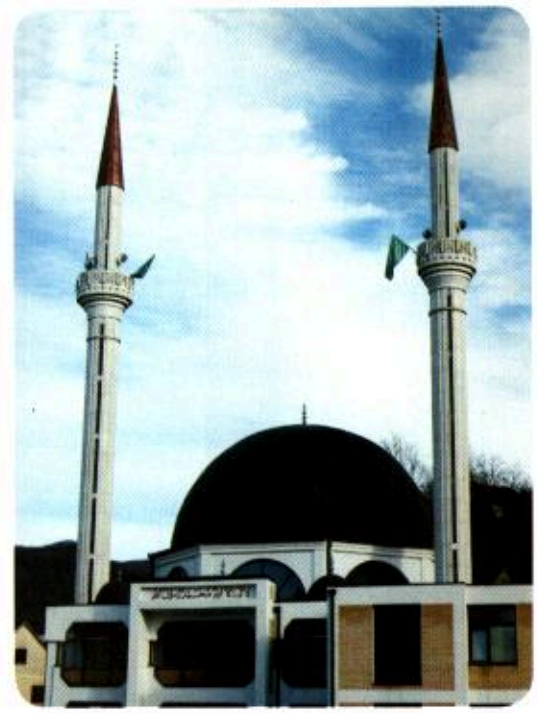

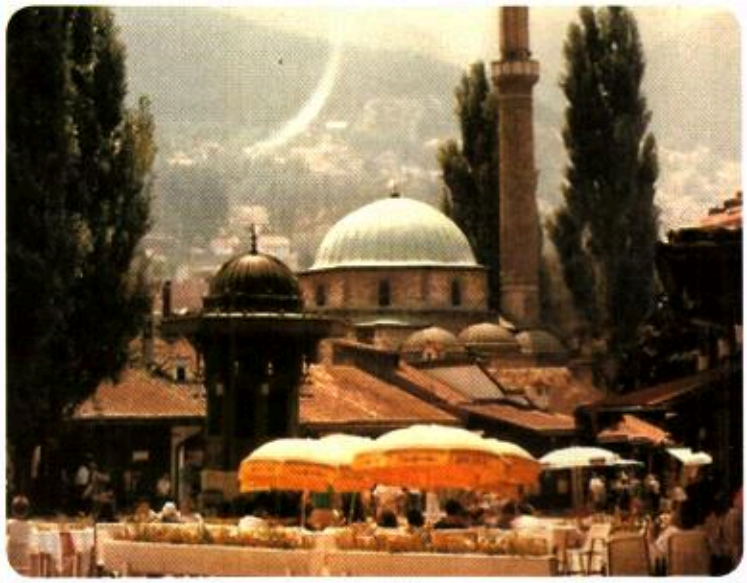

٢٠١ حافظ للقرآن الكريم في البوسنة.. من بينهم عدد من الفتيات الحافظات يُجدن التلاوة بقراءات عدة

من أبرز عقبات الحفظ وضع الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية في اللغة البوسنية.. والتي كانت تسهّل القراءة والتلاوة والحفظ

وعمّا إذا كان راضياً عن النتائج التي تحقّقت حتى الآن، يوضّح قائلاً: «الحمد لله، أنا شخصياً راض عن النتائج في هذا المضمار، ففي البوسنةُ توجد ٦ مدارس ثانوية إسلامية، وفي كل فصل هناك برنامج لحفظ القرآن يُشرف عليه أساتذة في القراءات، وكل طالب يُنهي حفظ القرآن يتم إعفاؤه من الرسوم الدراسية، وهذا عامل مهم لتشجيع الطلبة على حفظ القرآن الكريم.

وهناك رعاية خاصة من أغلبية الأساتذة للطلبة الذين لديهم قابلية جيدة لحفظ القرآن، وفي كلية الدراسات الإسلامية بـ«سراييفو» هناك اهتمام كبير بحفظ القرآن، ويوجد اليوم من الأئمة من يكرّس حياته ووقته ليعلّم الأطفال والطلبة القرآن في بيته بدون مقابل منذ عشر سنوات، ومِنْ بينهم مَنْ أصبح حافظاً».

ويشير الحافظ «محمد تشايلكوفيتش» إلى وجود ٢٠١ حافظ في البوسنة وحدها، وذلك وفق إحصاء اللجنة المختصة التابعة للمشيخة الإسلامية في البوسنة، بينما لا تزال النتائج أقل في «مقدونيا» و«ألبانيا»، وبالكاد احتفل المسلمون في «كرواتيا» العام الماضي، و«الجبل الأسود» (مونتينيجرو) هذا العام بظهور أول حافظ.

والرقم المذكور في البوسنة يشمل فقط مَنْ أجازتهم اللجنة البوسنية، التي تضم كبار الحفاظ، وتستمع يومياً لجزأين من قراءة المرشّح للقب حافظ، فتجيزه أو تؤجل ذلك حتى يكون مؤهّلاً لحمل اللقب العظيم. ويقول الشيخ «تشايلكوفيتش»: «إن مِنْ بين الحفاظ الـ(٢٠١) عدداً من الفتيات الحافظات لكتاب الله؛ يُجِدْنَ التلاوة بعدة قراءات، وبعضهن أتممن تعليمهن الجامعي بالمدينة المنوّرة».

تحدّيات وإنجازات

وبخصوص حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد، وما إذ كانت لديه أي ملاحظات عليها من حيث التزام الطالب بالحضور، ومواصلة تعهّد المعلّم برعايته، يقول الشيخ «محمد تشايلكوفيتش»: «إن المقبل على حفظ القرآن أو المرشّح ليكون حافظاً لكتاب الله يمكن أن يتعهّد ويواصل الحفظ في البيت أو المدرسة الثانوية الإسلامية، والمحفّظون مهمتهم تشجيع المرشّح على مواصلة الحفظ حتى يفتح الله عليه بحفظ القرآن كاملاً، ويُعرَض على اللجنة لتستمتع إليه، ثم يُتوَّج بعدها حافظاً لكتاب الله».

وعن السبل الكفيلة بالارتقاء بجهود خدمة كتاب الله حفظاً وتلاوةً والتزاماً، يشدّد قائلاً: «إن الأسرة هي المكان الأول الذي يتشرّب فيه الطفل حب القرآن الكريم، والتطلع إلى حفظه، والرغبة في حمل لوائه.. والأسرة هي التي تشجع الطفل على ارتياد المسجد، واختيار المعلّم الصالح، وكثير من الأسر ترسل أبناءها إلى المسجد يومَيْ السبت والأحد ليتعلموا قراءة القرآن ومبادئ الإسلام، ومنهم مَنْ يواصل ويصبح حافظاً لكتاب الله تعالى».

وحول تقييمه لدرجة الإقبال على حفظ القرآن الكريم في المنطقة يقول الشيخ «محمد تشايلكوفيتش»: «عاش المسلمون البوشناق في الفترة من ١٩٤٥م وحتى ١٩٩٠م في ظل الحكم الشيوعي، وكانت تلك فترة صعبة على الملتزمين بالإسلام، وهي مدة طويلة بلغت ٤٥ سنة، وكاد الحفاظ أن ينقرضوا فيها».

ويتابع: «المسلمون البوشناق يعتزّون بالقرآن، ويثمّنون الحفّاظ ويحترمونهم جداً، وهم كذلك في نظر المشيخة الإسلامية؛ الأمين الرسمي على الدعوة الإسلامية والحفاظ على الهوية في المنطقة، وباستعراض النتائج التي تحققت خلال الفترة بين عامَيْ ١٩٨٦م و٢٠٠٦م، نجد أنه قد برز فيها ١٣٩ حافظاً لكتاب الله تعالى».

ويذكر الشيخ كتاباً لأحد أبرز أساتذة القراءات، وهو الحافظ الدكتور «فاضل فاضليتش»، تحت عنوان «الحفّاظ في البوسنة خلال ١٥٠ عاماً»، يؤكد فيه أن البوسنة أنجبت ٩٦١ حافظاً خلال ١٥٠ عاماً، بينهم ٩٠٦ حفاظ من الذكور (بنسبة ٩٤٪ تقريباً)، و٥٥ حافظة من النساء (بنسبة ٦٪ تقريباً)، وهو رقم يؤكّد المختصون أنه

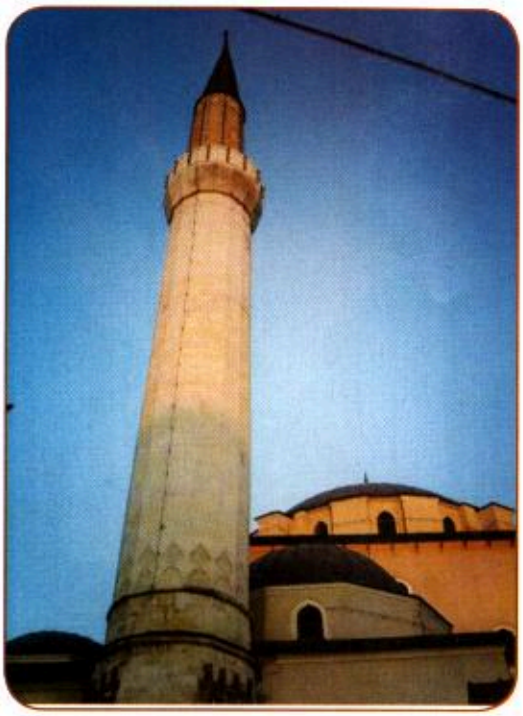

ليس نهائياً. فقد كان هناك حفّاظ غير مسجلين لدى «المشيخة»، ولا يعملون في المساجد.. ومن بين الحفّاظ مفتون وقضاة وأساتذة وأئمة وخطباء ومعلمون وأطباء ومحامون وكُتّاب وفلاحون. وعن المدة التي يستغرقها إعداد حافظ لكتاب الله، يضيف: «الأمر يختلف من حالة إلى أخرى، ولو رجعنا للدكتور فاضل فاضليتش في دراسته، فإنه يشير إلى أن عملية الحفظ تستغرق بين ٧ و١٥ سنة، لكن هناك حفاظاً أتموا حفظ القرآن الكريم في مدة سنتين وثلاث سنوات فقط».

يوم في رمضان

وحول تجربته الشخصية في رمضان، كإمام وحافظ لكتاب الله، يقول: «في شهر رمضان، أكرّس وقتي كله للقرآن: فأراجع آياته، وأتدبّر معانيه، وأتعبّد بتلاوته».. وعن تفاصيل يوم رمضاني في حياته يقول: «أبدأ يومي بتناول وجبة السحور مع أسرتي، ثم أذهب إلى مسجد الغازي خسرف بك للمشاركة في حلقة التلاوة مع تسعة حفاظ آخرين، ويحضر الحلقة أناس آخرون يتابعون تلاوة القراء، بالاستماع أو مع مطالعة المصحف الشريف، لتصحيح النطق لديهم، أو مراجعة ما يحفظونه، وبعدها نصلي الفجر، ثم أعود للبيت وأواصل قراءة القرآن لمدة ساعة، ثم أستريح قليلاً، وقبل الظهر بساعة أتوجه إلى مسجد آخر لقراءة القرآن، وبعد الظهر أتوجّه إلى مسجد ثالث للمشاركة مع حفّاظ آخرين في حلقة لقراءة القرآن، وتستمر الحلقة ساعة من الزمن».

ويضيف: «أتوجه بعد الإفطار إلى المسجد لأداء صلاة المغرب، وبعد ساعتين من الإفطار نؤدّي صلاة التراويح في جماعة، ونصلّيها عشرين ركعة نقرأ فيها جزءاً من القرآن الكريم».

العيد.. والفرحة الكبرى

وعن تقاليد العيد في أسرته، يقول الشيخ «محمد تشايلكوفيتش»: «العيد هو يوم الفرح الأصغر، كما قال الرسول ﷺ: «للصائم فرحتان»، فنحن نفرح بأن الله أبلغنا رمضان وأعاننا على صيام أيامه، وقيام لياليه، والفرحة الكبرى يوم لقائه سبحانه وتعالى، يوم الجائزة الكبرى، نسأل الله أن نكون من أهلها، ومن الداخلين للجنة من باب الريّان، الباب الذي لا يدخل منه إلا الصائمون.. وفي الفجر نتوجّه إلى المسجد لصلاة العيد ثم نعود إلى البيت؛ فنأكل بعض الحلوى مع الإفطار، ثم نزور الأقارب والجيران والأصدقاء، أو ننتظرهم في البيت؛ فنذهب للبعض، ويأتينا بعضهم الآخر، ثم نزور قبور موتانا، وندعو لهم بالرحمة في اليوم نفسه أو اليوم التالي.

وعن رسالته للمسلمين عامة، وفي رمضان خاصة، وما يقوله لهم بخصوص البوسنة وغرب البلقان، يقول: «رسالتي للمسلمين أينما كانوا، ومن أي جنس انحدروا، أن يعودوا إلى دين الله، وأن يلتزموا ويحترموا تعاليم الإسلام في سلوكهم وسلوك مَنْ هم مسؤولون عنهم».■

الشيخ «محمد تشايلكوفيتش».. في سطور

- من مواليد عام ١٩٦٤م في وسط البوسنة، حيث أنهى تعليمه الابتدائي، وكان يستغرق ثماني سنوات، ثم التحق بـ«معهد الغازي خسرف بك» الثانوي الإسلامي في «سراييفو».
- في عام ١٩٨٦م، بدأ عمله إماماً وخطيباً ومعلّماً في مساجد البوسنة.
- عمل في الجيش البوسني أثناء الحرب التي تعرّض لها مسلمو البوسنة (١٩٩٢ - ١٩٩٤م)، وشارك مع شعبه في الدفاع عن الهوية البوسنية الإسلامية.
- نال الإجازة من كلية الدراسات الإسلامية في «سراييفو» عام ١٩٩٤م، ثم حصل على درجة الماجستير في «الفقه» عام ١٩٩٦م، ويُعِدُّ حالياً رسالة دكتوراه في «الفقه المقارن».
- يعمل الآن إماماً بمسجد «باش تشارشيا» العتيق، وخطيباً ومدرّساً في جامع «حاجيتش»، بإحدى ضواحي «سراييفو».■

مفكرة رمضان

إعداد: أسامة عبد السلام

اليوم الثالث عشر

● الخميس، عام ٤١٤هـ الموافق ٤ ديسمبر ١٠٢٣م: بُويعَ «عبدُالرحمن بنُ هشام» بالخلافة في «قُرطُبة» بالأندلس، وهو أمويٌّ لُقِّبَ بـ«المستظهر بالله»، وكانت خلافتُه لمدة شهر واحد وسبعة عشر يوماً.

● الإثنين، عام ٨٨٦ هـ الموافق ١٤نوفمبر ١٤٨١م: تعرَّضَ «المسجدُ النبويُّ الشريف» في «المدينة المنوَّرة» لصاعقة أحرقت المبنى، وسَلِمَت القُبَّةُ والقبر.

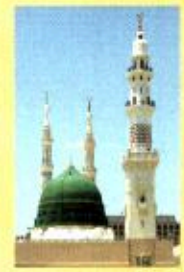

اليوم الرابع عشر

● الإثنين، عام ٧٤٨هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٣٤٧م: تولّى السلطانُ «حسنُ بنُ الناصر محمد قلاوون» حُكْمَ مصرَ صغيراً، وهو صاحبُ الأثر الإسلاميِّ المعروف باسم «مدرسة ومسجد السلطان حسن».

● الخميس، عام ٦٣٠هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٢٣٣م: تُوفِّيَ «مُظفَّرُ الدين كُوكُبُوري»، وهو أحدُ كبار القادة الذين شاركوا «صلاحَ الدين الأيوبيَّ» في جهاده ضدَّ الصليبيين. و«كُوكُبُوري» كلمةٌ تركيةٌ معناها «الذئبُ الأزرق»، وقد اشتُهِرَ بهذا اللقب تقديراً لشجاعته وإقدامه.

اليوم الخامس عشر

● الثلاثاء، عام ١٢٢٤هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٨٠٩م: انتصرت الدولةُ العثمانيةُ على روسيا في معركة «تاتاريجه»، وقُتِلَ فيها من الروس عشرةُ آلاف جندي.

● الجمعة، عام ١٤١٤هـ الموافق ٢٥ فبراير ١٩٩٤م: ارتكبَ الصهاينةُ مجزرةَ الحرم الإبراهيميِّ في مدينة «الخليل» الفلسطينية؛ بإطلاق النار على المصلِّين، وهم سجودٌ، أثناءَ أدائهم صلاةَ الفجر. ونفَّذها الإرهابيُّ «باروخ جولدشتاين»؛ بمشاركة الجيش الصهيوني وعددٍ من المستوطنين، وخلَّفت ثلاثين شهيداً، وعشراتِ الجرحى.

اليوم السادس عشر

● الثلاثاء، عام ٧٢٧هـ الموافق ١٢ أغسطس ١٣٢٧م: تُوفِّيَ العلاَّمةُ (ابنُ الزَّمْلكاني) «كمالُ الدين محمدُ بنُ عليٍّ الأنصاري»؛ كبيرُ الشافعية في عصره، وقد تولَّى منصبَ قاضي القضاة في «حلب».

● الخميس، عام ١٢١٣هـ الموافق ٢١ فبراير ١٧٩٩م: طاردَ «نابليون بونابرت»، قائدُ الحملة الفرنسية على مصر، المماليكَ حتى «العريش»، ثم اندحرتْ قوّاتُه أمام أسوار مدينة «عكّا» المنيعة.

اليوم السابع عشر

● الإثنين، عام ٥٨ هـ الموافق ١٥ يوليو ٦٧٨م: تُوفِّيت أمُّ المؤمنين عائشةُ (رضي الله عنها) زوجُ رسول الله ﷺ، وابنةُ أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، ودُفِنَتْ في «البقيع»، وكان عمرُها آنذاك سبعة وستين عاماً.

● الأحد، عام ٢٢٣هـ الموافق ١٥ أغسطس ٨٣٨ م: انتصرَ المسلمون على الروم في معركة «عَمُّورِيَّة»، بقيادة الخليفة العبّاسيِّ «المعتصمِ بالله»، الذي حرَّك جيشاً كبيراً؛ بعدَ استغاثة امرأة مسلمة أسيرة به بمقولتها الشهيرة: «وا معتصماه»، فهبَّ لنجدتها، ولتأديب الروم.

اليوم الثامن عشر

● الثلاثاء، عام ٥٣٩هـ الموافق ٢٠ مارس ١١٤٥م: اشتدَّ الصراعُ بين المرابطين بقيادة «تاشفينَ بن عليِّ بن يوسف بن تاشفين»، والموحِّدين بقيادة «عبدالمؤمن بن عليٍّ الكوميِّ»، وحدثَ قتالٌ ومطاردة بين الجيشين، وقُتِلَ «تاشفين» بعد أن هوى من فوق صخرة، وبذلك انتهتْ دولةُ «المرابطين» في المغرب العربيِّ، وقامتْ دولةُ «الموحِّدين».

● الجمعة، عام ١٣٦٥هـ الموافق ١٦أغسطس ١٩٤٦م: اندلعتْ أعمالُ عنفٍ بين «الهندوس» والمسلمين في مدينة «كالكوتا» الهندية، وامتدَّتْ إلى عددٍ من المدن الأخرى، واستمرَّت الاشتباكاتُ ثلاثةَ أيام، أسفرتْ عن سقوط سبعة آلاف قتيلٍ من الجانبين.

اليوم التاسع عشر

● الثلاثاء، عام ١٠١هـ الموافق ٦ أبريل ٧٢٠م: تُوفِّيَ «أيوبُ بنُ شُرَحْبيل»، أميرُ مصرَ ووالِيها في عهد أمير المؤمنين «عمرَ بن عبدالعزيز»، وقد اهتمَّ بإصلاح أمور مصر كافَّة.

● الخميس، عام ١١٢١هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ١٨٠٦م: وقعتْ معركةٌ بحريةٌ بين أسطول العرب العُمانيين والأسطول البرتغاليِّ، تراجعَ فيها الأسطولُ العربيُّ إلى «رأس الخيمة».■

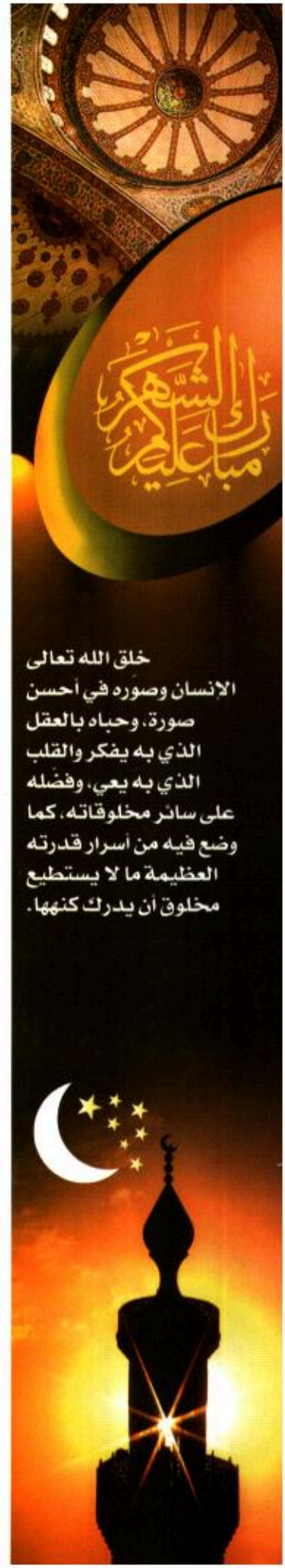

رمضان شرع لهذا..

صيام النهار

إيمان مغازي الشرقاوي

فوهبه الله الروح التي لم يُطلع عليها أحداً من خلقه، ولا أنبياءه ورسله، بل طلب من خاتم الأنبياء ﷺ أن يجيب سائليه عنها بقوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (٨٥) ﴾ (الإسراء).

ليفحم كل خصم تسوّل له نفسه أنه قد بلغ من العلم مداه حين وضع يده على بعض ما سخّر الله له في هذا الكون، فإنه مهما وصل فعلمه قليل، وأن كل من لم يدرك سرّ تلك الروح المعجزة، الكائنة في جسدٍ كل دابة، وكل من لم يصل إلى سرّ الحياة التي تدب بين أوصالها ويمسك بمفتاحها فعلمه ناقص لا محالة وقليل لا ريب.

ولقد نبّهنا الله تعالى إلى هذه الحقيقة التي تغيب أحياناً عن البعض، فيظن أنه قد ملك مفاتيح الكون لمجرد ذرة من علم حصل عليها أمام ملكوت الله الواسع، فقال عز وجل: ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ﴾ (الحج)، وقال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة» (البخاري). «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة» (أحمد).

ومع تلك الخلقة السوية ركّب الخالق سبحانه وتعالى في الإنسان ذلك المخلوق المكرّم شهوة الطعام والشراب والنكاح، ليصير روحاً وجسداً، فلا يكتب له البقاء في الدنيا إلا بهما معاً؛ إذ لا يتحرك بين الناس بروحه فقط، ولا يحيا بينهم بجسد من غير روح، هكذا أراد الخالق العظيم أن نرى آيات الله في خلقه بين أيدينا ليل نهار يعيها من شرح الله صدره للإيمان، ويغفل عنها من قست قلوبهم، قال تعالى: ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢) ﴾ (الزمر).

خلق الله تعالى الانسان وصوره في أحسن صورة، وحباه بالعقل الذي به يفكر والقلب الذي به يعي، وفضّله على سائر مخلوقاته، كما وضع فيه من أسرار قدرته العظيمة ما لا يستطيع مخلوق أن يدرك كنهها.

يصلح الجسد والروح

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل من الروح والجسد متطلبات، فللبدن غذاء وللروح أيضاً غذاء، وحين يمرض الجسد، فقد خلق الله له دواء، كما جعل للروح كذلك عند مرضها دواء. لكن سلامة الروح أهم وآكد من سلامة البدن، فحين يموت الجسد فإن الروح تفارقه إلى عالم آخر، وتبقى مخلدة إما في نعيم، وإما في جحيم - والعياذ بالله - إلى أن تقوم الساعة، لذا فقد شرع الله تعالى لها ما يسمو بها ويرفعها إلى أعلى عليين ليضمن لها الفوز والفلاح، ومن ذلك فريضة الصيام.

حين يهَب الله تعالى للإنسان كل يوم حياته من جديد، فيحييه من بعد الموتة الصغرى التي تزوره كل ليلة، ويردّ عليه روحه بعد أن أماته بالنوم، فيقوم ولسانه يلهج بالثناء على الله الذي أحياه، قائلاً من أعماق قلبه: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»، «الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وردّ إليّ روحي، وأذن لي بذكره». ثم إنه عادة ما يسرع بتناول طعام الإفطار ليسد جوعه ويقوّي جسمه، لكن الروح أيضاً تناشده الغذاء! ولو أبصر لوجد فيما شرع الله لنا من صلاة يبدؤها بصلاة الصبح، وصيام أقله شهر رمضان، وذكر لا ينقطع ليل نهار، ودعاء بطلب العون، ووصال وقرب للراحة والاطمئنان والأنس، ومن هنا كانت فريضة الصيام عاملاً من عوامل الصلة بالله المنعم، حيث تسمو الروح به على شهوات الجسد وتستعلي عليها فتصارعه ويصارعها من أجل راحته! وتغلبه وتتغلب عليه بعد مجاهدة كبيرة.. قد تطول وقد تقصر، حسب حال المجاهد ذاك.

وتكون نتيجة هذه الجولة من المجاهدة أن يضحي الجسد بشهوة

بقدوم الشهر المبارك حل الأمن وعمت الرحمة وتنزلت السكينة وحلت البركات

طعامه وشرابه ونكاحه، وينبذ لغو كلامه وسيئ أخلاقه، ويعيش في مدرسة الصيام الرمضانية شهراً كاملاً من كل عام، تلبية لنداء ربه وخالقه، من أجل شفاء روحه إن كان بها مرض، وتقديم جرعة لها من الدواء طويلة المدى وسارية المفعول لعدة أشهر من بعده، للسموّ بتلك الروح إلى منازل المقربين، فلئن جاع جسده فمن أجل شبعها، ولئن عطش فمن أجل ريّها وروائها، ولئن تعب في صومه ونصب فمن أجل البقاء عليها صحيحة عفية، مؤمنة تقية، وهذا حسن، لكن ما ظننا إن كان الصوم من أجلهما معاً ـ الروح والجسد ـ فأنعم به إذاً من عمل هو من أجل بدَن أسلم وأصحّ، وروح أتقى وأصلح.

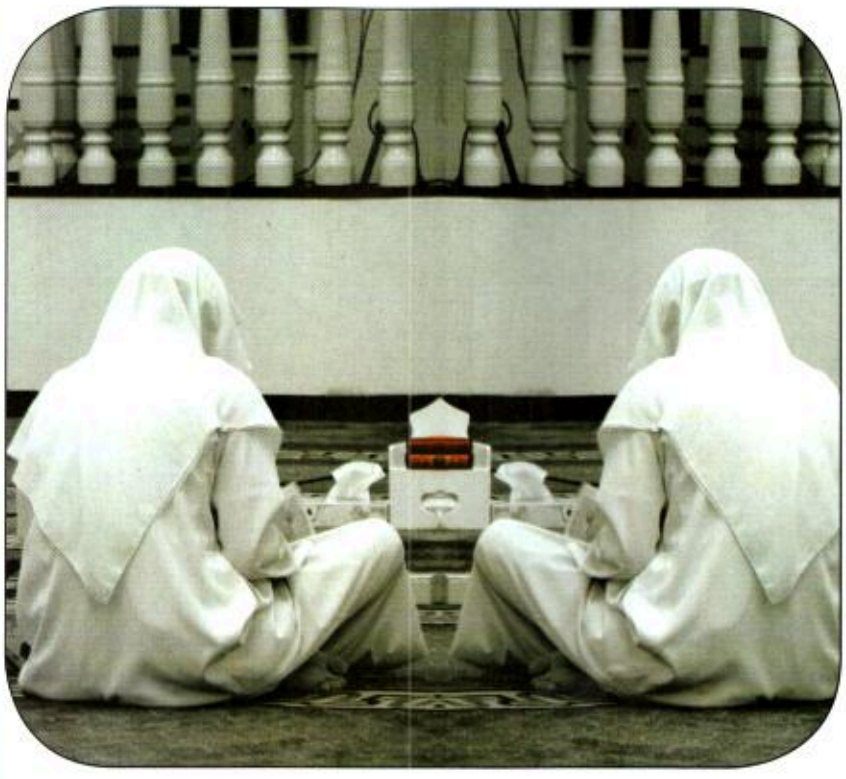

الصيام من زمن نوح

والصيام في شرعتنا ليس بدعاً من العمل، وليس جديداً من العبادة، بل عرفه مَن قبلنا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ (البقرة).

والصيام لغةً: الإمساك، **وشرعاً:** الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع، بنية خالصة لله عز وجل، من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، والصيام: الكفّ عما أمر الله بالكف عنه.

وقد أوجبه الله تعالى على من قبلنا، وأوجبه علينا لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصيام كان أولاً كما كان عليه الأمم قبلنا؛ من كل شهر ثلاثة أيام، ولم يزل هذا مشروعاً من زمان نوح عليه السلام إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان.

الصوم جُنة من عذاب الله

قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي» (أخرجه مسلم).

فالصوم سر بين العبد وربه، يفعله خالصاً لله، طالباً لرضاه، إذ لا يطلع على نيته إلا هو سبحانه وتعالى، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «فإنه لي» أما سائر العبادات فمما يطلع العباد عليه.

كما أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال للبدن، أما الصوم فيتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات، وإلى ذلك أشار بقوله: «يدع شهوته من أجلي»، ولذلك قال ﷺ: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» (النسائي).

والصوم جُنة من عذاب الله تعالى كما قال ﷺ: «الصوم جُنَّة من عذاب الله» (البيهقي). أي وقاية، فهو في الدنيا يقي من الوقوع في المعاصي بكسر الشهوة وحفظ الجوارح، وفي الآخرة يقي من النار. قال ابن العربي: إنما كان الصوم جنَّة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات. فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة.

الصيام الحقيقي يثمر تقوى الله ويمنع من الإثم ويقي من الوقوع في الفواحش

الكون كله يصوم!

وكأني بالكون كله وهو يصوم معنا صوم طاعة وامتثال لخالقه العظيم، إذ يقوم بواجب عبوديته فلا يميل ولا يستنكف، ولا يحيد ولا يشذ، أرأيت هلالاً أبَى أن يظهر، أو شمساً رفضت أن تشرق، أوجدتْ بذرة أُمرتْ أن تنشق وما انشقت، أو غيثاً من السماء أن ينزل فما نزل، بل الكون كله خاضع لله يقول له كن فيكون، وما يحيد عن أمره طرفة عين، يسبح بحمده ويوحده.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾ (الحج).

ولقد مهّد الله تعالى لك أيها الإنسان في شهر رمضان من أسباب الهداية لتطلبها، واختصر عليك طرق الخيرات لتسلكها، فبقدوم الشهر المبارك حلّ الأمن وعمّت الرحمات، وتنزلت السكينة وحلت البركات، وما ذاك إلا تفضلاً من الله وكرماً، إذ فتحت أبواب الجنة، وشدّت الشياطين

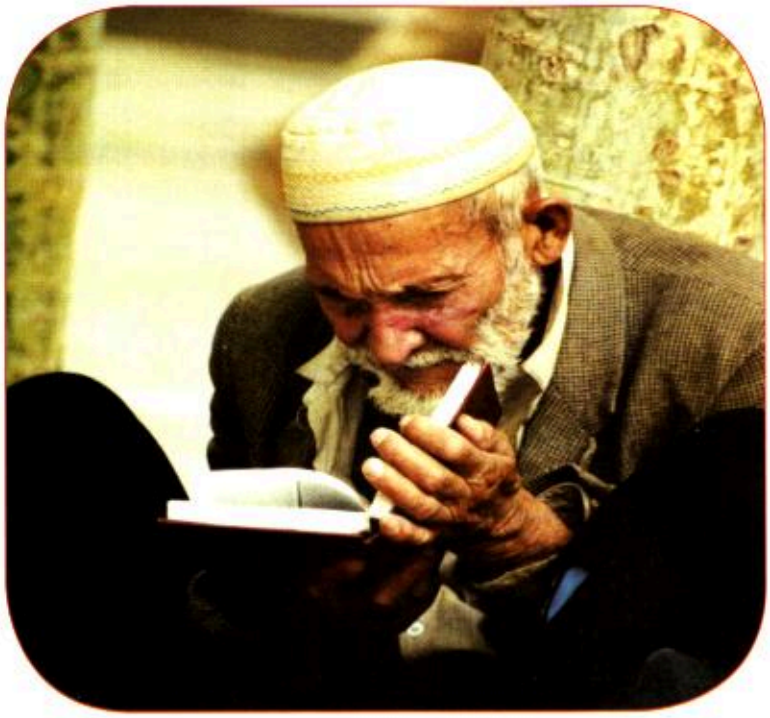

المضلة بالسلاسل، ومنعت من الوصول إلى بغيتها من إفساد المسلمين بالقدر الذي كانت تفعله في غير رمضان.

قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين» (مسلم). فهل تغتنم الوقت ولا تضيع الفرصة لتطيع ربك ولا تكون ممن أبَى؟! قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» (البخاري).

إن كنت كذلك فأبشر

لقد بين لنا النبي ﷺ فضائل الصوم وكيف أنه وقاية وستر من عذاب الله فقال: «الصيام جنة وحصن حصين من النار» (أحمد). لكنه وضّح لنا أنه ليس أي صيام، بل هو الصيام الحقيقي الذي يثمر تقوى الله ويمنع من الإثم ويقي من الوقوع في الفواحش والخوض في المنكرات فقال: «الصيام جنة ما لم يخرقها بكذب أو غيبة» (الطبراني).

فهل تذكرت ذلك كل صباح أيها الصائم فصام لسانك واعتبر وتذكر؟ قال ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفّر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» (الترمذي). وقال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم» (متفق عليه).

والمراد بـ«الرفث»: الكلام الفاحش، وهو يطلق على هذا، وعلى الجماع ومقدماته، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منهما.

«ولا يجهل»: أي لا يفعل شيئاً من أفعال أهل الجهل، كالصياح والسفه ونحو ذلك، فلا يرفث ولا يجادل. قال القرطبي: لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم.

وهل صامت بطنك أيها الصائم عن أكل الحرام كما صامت عن تناول الطعام؟ وهل تصوم عيناك عن النظر إلى العورات والاطلاع على الحرمات؟ هل تصوم يداك عن أذى الناس والبطش بهم وسلب ممتلكاتهم والتطاول عليهم؟ وهل تصوم رجلاك عن السعي إلى الحرام والمشي إلى أماكن المنكرات؟ هل يصوم قلبك عن الحقد والحسد والغل والبغضاء والضغينة على عباد الله؟

وبالجملة هل تصوم الصيام الحقيقي الذي يريده الله منك؟ إن كنت كذلك فأبشر أيها الصائم.

ومن صام صياماً حقيقياً فإنه يؤهله بفضل الله لتخطي الاختبار بنجاح، وعندها فليبشر بثواب الله العظيم والفرح بفضله ورحمته، قال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: إن الصوم لي، وأنا أجزي به، إن للصائم فرحتين: إذا أفطر فرح، وإذا لقي الله تعالى فجزاه فرح. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (مسلم).

وليهنأ بالريّ الدائم، قال ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلن يدخل منه أحد» (مسلم). «ومن دخله لم يظمأ أبداً» (الترمذي).

ولينعم بالإقامة الدائمة في جنات الخلود.. قال ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» (أحمد). ■

من صام صياماً حقيقياً فإنه يؤهله بفضل الله لتخطي الاختبار بنجاح

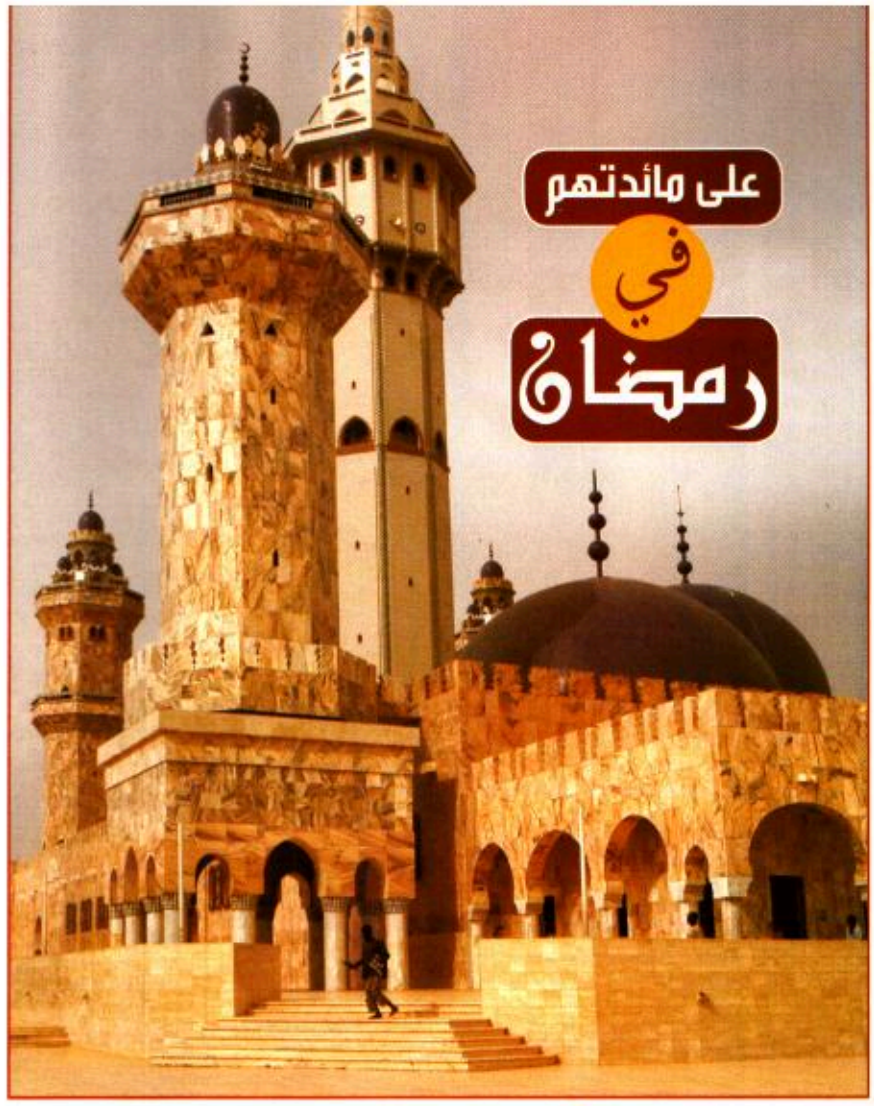

السنغال واليمن

عندما ننظر إلى خارطة العالم الإسلامي المترامية الأطراف شرقاً وغرباً؛ لنبحث عن أرض تحط بها سفينتنا، سنجد الكثير من الإخوان يرحبون بنا على موائدهم الرمضانية، لنشاركهم حياتهم المختلفة في هذا الشهر الفضيل، حينها سنقترب أكثر وسيكون لنا هذا اللقاء في:

تيسير الزايد (*)

السنغال

دولة السنغال من دول العالم الإسلامي، حيث يشكل المسلمون فيها ما نسبته ٩٦٪ من السكان البالغ تعدادهم ستة عشر مليون نسمة تقريباً.

ما يميز السنغال عن غيره من البلدان هو الخلاف المستمر الذي ينشأ عن إثبات رؤية هلال رمضان من عدمه.

فبالرغم من وجود مجهودات فردية وجماعية، أدت إلى إنشاء لجنة مراقبة الهلال، فإن الخلاف بشأن هلال رمضان مازال لم يحسم بعد نهائياً، فيبدأ شهر رمضان في خلاف وينتهي في خلاف، وربما يعود السبب في ذلك لكثرة الطرق الصوفية في هذا البلد، واعتماد متبعي تلك الطرق على أقوال أئمتها في إثبات هلال رمضان.

يعقد العلماء اجتماعاً عاماً لوضع برامج المحاضرات والدروس خلال الشهر الفضيل، والتي ستبث عبر الإذاعة، ويكون هذا الاجتماع عادة في الأسبوع الأخير من شهر شعبان.

«كانكاليبا» و«بيساب»

وإذا دعيت إلى مائدة رمضانية في السنغال؛ فستجد بالتأكيد الكثير من أنواع الأطعمة، والأشربة الساخنة، والباردة، والأرز بالسمك،الذي هو الأكلة الوطنية الرئيسة في السنغال، وكذلك أنواع أخرى

(*) كاتبة كويتية

من الأطعمة الخفيفة مثل: «لاخ» و«فوندي»، و«انكالاخ»، كما يكثر تناول مشروبات مكوّنة من عصير الخضر، والنبات المعروف في البلد، والتي ثبت طبياً أنها تداوي بعض الأمراض، وتقلل من حدة السكر والملح في الجسم، مثل «كانكاليبا»، و«بيساب» وغيرهما.

كثرة التردد على المساجد، وأداء الصلوات، وصلاة التراويح، مظهر واضح جداً في رمضان، وتقام في المساجد كل يوم حلقات لتفسير القرآن الكريم، من صلاة الظهر إلى ما بعد صلاة العصر، وتلاقي تلك الحلقات إقبالاً كبيراً من طرف الشباب، وطلبة العلم، والتلاميذ، لأن العلماء والأئمة يتفرغون خلال هذا الشهر لتفسير المصحف الشريف وشرحه باللغات الوطنية المتداولة في البلد، كـ«الأولوفية» و«الفلانية» وغيرها من اللغات الوطنية الثمانية.

ويستمر السنغاليون على هذا النحو مع تنظيم محاضرات دينية في كل أحياء المدن طوال الشهر الكريم حتى الأسبوع الأخير منه، ثم تتحول الاهتمامات نحو الاحتفال بعيد الفطر وهي الشغل الشاغل للفقراء الذين يواجهون مشكلة شراء ملابس للأطفال والنسوة.

ففي يوم العيد: يقومون بتنظيف وتوسيع المصليات، وباحات المساجد، كما يكثرون الصدقات في هذا اليوم، ويحرصون على إخراج زكاة الفطر.

اليمن

حضارة اليمن متوغلة في التاريخ، فكلما عدنا بالتاريخ للخلف، سنجد هذا البلد يحتل جزءاً من تاريخ هذا الزمان، ولهذا كان للتراث أثر واضح في استقبال أهل اليمن لشهر رمضان، فـ«الحبوة» رفيقة أهل اليمن عند ذهابهم للمسجد، وهي عبارة عن حزام عريض يقوم الشخص بوضعه على محيط جسده، بحيث يضم إليه قدميه ليساعده على الجلوس لساعات طويلة، دون أن يشعر بالتعب، وهذا لأهالي جنوب اليمن، أما أهل الشمال فيستخدمون الـ«متكي»، وهي وسائد يضعونها خلف ظهورهم.

الشعبانية

ويبدأ أهل اليمن في الاستعداد لرمضان قبل قدومه بأيام، ففي الريف مثلاً يصبغ الناس منازلهم بـ«الجص» و«النورة»، وهما مادتان تُستخرجان من مناطق معينة في الجبال، وفي بعض المناطق اليمنية يُستقبل رمضان بـ«الشعبانية»، وهي عادة يقوم بها الرجال عن طريق التهليل، والتكبير، وإنشاد بعض الأناشيد الدينية المعروفة منذ القدم، عبر مكبرات الصوت في المساجد، ويبقى الكثير من الرجال في

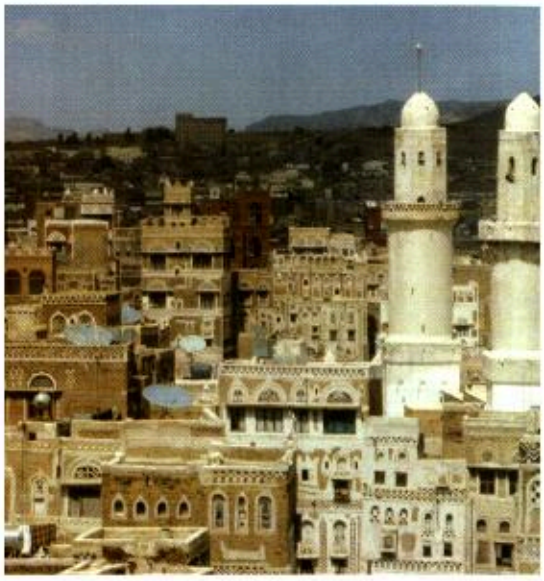

المساجد بعد صلاة المغرب في آخر يوم من شعبان حتى يعودوا لأسرهم بخبر دخول شهر رمضان.

قبل حلول الشهر بيومين أو ثلاثة، يقومون بما يعرف بـ«التئاثير»، وهي جمع عدد من الأشياء القابلة للحرق مثل: الحشائش، والأحطاب، ويقوم الأطفال بإشعال النار فيها، هذا إلى جانب أنهم يرقصون، وينشدون بعض الأناشيد الخاصة برمضان والمعروفة بـ«التماسي»، حيث يستعد الأطفال لأدائها من أواخر شعبان، وينتظرون بهجة «التماسي» التي يكسبون بها مقادير قليلة من النقود.

وشِعر «التماسي» تؤديه مجاميع من الأطفال مرددين:

أدى لأبي قرعة دراهم
يا رمضان يا بو الحمائم
أدى لنا مخزن بضائع
يا رمضان يا بو المدافع

ويعنى هذا النشيد أن الأطفال يطلبون الرزق لآبائهم، وذلك لأن رمضان يحتاج الكثير من الرزق، وهذا يدل على أن رمضان مصدر من مصادر الرزق من عند الله تعالى، ويظل الأطفال على حالهم هذه طوال الأيام القلائل السابقة لرمضان منتظرين قدوم رمضان.

الباجية، والحامضة

للمسجد دور كبير عند أهل اليمن في رمضان، ففيه يجتمعون بعد صلاة الظهر لتلاوة القرآن، ويحرصون على اصطحاب الصغار في مثل تلك الأوقات، بل يجتمع الرجال على الموائد الرمضانية التي تكون نتاج صحون اصطحبها أغلب رواد المسجد معهم، حيث يتناولون بعض الطعام البسيط والمكوَّن من التمور، والسمبوسة، والباجية، والحامضة، وهي خليط مكون من الحلبة والليمون والخل والطماطم، إضافة إلى «الشفوت»، وهي وجبة يمنية مشهورة، يتناولونها في شهر رمضان، وهو طبق مزيج من الخبز، أو اللحوح، والزبادي، أو اللبن الرائب المخلوط بالكراث والنعناع الأخضر والكسيرة الناشفة والكمون والملح. ومن ثم الصلاة والعودة إلى المنزل لتناول الإفطار مع الأسرة.

أما أنواع الطعام اليمني فمتنوعة بشكل كبير فـ«اللحوح»، واللبن، و«الشفوت»، وشوربة «العتر»، تعتبر من الصحون الرئيسة، أما «القديد» وهو المشمش المجفف والمنقوع بالماء والسكر، فيعتبر من المشروبات المحببة في رمضان، «الرواني» حلوة يمنية عبارة عن كيك بالبيض والدقيق، و«بنت الصحن»، نوع آخر من الحلوى.

وبعد الإفطار يتناول أهل اليمن الشاي والقهوة إلى جانب «القلاء» الذي هو عبارة عن فول صغير محمص.

أما أهالي الجنوب اليمني فيتناولون الأرز مع اللحم «المضبي» أو المندي أو المضغوط.

وهناك عادة ينتهجها القضاء اليمني حيث تأخذ المحاكم في اليمن أجازة رمضانية، فأبناء اليمن ينحون قضاياهم وخلافاتهم جانباً احتراماً وتقديراً لهذا الشهر الفضيل.

«تنصيرة العيد»

أما ما يخص العيد، فهناك أيضاً الكثير من العادات والموروثات القديمة، فمثلاً «تنصيرة العيد» التي يقوم الأطفال بإشعال كومة من الأخشاب المحروقة في أعالي الجبال، حيث جاءت هذه الفكرة من احتفال الأجداد بالانتصارعلى أعدائهم بإشعال نيران على رؤوس الجبال، ونتيجة سوء استغلال هذه العادة حيث أصبح الأطفال يقومون بإحراق الإطارات في الطرقات، والأماكن العالية، قامت السلطات بمنع تنصيرة العيد حفاظاً على البيئة والصحة العامة.

يقوم الرجال بشراء المستلزمات والحاجات الضرورية للعيد من المحلات التي تبقى مفتوحة حتى ساعات متأخرة من الليل، بينما تسهر النساء ليلة العيد حتى الصباح ليهيئن بعض المأكولات التي ستقدم في صباح العيد للضيوف مثل الكعك، والذي هو أشبه بالكيك، حيث يتكون من الطحين، والبيض، والسكر، وبعض المواد الأخرى. ويقف الناس أمام أفران الخبز لشيّ كعك العيد، ويقمن بإعداد جعالة العيد، وهي المخلط . الخلطة . التي تتكون من الفستق، والكشمش، والزبيب، والفول السوداني، وبعض المكسرات التي تقدم للضيوف خلال أيام العيد.

ويكاد لا يخلو بيت من الأكلات اليمنية الخاصة بمناسبة العيد مثل: «السلتة» وتتألف من الحلبة المدقوقة، وقطع البطاطا المطبوخة، مع قليل من اللحم والأرز والبيض، وتحرص النسوة اليمنيات على تقديم أصناف من الطعام للضيوف في العيد، ومنها بنت الصحن، وتعملها النساء من الطحين، والعسل، والبيض، والدهن، أوالسباية، وهي رقائق من الفطير متماسكة مع بعضها بعضاً، ومخلوطة بالبيض، والدهن البلدي، والعسل الطبيعي.

ونجد أهل القرى في اليمن ينحرون الذبائح، ويوزعون لحومها على الجيران، والأصدقاء، والجلوس في مجالس طيلة أيام العيد لتبادل الحكايات المختلفة. أما في المدن فيذهبون لتبادل الزيارات العائلية عقب صلاة العيد، وتقدم للأولاد العيدية. وعندما يعود ربّ الأسرة بعد أداء الصلاة في المسجد، تستقبله الزوجة والأبناء وهم في أجمل زينة وهيئة. فالزوجة تبدأ بتهنئة زوجها، ثم يأتي دور الأبناء للتهنئة واحداً بعد الآخر، ليقبلوا أباهُم . وعادة أهل صنعاء أن يقبلوا رُكبَة أبيهم . ويقدم الوالد هدية العيد لأبنائه وتعرف بـ«عسيب العيد»، ويتناولون الفطور ويخرجون لمعايدة الأقارب والجيران.

وغالباً ما يذهب الأطفال إلى الملاعب القريبة من بيوتهم ليركبوا «المداره»، ومفردها «مدرهه»، أو يؤجرون الدراجات لركوبها. وتنشغل النساء بالتزاور فيما بينهنّ ويسمى ذلك بالفرطة، وتقوم البنات الصغيرات بالاجتماع في أكبر بيت في المنطقة لينشدنّ جميعاً بعض الأناشيد، ويلعبنّ بعض الألعاب الشعبية، مثل: لعبة الكيرم، ونط الحبل.

وقبل الظهر يخرج «المزين» وهو شخص يحمل طبلة أو طاسة يضرب بها ليقوم الناس لرقص «البرعة» أي الرقص بالخنجر، وهذه الرقصات تختلف كيفيتها من قبيلة لأخرى، فهناك «الحيمية» و«الهوشلية» وغيرها.

وأيضاً يبدأ «النصع»، وهو الذهاب إلى المناطق الخالية من الجبال، ليتبارى أهل القبائل على الرماية والتصويب.■

الصوم تربية وإعداد

محمد يوسف الجاهوش

إنه شهر الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الأعداء على كل الأصعدة، وفي شتى الميادين. إنه شهر الفرقان. فيه نصر الله نبيه ببدر يوم التقى الجمعان، ففرق بذلك بين الحق والباطل إلى يوم الدين.

شهر حبا الله فيه أمة الإسلام من الإنعام، والإكرام، والأفضال، ما لم تنله أمة نبي قبل محمد ﷺ.

روى البيهقي عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتي في رمضان خمساً، لم يعطهن نبي قبلي:

أما واحدة: فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً.

وأما الثانية: فإن خلوف أفواههم (رائحتها) حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة.

وأما الرابعة: فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا، إلى داري وكرامتي.

وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً».

فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: «لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم!».

لقد وعى المسلمون الأولون هذه الحقائق، فكان رمضان عندهم غنيمة من الغنائم، يتسابقون لنيل أكبر قدر من ثوابها العظيم.

إن للناس في صيامهم ألواناً من العادات والتقاليد، توارثوها على مر الأجيال، منها: البعيد عن الإسلام بعداً كاملاً، ومنها: ما يقترب من الإسلام قرباً يجعله ذا صيغة إسلامية، ومنها: ما هو من صميم الإسلام ولُبِّه.

فمن الناس: من يرى الصوم أسلوباً صحياً، وعلاجاً وقائياً، يبعده عن الأمراض، أو يكسبه مناعة ضدها، فأيام رمضان عنده وصفة طبية، يتناول حباتها الثلاثين، في كل يوم حبة، ولا علاقة له بعد ذلك بأخلاق الصيام، ولا بآداب الصيام، ولا بالحكمة الربانية التي شُرع من أجلها الصيام.

ومن الناس من يرى الصوم إمساكاً عن الطعام، والشراب، وسائر المفطرات، فإن هو فعل، بزعمه، فقد برئت ذمته، وأدى الذي عليه، وفات هذين الصنفين من الناس أن عملهم هذا بعيد كل البعد عن الحكمة التي كان صوم رمضان من أجلها ركناً من أركان الإسلام.

آداب الصيام

١. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصيام جُنَّة. أي وقاية. فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم».

٢. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

٣. روى ابن حبان، وابن خزيمة في صحيحيهما: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث».

الصوم نظام حياة

من هذه الأحاديث الشريفة وأمثالها نلاحظ. أيها الأخ المسلم. أن للصوم آداباً رفيعة، وأن له حكمة سامية، وأن الصوم نظام حياة متكامل، وليس موسماً عابراً.

إنه دعوة إلى كل فضيلة، ورادع عن كل رذيلة، وسياج دون كل معصية. فلا صخب في حياة الصائمين، ولا شتيمة، ولا شجار.

صامت ألسنتهم: فلا كذب، ولا بهتان، وصامت أبصارهم: فلا تقع على حرام، وصامت أسماعهم عما سوى الحلال، استجابة لتوجيهات قائدهم الكريم، عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم «إنما الصيام من اللغو والرفث»، وهكذا نرى الصائمين نماذج ربانية، عافت لذيذ الشراب والطعام، وأقبلت على الصلاة والقيام، وجادت ابتغاء مرضاة الله بالأوقات والأموال.

تسامت أرواحها، وعلت نفوسها، وتعلقت منها القلوب بما عند الله من نعيم لا يزول. لقد رأت هذه الدنيا على حقيقتها، رأتها لقمة طعام فعافتها، وشربة باردة فتركتها، أو شهوة عابرة فتسامت عنها، وخلعتها، ولسان الحال منها يردد: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ (طه).

هذه غاية النفوس المؤمنة، وأمنية القلوب الصادقة، أن تفوز برضا الله، ليس لها غاية سواها، وهل هناك غاية أسمى وأغلى من رضا الرحمن؟

الصوم جهاد

لذلك نجد أمة الصيام أمة جهاد وتضحيات، أمة تعلمت صناعة الموت في ظلال القرآن، وأتقنت حياة المجاهدين في مدرسة النبوة، كلما ذهب إلى ربه قائد مجاهد تلقف اللواء من بعده مجاهد آخر، يفديه بالنفس والولد والمال، حتى غدا نشيد المؤمنين على الأجيال: «الموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

نعم نحن أمة الصيام، ورثنا البطولات كابراً عن كابر، وخلفاً عن سلف، فيوم بدر كان يوم الفرقان، فيه اندحر الشرك وأهله أمام عصبة الصائمين، وفي رمضان كان الفتح العظيم. فتح مكة. الذي فتح للإسلام مغاليق القلوب، ومنيعات الحصون، فانطلق الصائمون ينشرون دين الله فوق كل مكان، بعد ما أعلن مؤذنهم

ها هو الوافد الحبيب يطل علينا من جديد. ليت شعري! هل علم المسلمون حقيقة هذا الشهر المبارك الكريم؟ إنه شهر الصيام، والقيام، وغض البصر، وحفظ اللسان. شهر نزول القرآن، الذي أنشأ أمة، وبنى جيلاً، وأسس دولة. شهر ليلة القدر، التي جعلها الله خيراً من ألف شهر. شهر الدعاء المستجاب، والعمل المقبول.

الأذان من فوق الكعبة، بيت الله الحرام.

ولا تزال هذه بطولاتنا حتى في العصر الحديث، عصر المادة والفساد، والانحراف والإلحاد.

فهل لقي اليهود الويلات في ربى فلسطين، وذاقوا مُرَّ الهوان إلا من الأيدي المتوضئة، والنفوس الصائمة عن كل ما حرم الله؟!

سلوهم فهم لا ينكرون: كم ليلة باتوها آمنين من كل الجيوش التي انتهت مسرحية قتالها بتسليم فلسطين؟! ولم يقلقهم إلا تلك الهجمات المؤمنة من شباب الإسلام التي كانت تدك عليهم مستعمراتهم، وتحرق حصونهم على من فيهما من الرجال، وما فيها من العتاد والأموال. سلوهم فهم لا ينكرون: أليست تلك الهجمات المؤمنة الصامدة هي التي جعلتهم يخططون لنشأة كيانات هزيلة، وحكومات عميلة من حولهم، حتى تقضي على الإسلام وشباب الإسلام؟ نعم، هم الذين فعلوا ذلك، وصنائعهم هم الذين نفذوا، ولا يزالون ينفذون لهم ما يريدون، لأنهم كلهم يعلمون أنه لا حياة لليهود مع وجود هذه النماذج العفة النظيفة المؤمنة النقية، التي تربت في مدرسة الإسلام، وتحلّت بأخلاق الأنبياء.

الصوم تكافل

كما يحقق الصوم في نفوس الصائمين معاني الرجولة والتضحية والجهاد، فهو كذلك يربي النفوس على البذل والسخاء، وعلى الجود والكرم والعطاء.

إن الغني الذي يعضه الجوع، ويضنيه الظمأ في شهر رمضان، تتبدل مشاعره، ويختلف إحساسه، ويدرك أن هناك إخواناً له يعانون طول العام مثل الذي يعانيه في رمضان فيسارع إلى مراسلتهم، وتطالعه سيرة الرسول الكريم الجواد السخي الذي كان في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، عندها تهون في نفسه الأموال، ويلتفت إلى من حوله من المحتاجين، يواسيهم، ويؤازرهم، ويقدم لهم ما يصلح حالهم، ويسد احتياجاتهم من غير منٍّ ولا أذى، إنما هو واجب الإخوّة التي فرضها الإسلام، وحقق معانيها الصيام. وبذلك نجد المجتمع الإسلامي قد حقق التكافل بين أبنائه، وقامت حياتهم على المحبة والمودة والإخاء.

خاتمة

يا شباب الإسلام: إذا صام الناس عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، فاعلموا أن صومكم يجب أن يكون كصوم الأنبياء والصديقين. وإذا رأى الناس في رمضان موسماً لألوان الطعام والشراب، فلا بد أن يكون رمضان عندكم موسماً للطاعات والعبادات وزيادة القرب من الله، وإذا ما سهر الناس في رمضان مع وسائل الإعلام . غثها وسمينها . لياموا بعدها ما طال من النهار، فإن ليلكم يجب أن يكون قياماً بين يدي الله . تعالى . ضارعين، خاشعين، متبتلين، قانتين، تطلبون من الله نصر دينه، وإعزاز شريعته، والأخذ بأيدي إخوانكم الذين يقاومون الظلم والطغيان. ويجب أن يكون نهاركم عملاً دائباً، وسعياً حثيثاً، لتبلغوا مرضاة ربكم. فما شهر رمضان بشهر كسل، ولا نوم ولا خنوع. إنه شهر الجهاد. فيه كانت غزوة بدر، وفيه كان الفتح العظيم . فتح مكة . وغير ذلك من الغزوات.

فهنيئاً لكم صومكم، وهنيئاً لكم صلاتكم وقيامكم، وثقوا بأن الله معكم ما دمتم معه، ناصركم، ومؤيدكم، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.■

ثمرات رمضان (١)...

العفو والصفح

د. سمير يونس(*)
dr_samiryounos@hotmail.com

فإذا كرمت نفسك هانت عليك شهوتك، وإذا ذلت نفسك فاعلم أن شهوتك قد سيطرت عليك، لذا فجدير بنا أن نفقه تلك المنحة الرمضانية التي منحنا إياها الكريم الوهاب، فشكراً لك ربي على أن كرمت نفسي، وأعنتني بالصوم على ضبط شهوتي.

ومن المكرمات الربانية والثمار الرمضانية اكتساب الإنسان حسن الخلق، وخاصة أنها غاية الدين، وثمرة رسالة الإسلام، يقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (رواه الإمام مالك في الموطأ).

ولقد تعارف كثير من الناس على أن يعذر بعضهم من انفعل وخرج عن إطار الأخلاق الفاضلة، بقولهم: اعذروه فإنه صائم، وكأن الصيام صار سبباً مقبولاً لسوء الخلق.. على حين أن الحقيقة عكس ذلك تماماً، فقد علمنا الشرع الحنيف أن رمضان مدرسة للأخلاق، تربى تلاميذها على الأخلاق الرفيعة الفاضلة.

والحلم والعفو من أرفع الأخلاق وأسماها، فهما قيمتان يستمدان عظمتهما من حب الله لهما، فالله عز وجل هو الحليم، كما قال في محكم آياته: ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) ﴾ (البقرة).

ووصف بها إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ(١١٤) ﴾ (التوبة).

وكذلك سيدنا إسماعيل عليه السلام، قال سبحانه: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ(١٠١) ﴾ (الصافات).

اصفح يصفح الله عنك

يقول ابن القيم: «يابن آدم، إن بينك وبين الله خطايا وذنوباً لا يعلمها إلا هو، وإنك تحب أن يغفرها لك، فاغفر أنت لعباده، وإن أحببت أن يعفوها عنك فاعف أنت عن عباده، فإنما الجزاء من جنس العمل.. تعفو هنا يعفو هناك، تنتقم هنا ينتقم هناك...».

كيف يكسبنا الصومُ الحلم والعفو؟

لقد وجهنا رسول الله ﷺ إلى ضبط النفس، وعلم الصائم أنه عندما يسبُّه أحد يكون رده: «إني صائم»، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل إني صائم مرتين» (رواه البخاري ومسلم).

إنه تدريب على حسن الخلق، وهذا التدريب عندما يواظب صاحبه عليه يستطيع بذلك أن يكتسب هذه القيمة الأخلاقية، لقوله ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، وإنما الصبر بالتصبُّر».

ولقد سمى علماء التربية الإسلامية هذا الحديث بـ«القاعدة الذهبية»، في تغيير السلوك وتحسين الأخلاق، وغرس القيم، وأشار إليه الإمام أبو حامد الغزالي، وبين أثره فيما أسماه بـ«قانون العادة والتكرار»، حيث أشار إلى أن تكرار العادة يؤدي إلى اكتسابها كخلق أصيل من أخلاق الشخص.

مواقف تربوية لشخصيات تميزت بالحلم والعفو

١. عيسى عليه السلام: مر عيسى عليه السلام بقوم فقالوا له شراً، فقال لهم خيراً، فقيل له: «إنهم يقولون شراً وتقول لهم خيراً؟ فقال: كل ينفق مما عنده».

٢. علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: دعا علي بن أبي طالب . كرم الله وجهه . غلامه مرات فلم يجبه، فنظر فإذا هو بالباب، فقال: لمَ لا تجيبني؟ فقال: لثقتي بحلمك، وأمني من عقوبتك، فاستحسن كلامه وأعتقه.

٣. ابن مسعود رضي الله عنه: سُرقتْ دراهمُ لابن مسعود، فجعلوا يدعون على من سرقها، فقال لهم: اللهم إن كان حَمَلته على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حَمَلَتْه جرأة على الذنوب، فاجعله آخر ذنوبه.

٤. الحسن البصري: علم الحسن البصري رضي الله عنه أن رجلاً اغتابه، فأرسل إليه طبقاً من الفاكهة هدية، وشكره موضحاً سبب شكره أنه حمل من خطاياه.

٥. علي بن الحسين: سب رجل علي بن الحسين رضي الله عنه، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم. اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير.

٦. عمر بن عبدالعزيز: دخل قوم على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فكلمهم، فأغلظوا له، ففضب، فقال له ابنه عبدالملك: وما يغضبك يا أمير المؤمنين وإنما بحسبك أن تأمر فتطاع؟ فقال: أما غضبت أنت يا عبد الملك؟ قال: بلى والله، ولكن ما ينفعني حلمي إذا لم أردّه على غضبي فيسكن، وأنشد:

وما الحلمُ إلا ردُّك الغيظ في الحشا
وصفحك بالمعروف والصدر واغر

(*) أستاذ المناهج وأساليب التربية الإسلامية المساعد

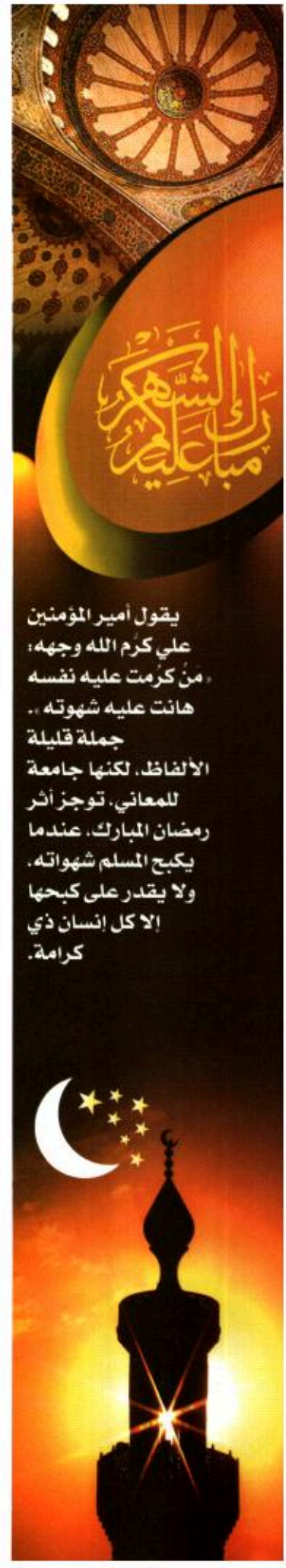

ترى المجد والأحلام فينا فما ترى
سفيها هفا إلا وآخر زاجر

٧. الشعبي: شتم رجل الشعبي، فقال له: إن كنت صادقا فسوف يغفر الله لي. يقصد أنه سيحمل من أوزار الشعبي. وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، أي إنه يدعو له بالمغفرة.

٨. أبو ذر رضي الله عنه: شتم رجل أبا ذر فقال: يا هذا لا نكافئ من عصا الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه؟!!

وللمنفلوطي في الحلم أبيات مؤثرة يقول فيها:

إذا ما سفيه نالني منه نائل
من الذم لم يحرج بموقفه صدري
أعود إلى نفسي فإن كان صادقاً
عتبت على نفسي وأصلحت من أمري
وإلا فما ذنبي إلى الناس أن طغى
هواها فما ترضى بخير ولا شر

ومن جميل ما قيل في الحلم قول المتنبي:

وأحلم عن خلّي وأعلم أنني
متى أجزه حلماً عن الجهل يندم
وإن بذل الإنسان لي جود عابس
جَزَيْتُ بجود التارك المبتسم

أضواء على خلق العفو

ليت العباد في هذا الشهر الكريم يسمعون نداء ربهم، ويلبون النداء، فإن الله عز وجل العفو الحليم الرحيم يدعوهم إلى ما فيه حياتهم ونجاتهم.. فيناديهم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ (آل عمران).

ليتنا جميعاً نقتفي آثار أبي بكر الصديق، عندما خاض ابن خالته مسطح بن أثاثة في عرض ابنته الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث الإفك، وقرر أبوبكر ألا ينفق عليه. حيث كان ينفق عليه لفقره وقرابته منه، فلما نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾ (النور)، فاستجاب أبو بكر رضي الله عنه بلا تردد وسامحه، وعفا عنه، وعاد لينفق عليه.

إن العفو خلق مهجور برغم أنه من أرفع الأخلاق وأسماها، فهل استثمرنا فرصة شهر العفو لنبادر ونعفو عن غيرنا عسى أن يعفو الله عنا؟■

مشاعر رمضانية (٣ من ٤)

القـرب

د. أحمد عيسى

طبع الأولاد القبلات على جبيني وعلى جبين أمهم توديعاً للذهاب لنومهم، وأغلقوا علينا الباب، وأنا ما زلت أشعر بدفء تنفسهم وعبير عطرهم ونضارة جلدهم وقربهم من قلبي.. وبدأ قرب آخر مع شريكة حياتي ممتع وجميل.. وغلبني النوم..

تقلبت في فراشي.. ومددت قلم أجدها.. ونظرت إلى الساعة الفسفورية فأدركت أن موعد السحور لم يحن بعد.. فأغمضت عيني لأنام ولكنه استعصى علي.. فقمت لأجدها ساجدة في الصلاة طويلاً. غمرت سكينة المشهد قلبي، هي في مناجاة أعظم من همس المحبين الذي كان في أول الليل معها. وفي ذل واخبات أرقى من تواضع المحبين الذي نتعامل به، وفي حب فاق قصائد شعرها ولوعة رسائلها!

إنه القرب بعينه.. وقررت أن أجربه، فرجعت إلى الفراش! وانتظرت أتحايل كأني نائم إلى أن رجعت ونامت.. فقمت.

تطهرت وتظاهرت وحدي في عتمة الظلام بالتباكي على حالي لعلي أصدق في القرب.. وصليت وبدأت بدعاء الاستفتاح لعلي أتطهر قبل القرب: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد» (متفق عليه). وسجدت وحاولت، كنت أتمتم: «سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوء بنعمتك علي، هذه يدي وما جنت علي نفسي» (أحمد). أحاول أن أقترب بجبهتي وأنفي إلى الأرض أكثر، لأرتفع وأقترب أكثر.. أحاول القرب.. أردد: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» (مسلم). شعرت بذلي مردداً: «سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة» (أبو داود).

حاولت أن أنسى كل شيء وأذكره، وأبتعد عن كل شيء وأقترب منه.. كان رأسي على الأرض وكأن روحي تعرج إلى السماء..

إحساس يساعده قيام ليل رمضان ليتعوّد المرء على القرب من الله طاعة واخباتا.. وأنا في سجودي أتمنى أن يقف الزمان وتتعطل الأوقات ويكون ذلك آخر عمل في الحياة..

رنّ جرس المنبه لايقاظنا للسحور.. وما لبثت الأنوار أن أضيئت وظهر صوت الأولاد، وصخب أدوات المطبخ وانتهت لحظات القرب!■

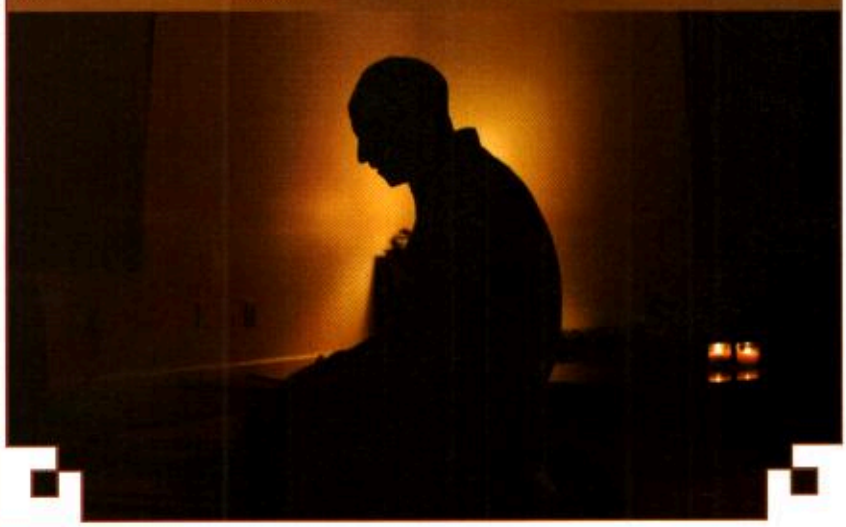

كيف نستفيد من الصيام؟ (٣)

أضرار الإكثار من الطعام والشراب

د. عادل شلبي (*)
www.dradelshalaby.com

بعد أن وصفنا حالنا الفعلي في رمضان، ثم وصفنا البرنامج العملي الذي رسمه لنا رسول الله ﷺ، فهو ليس من عند نفسي، وليس لي فيه أي فضل، بل هو ما استنّه رسول الله ﷺ لنا في سنته قولاً وفعلاً وتقريراً.. نتناول اليوم فوائد الصيام، ولكن قبل أن نتحدث عن فوائد الصيام، نعرّج على المشكلات التي تسببها كثرة الأكل والشرب.

وإنني أكاد أسمعك - أخي القارئ - تتمتم قائلاً: لقد ملأ الأطباء الدنيا صراخاً لنهتم بالأكل وتنويعه، ومجموعات الطعام، والتوازن الغذائي، وأن الحليب واللحم والفيتامينات و.... و..... و..... مفيدة للإنسان والطفل والحامل والمرضعة، ثم في شهر الصيام يأتون هم أنفسهم ليكملوا الصراخ، ولكن بلحن آخر: «صوموا، قللوا الطعام، عليكم بالريجيم الغذائي». فما الخطب إذن؟

هل الأكل مفيد فنأكله أم أنه ضار فنتركه؟

وأقول: إنه بعد أبحاث طويلة توصّل العلماء إلى أن الصحة تتناسب مع الأكل تناسباً طردياً، فكلما زاد الأكل كان أحسن صحياً. لكن في حدود معينة بعدها يتناسبان تناسباً عكسياً، فكلما زاد الأكل زادت المشكلات، مثل:

١- السمنة أو زيادة الوزن.

٢- زيادة السموم الداخلة إلى جسم الإنسان.

٣- زيادة المواد الغذائية النافعة فتنقلب إلى ضارة.

مضاعفات الإكثار من الطعام

أولاً: زيادة الوزن وتفشي السمنة: حتى أصبحنا «مخازن» طعام تمشي على الأرض، ثم هبت الأجسام صارخة ممّا حملته ولم تستطع تصريفه، فتفشت فينا بسبب ذلك أمراض عجيبة، ما سمعنا بها في آبائنا الأولين، حتى ما عُرف عندهم من هذه الأمراض لم يكن منتشراً ذلك الانتشار المخيف.

١- فارتفع ضغط الدم في العروق.

٢- وظهر السكري والكوليسترول في دمائنا، فتصلبت الشرايين وانسدت، وهاجمتنا الذبحات الصدرية، والجلطات القلبية والمخية، وتوالت علينا الأزمات القلبية والتنفسية، وتفشى فينا هبوط القلب.

٣- وكثرت فينا السكتة القلبية والدماغية، وتمكنت منا أمراض الصدر، والحساسية ونقص المناعة.

٤- وظهرت أمراض القولون الجيبي والعصبي، وحدث خلل في وظائف الكبد بسبب ترسب الدهون فيها، وإرهاقها في عمليات الهضم المستمرة ليل نهار، فعمّ سوء الهضم وما صاحَبه من انتفاخات وغازات.

٥- وعاث السرطان في الأجسام فساداً.

٦- واختلت وظائف الغدد الصماء.

٧- وانتشر الضعف الجنسي لدى الرجال بصورة لم نعهدها من قبل.

٨- وأخيراً: ضعفت قوانا البدنية ومعها النفسية، وكل ذلك بسبب التخمة التي ولّدت السمنة ومضاعفاتها التي تفشّت فينا وأصبحت من كُبْريات مشكلاتنا.

ثانياً: زيادة السموم بالجسم: ولهذا فنحن ندق ناقوس الخطر للنحيل والسمين معاً.

فما قضية السموم إذن؟

لقد أثبت فريق من الأطباء في العصر الحديث، ومن أهمهم د. فادين ود. مشيل روزنبوم Michael Rosenbaum لله dr M. Faden أثبتوا أن السموم تهاجمنا في حياتنا اليومية من كل اتجاه، من مأكل ومشرب، وحتى الهواء الذي نتنفسه، فجميع الأطعمة تقريباً تحتوي على كميات متفاوتة من المواد السامة، وذلك إما كمكسبات للطعم، أو نكهات، أو ألوان، أو مواد حافظة، أو كمواد قد أعطيت للحيوانات أثناء تسمينه كمنشطات النمو، أو المضادات الحيوية، والمخصبات، أو مبيدات حشرية أو سماد كيماوي أعطي للنبات، أو السموم التي قد توجد في بعض الأطعمة أثناء التخزين.

وقد تَصلنا السموم أيضاً عن طريق الأدوية التي نتناولها بسبب أو بغير سبب أو عن طريق الهواء الذي نتنفسه - رضينا بذلك أو أبيناه - مثل عوادم السيارات، وغازات المصانع.

تراكم المواد الغذائية النافعة بالجسم تسبب أمراضاً عديدة وإن لم تسبب السمنة

وكذلك هناك سموم داخلية نتعرض لها لا محالة من داخل أجسامنا، إما نتيجة الاحتراق الداخلي في أجسامنا مثل: غاز ثاني أكسيد الكربون، والأمونيا، والكبريتات، وحمض اليوريك... أو نتيجة لتخمر الغذاء وتعفنه، مثل:

(*) طبيب القلب والباحث في الإعجاز الطبي

الأندول، والأسكاتول، والفينول.

وهذه السموم غالباً ما تكون سبباً في معظم ما يصيب الناس هذه الأيام من أمراض لم يكن يُعرف سببها من قبل، وكان الطب قد وقف عاجزاً حتى عن تصنيفها تحت أمراض معينة، وبالتالي لم يصف لها علاجاً معيناً.

ويقول د. «فادين»: إن السموم تتراكم على الإنسان فتثقله وتمرضه، ويقل نشاطه، وتسبب معظم أمراض العصر.

وغالباً ما يتخلص الجسد من هذه السموم، إما عن طريق البول أو البراز أو الجلد أو التنفس، أو عن طريق الكبد الذي يقوم بتنظيف الجسم منها أولاً بأول، أو يحولها إلى مواد نافعة مثل: اليوريا، والكرياتين، وأملاح الأمونيا، ثم يفرزها عن طريق الجهاز الهضمي، أو البولي، لكن إذا أكثرنا من تناول الغذاء بطريقة عشوائية، فإن السموم تتراكم ويتم تخزينها في أنسجة الجسم وخاصة الخلايا الدهنية، ولم يجد الطب الحديث حلاً طبياً لهذه المشكلات حتى الآن.

أمراض عديدة

ثالثاً: تراكم المواد الغذائية النافعة مما يسبب ضرراً: فقد تتراكم المواد الغذائية والفيتامينات والأملاح المعدنية في الأجسام بسبب كثرة الأكل، فيسبب تراكمها أمراضا عديدة وعجيبة، وإن لم تسبب زيادة في الوزن.

وإليك هذه الأمثلة:

- فمثلاً: زيادة السكريات بالأكل تؤدي إلى ظهور مرض السكري بالدم.
- زيادة الكوليسترول: تسبب تصلب الشرايين.
- وزيادة الكالسيوم: تسبب حصوات الكلى.
- أما زيادة المنجنيز: فتسبب شللاً رعاشاً.
- وزيادة اليود: يؤدي إلى قصور وظائف الغدة الدرقية.
- أما زيادة فيتامين (C) فيؤدي إلى حموضة بالدم، الفشل الكلوي، حصوات بالكلى وترسيبات الأوكسالات.
- وزيادة النحاس في الكبد: تسبب تليفاً وقصوراً في وظائفه.

وفي المخ: يسبب شللاً رعاشاً واكتئاباً.

وفي الكلى: يسبب فشلاً كلوياً.

- وزيادة الحديد: تؤدي إلى زيادة النوبات القلبية وتلف الشرايين.
- وزيادة فيتامين (A) تسبب صداعاً، وهياج أعصاب، وعدم القدرة على التركيز، وزغللة في النظر، ويصبح الجلد جافاً خشناً يفقد ليونته، ويتضخم الكبد والغدد الليمفاوية.
- أما زيادة فيتامين (D) فيؤدي إلى زيادة الكالسيوم المتأين الذي يسبب:

١- قيئاً.

٢- وزيادة التبول والجفاف.

- وزيادة الكروم: تسبب تقرحات بالجهاز الهضمي، وقصوراً بالكبد والكليتين، وتلفاً بالجهاز العصبي.
- وزيادة الفاناديوم: تسبب اكتئاباً وجنوناً.
- وزيادة الكوبالت: تؤدي إلى ضمور عضلة القلب - قصور الغدة الدرقية.
- أما زيادة «السيلينيم»، فتؤدي إلى قيء وإعياء وتساقط الشعر والتهاب الجلد وقصور كبد، واكتئاب.

فالخطورة إذن ليست في السمنة وزيادة الوزن فقط، بل في كثرة الأكل ذاته ونوعيته وتوقيته.

ولهذا فالخطورة لا تختص بالسمين فقط بل والنحيل كذلك.

لكن الناس عموماً أو مجموعة كبيرة منهم لا تبالي إلا بالسمنة الظاهرة، ولا تلقي بالاً لباقي المشكلات كالسموم وزيادة المواد الغذائية التي بزيادتها يتشكل الضرر.

حيرة في الأمر

وأصبح الناس في حيرة، أيأكلون أم لا يأكلون؟

هل نزيد من الأكل والفيتامينات والمعادن من أجل الصحة؟ أم نمنعها حتى لا نصاب بهذه الأضرار؟

هل تصر الأمهات وتضغط على الأبناء حتى يأكلوا هذا وذاك وتلك؟ أم يتركنهم وشأنهم؟

هل نأكل أم نمتنع عن الأكل تماماً؟

أم أن الصيام هو الحل؟ وكيف يحل الصوم هذه المعضلات؟

هذا ما سنتناوله في الحلقة القادمة إن شاء الله.■

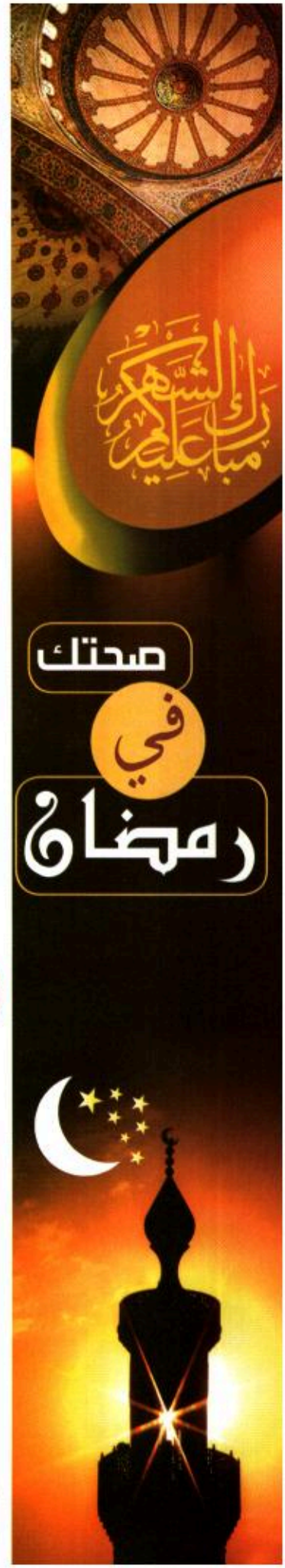

دليلك لإنقاص وزنك

تتنوع كتب الريجيم التي تَعِدُ الكثير منا بتحقيق حلم غال، ألا وهو فقدان عدة كيلوجرامات من الوزن في أيام معدودة، لكن بعض الخبراء حذروا من أن بعض كتب الأنظمة الغذائية أو الريجيم قد تدمر صحة الإنسان.

وقد أشارت مجلة «ووِيتش» التي تنشرها «جمعية المستهلكين» البريطانية إلى أن الكتب التي تمد قارئها بنصائح غذائية متوازنة، والتي تؤكد ضرورة ممارسة الرياضة، وتعلن صراحة الفئات التي يجب عليها ألا تتبع الريجيم هي الأكثر مصداقية وانتشاراً.

لكن المجلة أعربت عن قلقها من أنظمة الغذاء التي تعتمد على تقليص النشويات والتي أصبحت رائجة هذه الأيام، إذ إن تقليص النشويات في الوجبات الغذائية يعوق قدرة الجسد على التخلص من الدهون بصورة فعّالة، مما يؤدي إلى حالة تعرف باسم «كيتوزيس» التي تسبب رائحة كريهة ومرارة في الفم وغثياناً.

وحذرت المجلة متبعي مثل تلك الأنواع من الأنظمة الغذائية من أنها قد تؤدي أيضاً لنقص الأنسجة، وزيادة البروتين في الجسد، بالمقارنة بالأنظمة الغذائية الصحية.

وقالت «ووِيتش»: إن أحد الكتب قدّم نصيحة خطيرة تمثّلت في القيام بمجهود شاق دون تناول طعام أو على معدة فارغة، كما نقول، مع قليل من النشويات، وهو ما قد يؤدي للإصابة بالدوار، وفقدان الوعي.

وأضافت المجلة بأن اتباع نظام غذائي يعتمد على

نسبة قليلة من الدهون ولفترة طويلة، قد يؤدي لمشكلات صحية أيضاً مثله مثل ريجيم حساء الكرنب والريجيم الذي يعتمد على نوع الدم.

وأكدت أن الريجيم المتوازن، والنشاطات الرياضية المنتظمة هما أفضل طريقة للاحتفاظ باللياقة والصحة.

كما يجب أن يحدد الكتاب ـ المعني بإنقاص الوزن ـ وزناً مستهدفاً واقعياً، يأخذ في الاعتبار الفوائد الصحية، ويشجع على تغيير نمط الحياة بدلاً من أن ينصح بإنقاص الوزن بطريقة سريعة.■

محتويات الطماطم تكافح السرطان

قال باحثون: إن ثمرة الطماطم تحتوي على مواد تعمل معاً للمساعدة على مكافحة سرطان البروستاتا.

وكان يعتقد في السابق أن مادة كيماوية واحدة هي «ليكوبين»، وهي مادة تعطي الطماطم لونها الأحمر، وتتمتع بفعالية في تدمير جزيئات يمكن أن تسبب أضراراً لأنسجة الجسم، لها تأثير في مكافحة السرطان.

لكن باحثين في جامعتي «أليـنوي» و«أوهايو» الأمريكيتين، وجدوا أن مواد كيماوية أخرى في ثمرة الطماطم تعزز تأثير «الليكوبين».

وتشير النتائج التي نشرت في دورية معهد السرطان القومي إلى أن الملحقات الغذائية التي تحتوي فقط على مادة «الليكوبين» لها تأثير محدود على مكافحة السرطان.

وقال البروفيسور «جون إيردمان» الذي أشرف على الدراسة: «لم يكن واضحاً إن كانت مادة «الليكوبين» نفسها مادة واقية. توضح هذه الدراسة أن «الليكوبين» أحد العوامل التي تقلل خطر الإصابة بسرطان البروستاتا، لكنها تشير أيضاً إلى أن تناول «الليكوبين» كمادة في الملحقات الغذائية لن يكون بنفس فعالية جميع المواد الموجودة في ثمرة الطماطم». وأضاف قوله: «نعتقد أنه يجب أن يتناول الشخص جميع الأطعمة التي تعتمد على الطماطم، مثل: السلاطة، وعصير الطماطم، وحتى البيتزا».■

الصوم يقوّي المناعة

أكد د.«مدحت الشافعي» أستاذ المناعة «الإكلينيكية» والروماتيزم بكلية الطب جامعة عين شمس بمصر، أن الصوم وسيلة فعالة لتقوية جهاز المناعة. وأشار د. «الشافعي» إلى أن الصوم يزيد نشاط وقدرة «الماكروفاج» وهي الخلايا التي تلتهم وتحطم البكتيريا، والفيروسات، وأي أجسام غريبة تصل إلى الجسم، وتمثل الخط الدفاعي الأول للجسم، وكذلك يزداد نشاط المناعة الخلوية، وأساسها الخلايا الليمفاوية، وهنا يتحقق الإعجاز العلمي للخالق سبحانه وتعالى، حيث يوجد على سطح هذه الخلايا مستقبلات للأجسام الغريبة التي هاجمت الجسم، كما يزداد إفراز وتكوين «الإمينوجلوبينات» المناعية للحد من انتشار أي عدوى بالجسم.

كما أن قدرة ونشاط خلايا «النيتروفيل» يزداد نشاطها وتهاجم هذه الخلايا أي أجسام غريبة، والبكتيريا، وتلتهمها من خلال حركتها «الأميبية»، ويتم هضمها داخل الخلايا من خلال إفراز إنزيمات هاضمة.■

أحواض المطابخ.. خطر على الصحة

حذر علماء من الأخطار الصحية الناتجة من استخدام أحواض غسيل الأطباق في المطابخ، وأدوات المطبخ الأخرى، وسوائل الشطف والغسل.

وقال العلماء: إن أحواض الغسيل في المطابخ، وسوائل التنظيف، والشطف، ومناشف وقطع قماش التجفيف، تعتبر مواقع ممتازة لتكاثر وانتشار الجراثيم، كما أن سوائل التنظيف التي يقال إنها مضادة للبكتيريا، وألواح تقطيع الخضار، هي الأخرى مرتع لتكاثر البكتيريا!

ويشير العلماء إلى أن دور هذه الأدوات والسوائل في مكافحة مشكلات ظهور وتكاثر جراثيم المطبخ سلبي، وليس إيجابياً كما هو شائع بين أكثر الناس.

ويقول البروفيسور «هوج بينينجتون» من جامعة «أبردين» الأسكتلندية، وهو أحد أبرز خبراء صحة الغذاء، وانتشار العدوى في بريطانيا: إنه يأمل أن يتم التخلص تماماً من أحواض الغسل في المطابخ، إذ يرى فيها خطراً على الصحة العامة.

ويشير هذا الاختصاصي البارز إلى أن تجميع ألواح تقطيع الخضار والسكاكين التي تزخر بالجراثيم والبكتيريا، مع أطباق وصحون الأكل وكؤوس الشرب معاً في حوض الغسل ليس سوى طريق لتوفير البيئة المناسبة لانتشارها وزيادة خطورتها على صحة الإنسان.

وينصح الخبراء باستخدام أوراق التنشيف الصالحة لمرة واحدة؛ كبديل عن المناشف التقليدية التي يمكن أن تتحول بسهولة إلى وسيط مناسب لتكاثر وانتشار الجراثيم.

كما يوصون بضرورة استخدام السائل المبيّض، أو القاصر كما يُطلق عليه، في كل ما له علاقة بتنظيف المطبخ وأدواته؛ بدل منتجات التنظيف الحديثة المنتشرة في الأسواق، والتي يطلق عليها المنظفات المضادة للبكتيريا، والتي يقولون: إن فاعليتها ضئيلة لا تكاد تُذكر.

كما ينصحون بأن تشطف أدوات المطبخ والأكل وغيرها، بعد غسلها بماء يحتوي على القاصر أو المبيّض، بماء حار جار لفترة معقولة لضمان التخلص من أكبر كمية ممكنة من الجراثيم. أما الأطباق، فيُنصح بأن تُترك لتجف طبيعياً دون الحاجة إلى تجفيفها بالمناشف العادية التي تحتوي في العادة على ملايين الجراثيم المتنوعة. ويتوجب أيضاً شطف المسطحات التي تستخدم لإعداد وتقطيع وتحضير الوجبات والطبخات وتغسل بمساحيق الغسيل المحتوية على القاصر، والشبيهة بتلك المستخدمة في غسل الملابس البيضاء.■

لا تكثروا من المشروبات الملونة على مائدة الإفطار

رغم أهمية السوائل وخصوصاً بعد صوم يوم كامل، إلا إنه يجب معرفة أن أفضل المشروبات لكسر حدة العطش بعد الصيام هو الماء ثم، الماء، وإن كان لابد من إدخال بعض المشروبات فلن تجد أفضل من العصائر، ونقصد عصائر الفواكه الطبيعية، حيث إنها تحتوي على مواد مغذية أساسية وطبيعية، مثل: السكر ويوجد بكميات مناسبة، كما أنها غنية بالفيتامينات وأملاح (معادن)، وكذلك مواد مضادة للأكسدة، وهي مقاومة مناسبة للأمراض المزمنة والخطيرة.. كما أن هذه العصائر تحتوي على الألياف الغذائية التي تحسّن من حركة الأمعاء والتصريف.

أما المشروبات الملونة، فإنها ضارة بالصحة لاحتوائها على سكر مضاف أثناء التصنيع، حيث إن هذه الكمية تؤدي إلى تدمير فيتامين (ب)، الذي يؤدي نقصه إلى سوء الهضم، وضعف البنية والاضطرابات.. والخطر يعود على المواد المضافة، التي بدورها تهدد المخ، وتؤدي إلى فقدان الذاكرة التدريجي، وإصابة الكبد بالتليف والضعف!!

ولذا يجب الحذر من المواد الضارة، ومعرفة ما هو نافع لنا، وخصوصاً بعد الصوم، حيث تزيد نسبة الامتصاص في الجسم، مما يجعل الجسم يمتص العديد من العناصر الغذائية بشكل كبير، لذلك لابد أن تتوافر بعض العناصر الطبيعية والبعد عن المواد الكيميائية، ولابد أن نذكر أن أكثر الفئات عرضة لهذه الأخطار هم الأطفال وكبار السن، لذلك لابد أن نجنبهم هذه المشروبات.■

من كنوز رمضان.. قيام الليل

خير نعمة بعد الإسلام هي نعمة الخلوة مع الله سبحانه وتعالى، وليس هناك أفضل من ترك النوم ومجافاة الفراش والوقوف بين يدي الله.

وقيام الليل هو مصنع الرجال في الإسلام.

قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ (المزمل).

وقيام الليل مدرسة عظيمة من مدارس تربية النفس، ولا يقدر عليها إلا المخلصون.. فاجتهد أن تصلح نفسك من هذا الباب:

يا رجال الليل هبوا
رب صوت لا يرد
لا يقوم الليل إلا
من له عزم وجد

● **قالوا عن قيام الليل:**

- ما بقي من لذة الدنيا إلا ثلاث: «ذكر الله، وقيام الليل، ولقاء الإخوان» (مالك بن دينار).

- «كابدت قيام الليل سنة، ثم ذقت حلاوته عشرين سنة» (عمر بن عبدالعزيز).

● **الأرباح:**

- تحصل على وسام الشرف، ففي الحديث: «قيام الليل شرف المؤمن».

- **تضمن ٥ فوائد**: «تكون من الصالحين، وتتقرب من الله، وينهاك عن الإثم، ويكفر السيئات، ويطرد الداء عن الجسد»، كما في الحديث.

- دعاء مستجاب، وتوبة مقبولة وحاجة مقضية، خاصة إذا كان في الثلث الأخير من الليل.■

احذر «العجل الفضي»!

في هذا الشهر أغلق التلفاز أو على الأقل شفر القنوات غير المفيدة.. هذا الشهر للعبادة وليس للترويح (المحرم) عن النفس.

إما أن تغطى التلفاز تماماً، فلا يفتح نهائياً ابتغاء مرضاة الله.. وإما أن تكتب ورقة وتضعها على التلفاز وتكتب عليها: معطل لله عز وجل، وإما أن تحذف القنوات التي لا تنفع المسلم.. على الأقل هذا الشهر.

تذكر: بنظرة واحدة.. في دقيقة واحدة.. بمعصية واحدة.. قد يضيع منك هذا الشهر.. قد تضيع منك تلك المغفرة والعتق.. لا تتردد.

تذكر أن التلفاز كثيراً ما يلهي عن طاعة الله؛ وأنه كما أطلق عليه أحد الدعاة المعاصرين: العجل الفضي - مدرسة الإجرام - مخرب البيوت - هاتك الأستار - مبيد الغيرة - محرقة الحياء - السم اللذيذ - الشاشة السرطانية - قاطع الطريق إلى الله - الوالد الثالث.. فخذ حذرك وراقب ربك وأصلح قلبك.■

كلمات من ذهب

أجمل ما في الرجل: الرجولة.
أجمل ما في المرأة: الأمومة.
أجمل ما في الطفل: البراءة.
أجمل ما في الليل: الهدوء.
أجمل ما في البحر: الجبروت.
أقوى لغات العالم: الصمت.
وأبلغ لغات العالم: الدمع.
الإفراط في اللين: ضعف.■

قصة توبة مالك بن دينار

كان مالك بن دينار - يرحمه الله - من كبار التابعين يحكي توبته فيقول:

بدأت حياتي فاسقاً ظالماً، وكنت أعمل شرطياً، أضرب الناس، وآكل أموالهم، بالباطل وأشرب الخمر.

حتى جاءت ليلة فقلت لنفسي: ليتني أتزوج، فتزوجت فأنجبت طفله سميتها «فاطمة»، وكلما كبرت قل الشر في قلبي وكثر الخير فيه. فلما بلغت ثلاث سنوات ماتت، ولم يكن عندي من صبر المؤمنين ما يصبرني، فعدت كأسوأ ما يكون، فقلت لنفسي: لأشربن اليوم شراباً أسكر منه سكرة ما سكرت مثلها قط.

فشربت وشربت حتى سقطت وغاب وعيي، فرأيتني يوم القيامة وقد جمعت الخلائق، وأظلمت الشمس، وسجرت البحار، وانشقت الأرض، فخرج منها الناس كالفراش المبثوث، وسارت الشمس تدنو من رؤوسنا.

فرأيتني أغرق في عرقي من شدة ذنوبي، ثم سمعت المنادي ينادي: فلان بن فلان، هلم على العرض على الجبار. ثم رأيت ثعباناً عظيماً سميكاً يفتح فاه، يجري خلفي يريد أن يلتهمني، فجريت والثعبان خلفي، فرأيت رجلاً عجوزاً فقلت له: أنقذني من هذا الثعبان، فقال لي: أنا ضعيف... ثم رأيت أطفالاً يصيحون: يا فاطمة، أدركي أباك..

فجاءت فاطمة فعرفتها والثعبان سيأكلني، فأخذتني بيمينها ودفعت الثعبان بشمالها فمضى، ثم جلست في حجري كما كانت تجلس في الدنيا وأنا أرتعد، وقالت لي: يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾(الحديد:١٦)؟

فقلت: يا فاطمة ما هذا الثعبان؟ ومن هذا الشيخ العجوز؟

فقالت: أما الثعبان فهو عملك السيئ، أنت أسمنته حتى كاد أن يقتلك، وأما الشيخ العجوز فهو عملك الصالح أضعفته فما عاد يستطيع أن ينقذك، حتى بكى رأفة بحالك!

يا أبت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾؟

فاستيقظت من نومي صارخاً أقول: قد آن يا رب.. قد آن يا رب!■

حال المسلم مع القرآن في رمضان

لابد أن تسأل نفسك: كم مرة ختمت القرآن هذا الشهر؟

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، و لكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف».

ثواب تلاوة جزء يومياً:

الجزء به تقريباً سبعة آلاف حرف، والحرف بعشر حسنات في ثلاثين يوماً= مائتان وعشرة آلاف حسنة عند تلاوة جزء واحد لا تستغرق تلاوته أكثر من ٤٥ دقيقة. فيا له من كرم إلهي لقاء قليل من الجهد البشري.■

أحاديث شائعة عن رمضان ولا تصح

١- «لا تقولوا رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا: شهر رمضان».

(ترتيب الموضوعات، للذهبي ٥٧٠، الفوائد المجموعة، للشوكاني ٢٥١).

٢- «شهر رمضان معلق بين السماء والأرض، ولا يرفع إلى الله إلا بزكاة الفطر».

(العلل المتناهية، لابن الجوزي ٨٢٤، الضعيفة للألباني ٤٣).

٣- «مَن صلَّى في آخر جمعة من رمضان، الخمس صلوات المفروضة في اليوم والليلة، قضت عنه ما أخل به من صلاة سنَته».

(الفوائد المجموعة ١٥٧).

٤- «من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا عذر، كان عليه أن يصوم ثلاثين يوماً، ومن أفطر يومين كان عليه ستون، ومن أفطر ثلاثاً كان عليه تسعون يوماً».

(الفوائد المجموعة ٢٧٦، الموضوعات لابن الجوزي ٢ / ١٩٧).

٥- «صوموا تصحوا».

(تخريج الإحياء، للعراقي ٣ / ٧٥، الضعيفة ٢٥٣).■

إن الله يحب التوابين

يعد شهر رمضان - بما فيه من نفحات إلهية ومنن ربانية - فرصة نادرة للتوبة والإقلاع عن الذنب، إذ تتوافر فيه الأسباب المعينة على طاعة الله تعالى، حيث تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين، وينادي مناد من قبل الرحمن: يا باغي الخير، أقبل، ويا باغي الشر، أقصر.

وما أكثر وما أروع قصص التائبين في رمضان.

جاء في الأثر أن رجلاً من بني إسرائيل عبد الله ٢٠ سنة، ثم عصى الله ٢٠ سنة، فنظر يوماً إلى وجهه في المرآة وقد رأى الشيب في رأسه فقال: يا رب أطعتك ٢٠ سنة..ثم عصيتك ٢٠ سنة..أتراك تقبلني لو عدت؟ ونام على تلك الحالة من الندم والرغبة في التوبة إلى الله تعالى، فرأى في المنام من يناديه: «عبدي.. أطعتنا فقربناك، ثم عصيتنا فأمهلناك.. وإن عدت إلينا قبلناك».■

الأخيرة

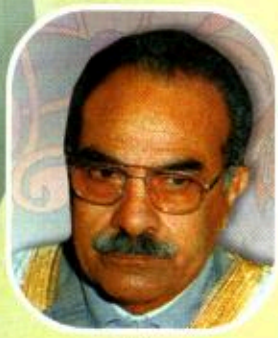

بقلم:
د. محمد عمارة (*)

الفارق بين الدعوة والتنصير

كثير من الأوروبيين والغربيين يسألون كثيراً من المسلمين: لماذا تمنعون حرية التنصير في بلادكم الإسلامية، في الوقت الذي تدعون فيه إلى الإسلام في البلاد الغربية، وتنشرون فيها دينكم، الذي يحرز انتصارات ملحوظة في خارج عالم الإسلام؟!

وكثير من المسلمين يحارون في الجواب المنطقي والخالي من العصبية والتعصب، على هذا السؤال، والرأي عندي أننا لابد أن نصارح هؤلاء السائلين بالفروق الجوهرية بين مكانة الإسلام في الدول الإسلامية، وموقف هذه الدول منه.. وبين حال الدين في المجتمعات العلمانية الغربية، وموقف تلك الحكومات العلمانية من الدين - مطلق الدين - والفارق بين منهاج الدعوة إلى الإسلام ومناهج التنصير والمنصِّرين..

وهذه الفروق الجوهرية يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

١ - إن الإسلام يتميز بأنه دين ودولة، ومن ثم فإن حكومات الدول الإسلامية لا يمكن أن تكون محايدة إزاء هذا الإسلام، لأنه مقوِّم من مقوِّمات الاجتماع والسياسة والتشريع والنظام.. ومن ثمَّ فإن زعزعته هي زعزعة لمقوِّم من مقوِّمات المجتمع ونظامه.. وليس هكذا حال الدين في المجتمعات العلمانية، وخاصة في ظل النصرانية التي تدع ما لقيصر لقيصر، وتقف عند خلاص الروح ومملكة السماء، لأن إنجيلها ينص على أن مملكة المسيح - عليه السلام - هي خارج هذا العالم.. وهي - لذلك - قد خلت من السياسة والقانون.

ولهذه الحقيقة، ولهذا الفارق الجوهري، تنفرد المجتمعات الإسلامية بالنص في دساتيرها على أن الإسلام دين الدولة، وكما تجعل «منظومة القيم الدينية، هي «الآداب العامة»، التي تحميها الدولة والقانون، ومن ثم فإن هذه الدولة الإسلامية تحافظ على دينها هذا، فلا تفتح الأبواب أمام حرية زعزعته أو ازدرائه والخروج على ثوابته في الاعتقاد والأخلاق والتشريع.

إن الإخلاص للإسلام الدين، ومن ثمَّ حمايته، لا يقلان في الدول الإسلامية - عن الإخلاص والحماية للوطن والولاء له.. ومن ثمَّ تحريم وتجريم الخيانة له أو الخروج عليه أو التفريط فيه.. وتلك خصيصة من خصائص المجتمعات الإسلامية، تفرق بينها وبين المجتمعات العلمانية واللادينية، التي تقف حكوماتها محايدة إزاء الدين - مطلق الدين.

ولقد رأينا مجتمعات غير إسلامية اتخذت لنفسها عقيدة فلسفية - مثل الماركسية في البلاد الاشتراكية والشيوعية فحافظت عليها كمقوِّم من مقوِّمات الاجتماع ونظام الحكم، ومنعت - بالدساتير والقوانين - التبشير في مجتمعاتها بأية عقيدة مضادة لعقيدتها وفلسفتها.

فالدولة القائم نظامها على عقيدة دينية أو مذهب فلسفي، لها موقف متميز عن الدول التي تتخذ موقفاً محايداً إزاء العقائد والديانات والفلسفات.

***

٢ - إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتعرض الآن إلى حرب ضروس معلنة من قبل مؤسسات الهيمنة السياسية الغربية، والمؤسسات الدينية الغربية، وكثير من مؤسسات الإعلام الغربية العملاقة، ومع ضعف إمكانات «الحمايات الفكرية» في البلاد الإسلامية المستضعفة، كان منع حرية «التنصير الرسمي» هو بمثابة «حماية الصناعات الوطنية الضعيفة» في حال انعدام تكافؤ الفرص والإمكانات عند اجتياح الأقوياء للضعفاء.

إن «النشرة الدولية لبحوث الإرساليات النصرانية» قد رصدت سنة ١٩٩١م ما لدى إرساليات التنصير الأمريكية وحدها من إمكانات، فإذا هي «جيش» فيه:

- (١٢٠,٠٠٠) مؤسسة تنصيرية.
- (٩٩,٠٠٠) معهد لتأهيل المنصِّرين الرسميين وتدريبهم.
- (٤,٢٠٨,٢٥٠) منصراً رسمياً محترفاً.
- (٨٢,٠٠٠,٠٠٠) جهاز كمبيوتر.
- (٢٤,٩٠٠) مجلة.
- (٢,٧٤٠) محطة للإذاعة والتلفاز.

ولقد أصدرت هذه المؤسسة التنصيرية ووزعت في عام واحد:

- (٨٨,٦١٠) كتب تنصيرية. وذلك غير نسخ «الكتاب المقدس» التي بلغ عدد ما وزع منها في عام واحد (٥٣,٠٠٠,٠٠٠) نسخة.

وفي مدارس هذه الإرساليات التنصيرية يدرس:

- (٩,٠٠٠,٠٠٠) طالب في رياض الأطفال وحدها.. يدرسون في:
- (١٠,٦٧٧) مدرسة.

ولقد خص إفريقيا وحدها من مؤسسات هذه الإرساليات التنصيرية:

(١٤٠,٠٠) منصر محترف.
و(١٦,٠٠٠) معهد للتنصير.
و(٥٠٠) مدرسة لاهوتية.
و(٦٠٠) مستشفى.

أما ميزانية هذا الجيش التنصيري فإنها تبلغ:

(١٦٣ مليارا من الدولارات).. ودخل الكنائس العاملة في هذا الحقل هو (٩,٣٢٠ مليارات من الدولارات).

وهذا «الجيش التنصيري» الأمريكي يقوده «معهد زويمر» - الذي أقيم سنة ١٩٧٨م - يمثل (المخ والجهاز العصبي) للحملة الأمريكية لتنصير المسلمين!.

فهل هناك ذرة من التوازن بين هذا الجيش - الذي يمثل الكنيسة الأمريكية وحدها، وبين الأفراد المسلمين الذين يدعون إلى الإسلام؟!

وهل يُرجح أن تستنكر إجراءات «الحماية» التي تمنع «التنصير الرسمي» في البلاد الإسلامية المستضعفة إزاء هذا الاجتياح؟!.■

(*) كاتب ومفكر إسلامي